مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

# البيان

AL BAYAN

السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٨٨ . شعبان ١٤٣٢ هـ . يوليو ٢٠١١ م

**البناء العلمي** لطالب العلم

**أسلمة** العَلمانية

**حوار مع** المتحدث الإعلامي
باسم الجماعة الإسلامية
في باكستان

**ألبراليون** هؤلاء؟

# التحول العربي
## ومحاولات الاحتواء

# مستشفى أبها الخاص

## الراعي الطبي لمهرجان أبها للتسوق

إتفاقية التعاون الطبي مع جامعة ماكجيل بكندا ومركز ديترويت الطبي العالمي

## استشاريون سعوديون في جميع التخصصات

مجمع خاص ومتكامل للنساء

كفاءات طبية متميزة

تجهيزات طبية حديثة

## وحدات متخصصة في خدمتكم

وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
وحدة الجراحة العامة والمناظير
وحدة الأنف والأذن والحنجرة
وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
وحدة أمراض الشرج والمستقيم

وحدة طب وجراحة العيون
وحدة النساء والولادة
وحدة الأطفال وحديثي الولادة
وحدة جراحة الأطفال
وحدة الجلدية والتناسلية
وحدة الأمراض الصدرية
وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل

وحدة أمراض الكلى
وحدة السمنة والسكر
وحدة الطب النفسي
وحدة أمراض القلب والشرايين
وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
وحدة طب وجراحة الأسنان
وحدة العناية المركزة

**وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث على مدار ٢٤ ساعة**

جهاز الليزر الأخضر KTP
لاستئصال تضخم البروستاتا

المنظار الجراحي

جهاز الأشعة تحت الحمراء للبواسير

جهاز الموجات الصوتية رباعي الأبعاد

جهاز الليزر الكربوني للعناية بالبشرة

جهاز قياس جهد القلب

جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام


أبها - شمال الخطوط السعودية -هاتف: ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس : ٢٢٤٤٨٠١ ص ب : ١٧٩٤
البريد الإليكتروني : info@aph.med.sa www.aph.med.sa



ABHA PRIVATE HOSPITAL

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة


## الافتتاحية

٤ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**
التحرير

## الشريعة والعقيدة

٦ **خطورة اتِّباع المتشابه**
د. إبراهيم بن محمد الحقيل

١٠ **السلفية... رحابة وسعة فهم**
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

١٢ **محاسن السياسة الجنائية الإسلامية**
محمد وفيق زين العابدين

## الغرب: قراءة عقدية

١٦ **تحريف التوراة... متى وكيف؟(١)**
فيصل بن علي الكاملي

## قضايا دعوية

١٨ **الحَلْقَة المفقودة** منصور باوادي

٢٠ **بصائر من تذكرة سورة (عبس)**
أبو عمر الدعيج

## قضايا تربوية

٢٤ **الأشقاء الفرقاء... كيف نجعل الأشقاء أصدقاء؟**
عبد العزيز مصطفى الشامي

## الإسلام لعصرنا

٢٨ **ألبراليون هؤلاء؟** أ. د. جعفر شيخ إدريس

## معركة النص

٣٠ **أسلمة العَلمانية** فهد بن صالح العجلان

## نص شعري

٣٣ **الوعد فتح الباري** مرعي بن محمد القرني

## حوار

٣٤ **حوار مع الدكتور عبد الحليم عويس**
أجرى الحوار: جمال سالم



## خدمة العملاء

**السعودية**
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف المجاني: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

## للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

## المـوزعـون

**الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
**الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
**سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
**البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .
**السعودية :** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
**السودان:** الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
**قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
**الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
**المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
**اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
**تونس:** الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي
راشد عبد الله الحماد

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

## الحسابات

**السعودية:** مصرف الراجحي
**آي بان:** SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

## الاشتراكات

| | | |
|---|---|---|
| السعودية ودول الخليج | ١٢٠ | ريال سعودي |
| بريطانيا وايرلندا | ٤٧ | يورو |
| أوروبا | ٥٥ | يورو |
| البلاد العربية وإفريقيا | ٤٥ | يورو |
| أمريكا وبقية دول العالم | ٥٥ | يورو |
| المؤسسات الرسمية | ٦٠ | يورو |

## تحقيقات

٤٠ البناء العلمي لطالب العلم
أحمد بن رمضان مقرم النهدي

## المسلمون والعالم

٤٨ مجازر سورية والجذور الباطنية
د. محمد الناصر

٥٢ الأسباب الخمسة لامتناع الغرب عن معاقبة الأسد
عصام زيدان

٥٦ تطوُّرات الثورة اليمنية والدور الخارجي لإجهاضها
أنور بن قاسم الخضري

٦٠ مصر... ثورة مضادة لإبعاد الجيش وعزل الإسلاميين
عامر عبد المنعم

٦٤ مستقبل النظام الإقليمي العربي في عصر الثورات
محمد سليمان الزواوي

٧٠ مرصد الأحداث — جلال سعد الشايب

## قصة قصيرة

٧٥ الرؤيا — عبد المنعم فرج ناصر الدلعه

## حوارات

٧٦ حوار مع الشيخ عبد الغفار عزيز
أجرى الحوار: أحمد أبو دقة

## عين على العدو

٨٠ دوافع القلق الصهيوني من فتح معبر رفح
د. عدنان أبو عامر

## في دائرة الضوء

٨٢ الإرهاب بين المفهوم القانوني والاستخدام السياسي المزدوَج
د. أكرم عبد الرزاق المشهداني

## فكرية

٨٦ القومية والوحدة والانفصال... رؤية شرعية
د. توفيق البدري

## بأقلامهن

٨٩ إلى أحبتي في الشام — د. وفاء إبراهيم

## قراءة

٩٠ تعدد الزوجات في ميزان الأخلاق
د. أحمد إبراهيم خضر

## الورقة الأخيرة

٩٥ علاقة العلم بعمل القلب — أ. د. محمد أمحزون

## [ كلمة صغيرة ]

### بين المبادئ والمصالح

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وبعد:**

فإن من أكثر الامتحانات تمييزاً لمعادن الرجال: أن تتعارض في طريقهم المبادئ مع المصالح الشخصية؛ فترى الرجل الصادق عاضّاً على مبادئه بالنواجذ، لا تغريه المصالح، ولا تميل به الأهواء، ولا تُسخِطُه الفتن، ولا تثنيه والمكائد، وحاله كما قال الشاعر:

تزول الجبالُ الراسياتُ وقلبُه
على العهدِ لا يلوِي ولا يتغيَّرُ

أما النفوس الضعيفة، فإنها تتصاغر أمام بريق المصالح، فتُعرِض عن مبادئها، وتتنكر لقيمها، وربما باعتها بعَرَض زائل، أو بثمن بخس.

وما أكثر أولئك المتساقطين في زمن الأهواء؛ ذلك الزمن الذي باع فيه بعض الساسة قيمهم، وتساقطوا الواحد بعد الآخر في امتحانهم أمام شعوبهم، وتطاول فيه بعض علماء السوء فجعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، واستسلم فيه بعض المثقفين والمفكرين لأهوائهم وراحوا يزوِّرون الحقائق ويتملقون بطريقة فجَّة، وأصبح كثير من الإعلاميين يتحدثون عن القيم والأخلاق دون أن تُرَى حقيقتُها على أعمالهم، وأخذ بعض التجار يلهثون وراء مطامعهم المادية؛ حتى وإن كانت على حساب الآخرين!

إن القيم والمبادئ ليست شعارات سياسية أو اجتماعية يتدثر بها الناس للزينة والتباهي؛ وإنما هي ركائز راسخة في نفوس الصادقين يتقربون بها لرب العالمين وحدَه لا شريك. وإذا أردتم أن تروا كيف تنتصر المبادئ و تسمو النفوس على زخارف الدنيا، فاقرؤوا قصة صهيب الرومي - رضي الله عنه - عندما ترك ماله كلَّه للمشركين شوقاً للهجرة إلى النبي ﷺ، وقد استقبله ﷺ بقوله: «يا أبا يحي! ربح البيع»، وتلا قول الله - تعالى -: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾. [ البقرة: ٢٠٧ ] (١)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٩٨). وقال الشيخ مقبل الوادعي: «له طرق أخرى أغلبها مراسيل، كما في الإصابة وفي الطبقات لابن سعد، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدل على ثبوته»، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص ١٥.

# ولا تعثوا في الأرض مفسدين

**الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وبعد:**

فقد تواترت النصوص الشرعية في الكتاب والسُّنة في الحديث عن الفاسدين والمفسدين، وبيان صفاتهم وأماراتهم؛ ليكون الناس على بيِّنة من أمرهم؛ فيحذروهم ويدركوا العقلية المنحرفة والموازين المضطربة التي يتعامل بها أولئك المفسدون مع غيرهم.

وقد تكاثر هؤلاء المفسدون في عصرنا الحاضر، وتعدَّدت راياتهم، وتفننوا في ابتكار صنوف الفساد والإفساد في كل الميادين، وكان وجودهم من الأسباب الرئيسية لتخلُّف الأمة وتردِّي مكانتها؛ من أجل ذلك كان من الواجب علينا أن نتدارس صفاتهم بياناً للحقيقة، وإيقاظاً للأمة، وتحذيراً من تغوُّل المفسدين وطغيانهم في البلاد.

## ومن أبرز الصفات التي جاء بيانها في القرآن الكريم:

### الصفة الأولى: العلو والاستكبار في الأرض:

فالعلو والطغيان والاستكبار في الأرض صفات ملازمة للمفسدين، كما قال - تعالى -: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وبضدها تتبين الأشياء، وكما قال - سبحانه -: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٠ - ١٢].

ومن علامات هذا العلو والطغيان: تطاوُل المفسدين على الضعفاء وانتهاكُ كرامتهم والتعدي على حقوقهم، كما قال - جل وعلا -: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

### الصفة الثانية: زخرفة القول بالباطل:

فالمفسدون يتدثرون بحلاوة اللسان وزخرفة القول بالباطل، ليخدعوا الناس، ويلبِّسوا عليهم بتغيير الحقيقة ونكران الواقع، وادِّعاء الرأفة والرحمة بالخلق ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. وربما عقدوا الأيمان الكاذبة إمعاناً في التلبيس والكذب. ولقد زادت قدرتهم في الخداع، والتلبيس بتعدُّد وسائل الإعلام المعاصرة التي أسهمت في تزييف الواقع وخداع الرأي العام. قال الله - عز وجل -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

والبصير الفطن يدرك حقيقة هذا التلبيس، ولا تنطلي عليه تلك الزخارف والألاعيب المكشوفة، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

### الصفة الثالثة: الصدُّ عن سبيل الله:

فحال المفسدين الذين يزينون للناس الباطل ويصدونهم عن سبيل الحق، كمثل قطَّاع الطرق الذين يعترضون سبيل الناس ويسعون في الأرض فساداً. قال - تعالى - في وصف هؤلاء المفسدين: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال فيهم - جل وعلا -: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وطرائق المفسدين في الصدِّ عن سبيل الله - تعالى - تتنوع وتتجدد بتجدد الأماكن والأزمان، ويجمعهم وصف الله لهم في قوله - جل شأنه -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، وكذلك وصف النبي ﷺ في قوله: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»[1].

### الصفة الرابعة: الغش والخيانة:

غش الأمة وخيانتها صفة ملازمة للمفسدين في جميع العصور والأمكنة؛ لأنهم لا أمانة لهم؛ ولهذا تراهم يتساقطون في

(١) أخرجه البخاري.

دركات الخيانة وغش الأمة والمجتمع، لتحقيق مصالح شخصية مزعومة، وما أسهل أن يبيع المفسد دينه ويخون أمته! قال الله – تعالى – مبيناً لوناً من ألوان الغش الذي يتميز به المفسدون (وهو الغش الاقتصادي): ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ – ١٨٣]، وقال – جل وعلا –: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]. وسياسة الكيل بمكيالين وبخس الناس أشياءهم: سياسة متجذرة في أخلاق المفسدين (السياسية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية).

### الصفة الخامسة: إشاعة الفاحشة:

من مخازي المفسدين أنهم يسعون لإشاعة الفاحشة في المجتمع، ويؤسسون مراكز ونوادٍ لنشر المنكر، وإفساد الأخلاق والقيم الاجتماعية بلا حياء ولا خجل، وتأمَّل حال كثير من القنوات الفضائية لترى كيف يلهث أولئك المفسدون لإشاعة الفواحش وتحطيم القيم ومحاربة الفضيلة. قال الله – عز وجل –: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ – ٣٠].

### الصفة السادسة: انقلاب الموازين:

من مخازي المفسدين وسوءاتهم أنهم يقلبون الموازين، ويزيفون الحقائق، ويسمون الأمور بغير مسمياتها؛ ولهذا قال الله – عز وجل – في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢]، وهذا من تقليب الأمور الذي جاء بيانه في قوله – تعالى –: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

وتأمَّل العقلية الفرعونية الطاغية التي تتجدد في كل عصر وتجتهد في قلب الحقائق؛ فقد قال الله – عز وجل – عن أحد الفراعنة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. ففرعون ها هنا يزعم أنه يحافظ على دين قومه من تبديل موسى – عليه الصلاة والسلام – أو إظهاره الفساد في الأرض! وهكذا هي سُنة المفسدين في كل عصر، يعترضون طريق المصلحين ويشوِّهون صورتهم، ويزعمون أنهم وحدَهم الدعاة إلى الإصلاح والنهضة في المجتمع، على الرغم من أن مشروعَهم في الحقيقة لا يعدو أن يكون إفساداً للمجتمع وتشويهاً لهويته ومنهاجه.

**وبعد:** فهذه بعض صفات المفسدين، وعندما نقرأها بعين واعية ونتأمل أخبار المفسدين عبر التاريخ الماضي أو الحاضر، أياً كانت مواقعهم، فسنجد اجتماع المفسدين على التخلُّق بهذه الصفات المذمومة، ليصدُق عليهم قول الله – جل شأنه –: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

لقد سقطت البلاد العربية في مستنقعات الفساد ردحاً طويلاً من الزمن، واستضعف المفسدون شعوبهم، فأسرفوا في التعدي على حرمات الدين وحقوق المجتمع وكرامة الإنسان، وتحوَّل الفساد في كثير من الأحيان من ممارسات شاذة محدودة لبعض الناس إلى مأسسة له وتبنٍّ لنواديه ورعاية لمنابره؛ ولهذا كان واجب المصلحين حقاً أن يواجهوا أولئك السفهاء، ويأخذوا على أيديهم، ويبصِّروا المجتمع بمخازيهم، امتثالاً لقول الله – جل وعلا –: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]، وقوله – سبحانه –: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٢].

# خطورة اتِّباع المتشابه

د. إبراهيم بن محمد الحقيل

قبل سنوات عشر أو تزيد استضافت قناة الحرة الأمريكية مارونياً من لبنان في حلقة نقاش عن تجديد الخطاب الديني في الإسلام، فعلق في ذهني من قوله: نستطيع أن نستخرج إسلاماً ليبرالياً عن طريق التفتيش في المذاهب الفقهية المختلفة والانتقاء منها، فذكر من الأمثلة: الحرية الجنسية كما هي في الغرب الليبرالي؛ بأن نأخذ مذهب الشيعة في المتعة ونوسعه قليلاً؛ بحيث يصبح عندنا حرية جنسية، ونأخذ مذهب أهل الكوفة في النبيذ فتكون المشروبات الكحولية الموجودة في عصرنا مباحة، وتكون طريقة الخمر البدائية غير الصحية بتخمير العنب أو التمر ممنوعة وهو ما يتوافق مع الإسلام.

ذهلتُ وقتها مما سمعت؛ ليس لفجور هذا القول وجرأته ولا لمصدره؛ ولكن لأنه يصل إلى ملايين المسلمين في بيوتهم، ويفسد أفكارهم، ثم رأيت أن من يقوم بعملية انتقاء النصوص أو النقول وبترها يستطيع بالقرآن - وليس فقط بالمذاهب الفقهية - أن يبيح كبائر المحرمات، وعظائم الذنوب، ويسقط أهم الواجبات والفرائض، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - يستطيع متَّبع المتشابه أن يستدل على جواز الكفر بقول الله - تعالى - ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فيزعم أن الله - تعالى - خيَّر الناس بين الإيمان والكفر، والتخيير بينهما يقتضي استواءهما، ويغضُّ الطرف عن الآيات الكثيرة التي تتوعد الكافر بالنار، ومنها آخر هذه الآية التي يُستدَل بها على فساد قوله؛ فهي في سياق التهديد والوعيد وليس فيها تخيير ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقد استدل بهذه الآية على الحرية الدينية كثير ممن فتنوا بالغرب وحريته[1].

٢ - يستطيع متَّبع المتشابهات أن يحكم بالجنة لأصحاب الديانات الأخرى ممن كفروا بالإسلام مستدلاً بقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. متعامياً عن معنى الآية وهو: (من آمن منهم برسوله قبل بعثة محمد ﷺ ومات على إيمانه)، ويترك هذا الملبِّس مئات الآيات والأحاديث التي تحكم بالنار لكل من لم يتبع دين محمد ﷺ. وكثير من الليبراليين يستدل بها على صحة دين الكفار!

٣ - يستطيع النصراني أن يستدل على عقيدة التثليث، وعلى بنوَّة المسيح لله - تعالى - بالقرآن الكريم؛ مع أنها شرك أكبر، وقَدْح في الله تعالى؛ وذلك حين يأتي النصراني إلى الآيات التي فيها أن عيسى - عليه السلام - يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخبر ببعض الغيب فيستدل بها على ألوهية عيسى - عليه السلام - باعتبار أن هذه الأفعال التي قام بها عيسى من خصائص الله - تعالى - ويعمى عن الآيات التي تثبت بشريته؛ وأنه مخلوق لله وأنه - تعالى - أجرى على يديه هذه الخصائص معجزة تثبت صدقه - عليه السلام - كما

(١) مثل غلام أحمد برويز الذي تنسب إليه الفرقة البرويزية في الهند وباكستان، وقد كفَّره ألف عالم من علماء المسلمين. وممن استدل بها عبد المتعال الصعيدي في تقريره للحرية الدينية في الإسلام، وجرت بينه وبين الشيخ الأزهري عيسى منون مناقشات على صفحات مجلة الأزهر. وأخذ الاستدلالَ بها على الحرية الدينية عن الصعيدي كثير من الكتاب المعاصرين، وقبلهم وفي عهد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ألَّف وزيرٌ كتاباً زعم فيه أن النبي ﷺ قد رضي دين اليهود والنصارى، وأنه لا يُنكر عليهم ما هم فيه من الكفر، ولا يذمُّون ولا ينهَون عن دينهم، ولا يؤمرون بالانتقال إلى الإسلام، مستدلاً على ذلك بقول الله - تعالى - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] فرد عليه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٢٦ وما بعدها..

قال – تعالى – ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ثم يأتي إلى الآيات التي تثبت أن عيسى ولد بلا أب فيستدل بها على بنوَّته لله – تعالى – ويعمى عن الآيات الكثيرة التي تنفي الولد عن الله – تعالى – والآيات التي تذكر قصة ولادة عيسى، عليه السلام.

ثم يأتي إلى الآيات القرآنية التي فيها كلام الله – سبحانه وتعالى – عن نفسه بصيغ جمع العظمة نحو قوله – تعالى –: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فيَدَّعي أن الله – سبحانه وتعالى – متعدد وليس واحداً، ويعمى عن الآيات التي فيها إثبات وحدانية الله – تعالى – وبطلان عقيدة التثليث والآلهة المتعددة نحو قول الله – تعالى –: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقد روى أئمة التفسير وأهل السير أن نصارى نجران احتجوا على النبي ﷺ بهذه الحجج زاعمين ألوهية عيسى وبنوته لله – سبحانه وتعالى – فأنزل – سبحانه – صدر سورة آل عمران في دحض حججهم.

وإذا كان بإمكان متَّبع المتشابه أن يصحح العقائد الزائفة، ويساوي الكفر بالإيمان، ويحكم لأصناف الكفار بالجنة، ويستدل لما يقول بنصوص ينتقيها من القرآن، ويُعرِض عن غيرها على طريقة أهل الكتاب في إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه؛ فإنه يستطيع من باب أَوْلى أن يبيح ما دون الشرك والكفر من المحرمات: كالاختلاط، والخلوة بالأجنبية، وسفر المرأة بلا محرم، وغير ذلك من المحرمات، ويستدل لما يريد بنصوص مشتبهة ويترك المحكم الواضح.

وإذا كان متَّبع المتشابه يستطيع أن يبطل التوحيد بنصوص ينتقيها من القرآن فلن يعجز عن إبطال ما هو دون التوحيد من الواجبات: كصلاة الجماعة، وحجاب المرأة، ووجوب المحرم لها، وغير ذلك، وسيجد من النصوص ما يؤيد باطله إذا كانت العملية عملية انتقاء واختيار.

ولخطورة اتباع المتشابه وترك المحكَم من النصوص في إفساد دين من يفعل ذلك، وإضلاله لغيره، حذَّر الله – تعالى – عباده من سلوك هذا المسلك، وأخبر أن من يسلكه إنما يبتغي الفتنة لمرض في قلبه، وهذا المرض: إما أن يكون بشبهة ودواؤه العلم، وإما أن يكون بشهوة؛ كمن يريد بفعله عَرَضاً من الدنيا، ودواؤه تقوى الله – تعالى – والخوف منه. قال الله – تعالى –: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ولأن اتباع المتشابه من النصوص سبب لفساد القلب وزيغه، فقد ناسب أن يعقب آية التحذير منه آية أخرى تخبر عن دعاء الراسخين في العلم وهي قولهم – كما أخبر الله تعالى عنهم –: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾. [آل عمران: ٨].

كما أن النبي ﷺ حذَّر من اتِّباع المتشابه في الأحكام؛ لأن من شأنه أن يزيل الورع من الإنسان إلى أن يصل به إلى الحرام، فقال ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ من الناس فَمَنْ اتَّقَى الشُّبهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»[1].

فصار الناس تجاه اشتباه النصوص واشتباه الأحكام على فريقين:

**الفريق الأول:** أهل الإيمان القوي والعلم الراسخ، ومن تبع جادتهم؛ فهؤلاء يتثبتون أمام المتشابهات ولا يتزعزعون؛ لقوة إيمانهم بدينهم، ورسوخهم في علوم الشريعة؛ فلا يتركون المحكم لأجل المتشابه، ولا يضربون النصوص بعضها ببعض، ويقابلون المتشابه بما أخبر الله – تعالى – عنهم ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، كما أنهم يتورعون عن المشتبه بين الحلال والحرام في الأحكام؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ».

**الفريق الثاني:** ضعيفو الإيمان، وليس لهم رسوخ في العلم؛ فأي وارد لشبهة يميد بهم، فتزيغ بالمتشابهات قلوبهم؛ كما ذكر الله – تعالى – حالهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. ويتساهلون في مشتبه الأحكام حتى يجاوز بهم إلى الحرام كما قال النبي ﷺ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وتقسيم قلوب أصحاب هذين الفريقين (الراسخ والزائغ) يكون على وَفْق ما جاء في حديث حُذَيْفَة – رضي الله عنه – حيث قال: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ على الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حتى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ: على أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لَا

(١) رواه من حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنهما –: البخاري: (٥٢)، ومسلم: (١٥٩٩).

يَعْرِفُ مَعْرُوفاً ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً إلا ما أُشْرِبَ من هَوَاهُ»[1].

ولما حُدِّث ابن عباس - رضي الله عنهما - بحديث في الصفات فانتفض رجل استنكاراً لذلك، قال ابن عباس: (ما بال هؤلاء يجدُّون عند مُحكَمه ويهلكون عند متشابهه؟)[2].

وفي بيان خطورة فتك اتباع المتشابه بالقلب، وسرعة انتكاس صاحبه وتغيُّر دينه يقول النبي ﷺ: «سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كما يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ؛ لَا يبقي منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ»[3].

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى -: (يتجارى الكَلَب: التَّجاري: تفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والتداعي فيها، تشبيهاً بجري الفرس. والكَلَب: داء معروف يعرض للكلب، إذا عض حيواناً عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك)[4].

ومِن نُصْح النبي ﷺ لعموم أمته تحذيرُه ممن يتبعون المتشابهات، وتحذيره منهم يتضمن الحذر من مجالستهم إلا على وجه الإنكار عليهم لمن قَدَر على ذلك، والحذر من الاستماع لشبهاتهم في الدين؛ ولا سيما لمن لم يتحصن بعلم وإيمان يرد به شبهاتهم، والحذر من الترويج لشبهاتهم أو إعانتهم على نشرها بأي وسيلة كانت؛ لأن فيها إضراراً بالعامة وتلبيساً عليهم في دينهم؛ فيقول النبي ﷺ في ذلك بعد أن تلا آية المحكم والمتشابه: «فإذا رَأَيْت الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ»[5].

وإذا وردت الشبهة على القلب عبر سماعها أو قراءتها في وسيلة إعلامية، أو تداولها في مجلس ونحوه فعلى من أراد سلامة قلبه أن يدفعها بالإيمان والذكر، ويزيل أثرها بسؤال الراسخين في العلم؛ ذلك أن أهل الشبهات يضربون ما استقر عند الناس من المحكمات بالمتشابهات، وربما زادوا على ما رووا، وكذبوا في ما أوردوا من نصوص وحوادث، أو كيفوها؛ بحيث لا يستطيع من يجادلهم لأول وهلة أن يدفع شبهاتهم عن المحكمات إلا بعد بحث وتأمُّل.

وفي وصية عظيمة نافعة في هذا المجال ينقلها ابن القيم عن شيخه ابن تيمية - رحمهما الله تعالى - فيقول: (وقال لي شيخ الإسلام - رضي الله عنه - وقد جعلتُ أُورِد عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته؛ وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك) اهـ[6].

وقد تضافر المنقول عن السلف الصالح في التحذير ممن فتنوا في دينهم باتباع المتشابه وترك المحكم، فقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما -: (لا تجالسنَّ مفتوناً؛ فإنه لا تخطئك منه إحدى خلتين: إما أنَّ يفتنك فتتبعه، وأما أنَّ يؤذيك قبل أنَّ تفارقه)[7].

وقال أبو قلابة - رحمه الله تعالى -: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء؛ فإني لا آمن أنَّ يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم ما تعرفون)[8].

وقال رجل للحسن - رحمه الله تعالى -: (تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسه)[9].

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: (من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل)[10].

والحقيقة أنه يصدق على هذا الزمن أنه زمن بث الأهواء والشبهات في الدين، واستخراج المتشابهات وضرب المحكمات بها؛ وذلك حين صارت الشريعة وحماها كلأً مباحاً لكل من هبَّ ودبَّ من ذوي الجهل والهوى، ويستطيعون إيصال شبهاتهم للناس عبر الإعلام، وهو ما يحتم على أهل العلم والدعوة النفير في ميادين الإعلام لحماية الناس من أهل الأهواء والشبهات، وكشف باطلهم، وتحذير الناس منهم؛ نصحاً لله - تعالى - ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

(١) رواه البخاري: (١٣٦٨)، ومسلم: (١٤٤) واللفظ له.
(٢) رواه عبد الرزاق: (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة: ١/٢١٢، وشرحها الألباني بأنهم يجتهدون في فهم المعنى المراد من القرآن عند محكمه. وجاء في رواية ابن أبي شيبة: يؤمنون عند محكمه. (٣٧٩٠٢).
(٣) رواه أحمد: ٤/١٠٢، ومن طريقه أبو داود: (٤٥٩٧).
(٤) جامع الأصول: ١٠/٣٣.
(٥) رواه من حديث عائشة - رضي الله عنها -: البخاري: (٤٢٧٣)، ومسلم: (٢٦٦٥).
(٦) مفتاح دار السعادة: ١/١٤٠.
(٧) رواه أبو عبيد في الأمثال: (٢٢).
(٨) رواه الدارمي: (١٢٠).
(٩) رواه الفريابي في القدر: (٣٨٠).
(١٠) رواه الآجري في الشريعة: (١٤٣).

مدار الوطن للنشر

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب

أول مركز متخصص في العالم الإسلامي لخدمة الراغبين في التبرع بطباعة وتوزيع الكتب والنشرات الإسلامية

٢٤ عاماً من العطاء

يسره أن يعلن : › لمكاتب الدعوة وإدارات الشؤون الدينية بالوزارات والعلاقات العامة بالشركات ومراكز الأحياء وجماعات المساجد والجمعيات الخيرية ولكل من يرغب في التوزيع الخيري بمناسبة شهر رمضان المبارك :

# المشروع الرمضاني للجميع

وسائل دعوية متنوعة

## 1 الحقائب الدعوية — حقائب سلوفانية فاخرة بمقاسات متنوعة

**حقيبة الأسرة الرمضانية**
4 رسائل
مقاس ١٢x١٧
تأليف: أ.د عادل الشدي، أ.د أحمد المزيد

**حقيبة صائمات**
4 رسائل
مقاس ١٧x٢٤
تأليف: أ.د أحمد المزيد، أ.د عادل الشدي

**حقيبة رمضان ينادي** — 4 رسائل — مقاس ١٢x١٧
إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن
يا باغي الخير أقبل

**حقيبة مع النبي في رمضان** — 4 رسائل — مقاس ١٢x١٧
إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن

**حقيبة إلى من أدركت رمضان** — 4 رسائل — مقاس ١٢x١٧
إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن

## 2 الكتب والرسائل — أكثر من 40 كتاب رمضاني شامل

تأليف: د. عائض القرني
مقاس ١٧x٢٤
لأئمة المساجد للقراءة على المصلين وللاجتماعات الأسرية في رمضان.

تأليف: د. سعيد بن مسفر القحطاني
مقاس ١٤x٢١

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله
مقاس ١٢x١٧

تأليف: محمد بن سرار اليامي
مقاس ١٢x١٧

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح المنجد
مقاس ٨x١٢

## 3 القراءة للجميع — أكثر من 40 كتيب رمضاني متنوع

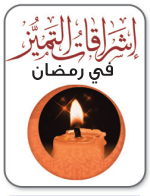


كتبها: خالد أبو صالح
مقاس ١٢x١٧

إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن
مقاس ١٢x١٧

كتبها: خالد أبو صالح
مقاس ١٢x١٧

إعداد: القسم العلمي بمدار الوطن
مقاس ١٢x١٧

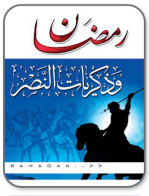


كتبها: خالد أبو صالح
مقاس ١٢x١٧

## 4 المطويات — عرض مميز لأكثر من 100 مطوية رمضانية

- زد رصيدك في رمضان
- رمضان والعبادات القلبية
- ١٠ عادات سيئة في رمضان
- فتاوى المرضى في رمضان

## 5 الكروت — أكثر من 50 كارت رمضاني

شارك معنا فعاليات البرنامج الرمضاني الرابع عشر في الفترة من ٧/٢٠ - ٩/٢٠ ١٤٣٢ هـ بمعارضنا

الرياض: الملز / هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ | السويدي / هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧
مندوب الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ مندوب الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مندوب الشرقية والدمام: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
مندوب الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨ مسؤول التوزيع الخيري للجنوبية والشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
لطلبات الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧ الموقع على الإنترنت: www.madaralwatan.com البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com

استعداد كامل للشحن داخل وخارج المملكة
الخط الساخن لخدمة العملاء
0566665451

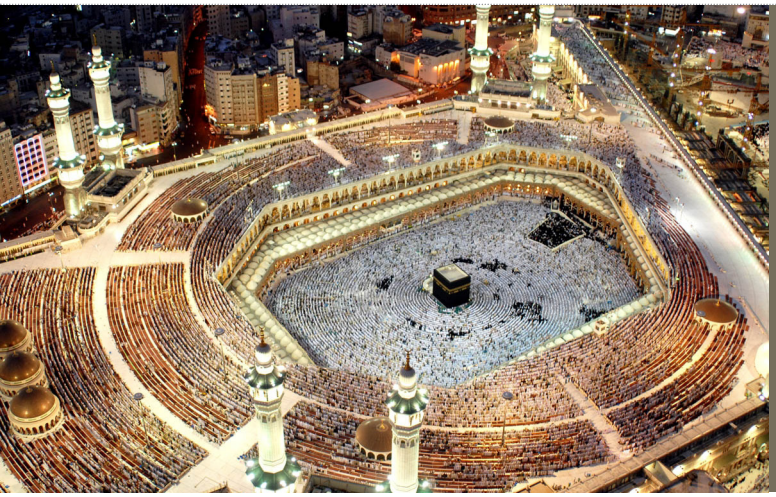

# السلفية...
## رحابة وسعة فهم

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

مذهب السلف الصالح هو الإسلام المحض الخالص، وكما قال ربعي بن عامر – رضي الله عنه – لرستم فارس: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها...»(١).

والسلف الصالح يعلمون الحق ويرحمون الخلق، وهذه الرحمة والإشفاق توجب انشراح الصدر، كما في حال الرحمة بالصدقة وسائر الإحسان. يقول ابن القيم: «المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره... فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره»(٢).

وإيمان أهل السُّنة بجميع النصوص الشرعية، ورسوخهم في العلم أورثهم رحابة وسعة في الفهم؛ إذ يقبلون الحق من كل أحد؛ فهم أسعد الطوائف باتباع الدليل، فيأخذون بنصوص التنزيه والإثبات معاً في صفات الله – تعالى – وكما يثبتون القضاء والقدر، فإنهم يثبتون أن العباد فاعلون حقيقة، ويقررون أن مطلق الذنوب تُنقص الإيمان لكنها لا تُخرج من الملة، ويفرِّقون بين موارد الإجماع ومسائل الاجتهاد، ويراعون عوارض الأهلية كالجهل والتأوُّل ونحوهما.

وكما تُلحَظ هذه السعة والشمول في المسائل، فإنها تُلحَظ في الدلائل أيضاً؛ فإن السلف يستدلُّون بالوحي ويعتصمون به، ويُعنَون بفقه نصوص الكتاب والسُّنة، كما يحتجون بالبراهين العقلية، ويستدلون بالأمور الفطرية الضرورية.

وسعة الفهم ورحابة الأفق كالوسطية التي تميَّز بها أهل السُّنة عن سائر الطوائف؛ فليست الوسطية تعني التذبذب والتلون، أو الترخُّص والتفلُّت؛ وإنما هي الوسطية التي اعتبرها الشرع المنزَّل؛ وهي الإيمان بجميع النصوص الشرعية، وأخذ الدين كلِّه وبقوة، مع مجانبة الترخص الجافي، والتشدد الغالي.

وأيضاً: فإن سعة الفهم وشموله لا يكون إلا بالاعتصام بدين الله – تعالى – في الدلائل والمسائل، والقيام بالحنيفية السمحة (علماً وعملاً)، ومفارقة الإفراط، ومجانبة التفريط وتتبُّع الرخص؛ إذ اتباع الرخص هو من أهواء النفوس، وقد نهى الشارع عن اتباع الهوى وأمر بلزوم الهدى. قال – تعالى –: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال – تعالى –: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠].

وقد بيَّن الشاطبي عواقب تتبُّع الرخص؛ وأنها تفضي إلى «الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، وكالاستهانة بالدين؛ إذ يصير بهذا الاعتبار سيّالاً لا ينضبط...»(٣).

وصدق – رحمه الله – فهذا واقع مشاهَد، إذا صار الدين في غاية الرقة والهشاشة، وأضحى الدين يشفُّ عما تحته فهو أرقُّ من ثوب السابريِّ(٤).

والحاصل أن سلفنا الصالح أظهروا هذه الرحابة وسعة المفهوم كما هو مبيَّن في المسائل التالية:

---

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

(١) البداية لابن كثير: ٧/ ٣٩.

(٢) الوابل الصيب، ص٣١.

(٣) الموافقات: ٤/ ١٤٧.

(٤) الثوب السابريُّ: الرقيق الشفاف.

• فذِكْـر الله – تعالى – هو مـن أفضل الأعمال في حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: « ألا أنبئكم بخيـر أعمالكم، وأزكاها عند مليككـم، وأرفعها في درجاتكم، وخيـر لكم من إعطاء الذهـب الورِق، ومـن أن تَلقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله»[1].

لكـنَّ ذكر الله – تعالى – ليس محصوراً في الأوراد المأثورة كأذكار الصبـاح والمسـاء ونحوها، بل إن ذكـر الله – تعالى – يشـمل كل ما يقرِّب إلى الله – تعالـى –: من علم نافع وعمل صالـح وتواصٍ بالحق؛ كما حرره ابن تيمية بقوله: «كل ما تكلم به اللسـان وتصوَّره القلب مما يقرِّب إلى اللـه: من تعلُّم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهى عن منكر فهو ذكر الله؛ ولهذا من اشـتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلساً يتفقه أو يُفقِّه فيه الفقه الذي سـماه الله ورسوله فقهاً، فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله»[2].

• وذِكْرُ الله – تعالى – يعدُّ دعاءً، كما في دعاء الكرب «لا إله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم»[3].

• كمـا أن ذكـر الله – تعالـى – يعدُّ صلاة كمـا ورد عن ابن مسـعود – رضي الله عنه – أنه قـال: (ما دُمتَ تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق، وقال معاذ: مدارسة العلم تسبيح)[4].

ونظير ذلك العبادات فلا تقتصر على العبادات المعهودة، بل تشمل كلَّ ما يحبه الله ويرضاه، فيدخل في ذلك صلة الأرحام، والوفاء بالعهـود، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسـان إلى الجار واليتيم وابن السبيل والبهائم[5].

ومسـألة أخرى: أن من التوسل المشروع: التوسل إلى الله – تعالى – بالعمل الصالح، وقد يَقْصِر بعضُهم هذا التوسلَ بأن يقول الداعي: اللهم! إني أتوسـل إليك بعملي الصالح... وليس الأمر كذلك، بل التوسـل أعم وأوسـع من ذلـك كلِّه، كما بيَّنه ابن تيمية بقوله: «التوسـل بالإيمان به ﷺ وطاعته فرض على كل أحد في كل حال (باطناً وظاهراً) في حياة رسـول الله ﷺ وبعد موته، في مشـهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال»[6].

ومسـألة ثالثة، وهي: مفهوم الجهاد في سبيل الله – تعالى –: فإنه مفهوم واسع يستوعب الجهاد باليد والسنان، والجهاد بالحجَّة والبرهـان، والجهـاد بالأموال، ثم إن جهاد النفـس هو أصل ذلك جميعاً. وكل ذلـك داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذا قال الشاطبي: «والجهاد الذي شرع بالمدينة فرع من فروع الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، وهو مقرَّر بمكة، لقوله – تعالى –: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّـلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وسـاق ابن تيمية – رحمه الله – أوجهاً متعددة تكشف عن سـعة مفهوم الجهاد في سبيل الله، فقال: «وأما مجاهد الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره؛ فإنه إذا شرع جهادهم باليد، فباللسـان أُوْلى، وقد قال النبي ﷺ: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم...» ومعلوم أنه يُحتاج كلَّ وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان، وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف»[7].

وقال ابن القيم: «إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفَّـار فليس بدونه. قال رجل للحسـن البصري – رحمه الله تعالى –: يا أبا سـعيد! أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك، وسـمعت شـيخنا (ابن تيمية) يقول: جهاد النفس أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم»[8].

والحاصل أن في نصوص القرآن والسُّنة من الحِكَم والمعاني مـا لا ينقضي؛ فآيات القـرآن قواعد كلية عامـة، وأحاديث المصطفى ﷺ هي جوامع الكلم؛ ولـذا فإن الاعتصام بالكتاب والسـنة يحقق سـعة في الفهوم، وثراء في العلـوم، وانتفاعاً بالعقول، وزكاة للقلوب. وتراث السلف الصالح شاهد على ذلك في القديم والحديث.

هذا وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أبو داود.
(٢) مجموع الفتاوى: ١٠/ ٦٦١.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٩٤، ومنهاج السنة النبوية: ٨/ ٢١٠، ومجموع الفتاوى: ١٤/ ٢١٥، والإيمان، ص ٤٠ – ٤١.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١٠/ ١٤٩. (العبودية).
(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص٣.
(٧) الجواب الصحيح: ١/ ٧٤ – ٧٥.
(٨) روضة المحبين، ص ٤٧٨.

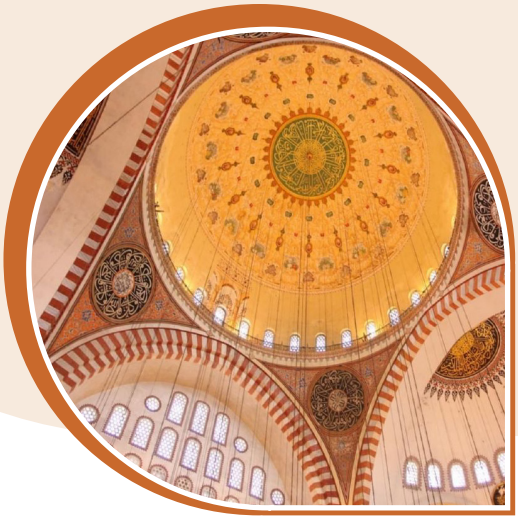

# محاسن السياسة الجنائية الإسلامية

محمد وفيق زين العابدين(*)

الحمد لله الذي رفع لنا في كل ثغر عَلَماً، وأجرى لنا في جوار كل بحر ما يضاهيه كرماً، وجعل في هذه الأمة من المسلمين إلى اليوم من يزيد الناس علماً ويمحو من الظلمات ظلماً، أما بعد:

قال الله - تعالى -: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، وقال - عز وجل -: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

لقد عاشت بلادنا العربية منذ دخول الإسلام فيها في ظل الخلافة الإسلامية أكثر من ألف عام، وظل أهلها طوال هذه القرون يحتكمون إلى شرع الله - تعالى - المتمثل في الكتاب والسُّنة، والأحكام التي استُمدَّت منهما باستعمال أصول الفقه وضوابطه وقواعده الكلية التي وضعها الفقهاء المسلمون، مستلهمين الحلول من سوابقهم وسوابق سلفهم والأشباه والنظائر إذا لم يجدوا في كتاب الله - تبارك وتعالى - وسنة نبيِّه ﷺ بُغيتهم، وقد اجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد، وصنفوا في أصول التقاضي والأحكام والدعاوى ما عجزت سائر الأمم عن الإتيان بمثله، بل سبقوا إلى تأصيل النظريات القانونية التي يُفاخر القانونيون المعاصرون بتأصيلها وذِكرها في كتبهم.

وفي الجملة كانت الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس والأوحد للأحكام في بلادنا حتى نهاية القرن الماضي حين تزايد النفوذ الأجنبي الذي استهدف إقصاء الشريعة وإفساد المسلمين، فخلال سنوات من هذا النفوذ أُنشئت المحاكم المختلطة ووضعت لها القوانين التي استمدت بصفة أساسية من قوانين الدول الاستعمارية؛ فالإنكليز فرضوا القوانين الإنكليزية في الهند

(*) القاضي بمحكمة بنها - مصر.

والسودان، والفرنسيون فرضوا قوانينهم في الجزائر والمغرب وتونس ومصر (منذ احتلالهم لها قبل الإنكليز)، والإيطاليون فرضوا قوانينهم في ليبيا (بعد احتلالهم لها سنة ١٩١١م)، وكان ذلك بدايةً لاستمداد مجموعات كاملة من القوانين الأساسية (كقانون المرافعات، والقانون المدني، وقانون العقوبات، وقانون التجارة) من مصدر أجنبي غير شرعي لا يتصل بانتماء البلاد الإسلامي ولا بخصائصها الثقافية والاجتماعية التي حددت ذاتية أمتنا وهويتها الإسلامية بشكل واضح، وكان ينبغي أن تنعكس على الشريعة التي تحكمها وتسود فيها.

لقد أثبت الواقع بما لا يدع مجالاً للشك أن تطبيق القوانين الوضعية كان ولا زال هو أهم أسباب انتشار الجريمة وازدياد معدَّلاتها وتنوُّعها على نحو لم يكن في أسلافنا، وأن تلك القوانين لم تؤدِّ دورَها في الوفاء بمتطلبات المتقاضين وحلِّ خصوماتهم وفض نزاعاتهم؛ فلا هي زجراً حققت، ولا قضايا أنجزت، ولا حقوقاً لأصحابها سلمت؛ بل أدت الثغرات التي تملأ عباءتها إلى اللدد في الخصومات، والمماطلة في الإجراءات، وكثرة الاستئنافات، والامتناع عن أداء الحقوق والواجبات، وزيادة البغي والعدوان، وإثارة الفوضى والهمجية، وبثِّ روح الانتقام والثأر لدى المتخاصمين.

وفي هذا المقام تبرز محاسن الشريعة التي هي من وضع الخالق - عز وجل - الذي هو أعلم بأحوال عباده وأدرى بما فيه صلاحهم وما إليه عاقبة أمرهم، والتي تفردت عن التقنينات الوضعية بسمات وخصائص تجعلها أجدر بالاتباع وأَوْلى بالتطبيق؛ إذ لا تتحكم في سنها الآراء ولا تعبث في وجهتها الأهواء.

والحق أننا مهما حاولنا إبراز محاسن الشريعة في شأن مكافحة الجريمة وردع الجناة فلن نوفيها حقها، ولن نستوعب إلا قدراً يسيراً جداً من إيجابياتها ومحاسنها، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، والذي يفرضه علينا واجب الوقت هو تعريف المسلمين بمحاسن شريعتهم وتبيين علوِّ كعبها على التقنينات الوضعية، بل على أرقى تلك التقنينات، وفي ما يلي بعض محاسن السياسة الجنائية والعقابية الإسلامية:

**أولاً:** التشريع الإسلامي يحمي القيم الأخلاقية والإنسانية بنصوص أكثر فعالية من التشريعات الوضعية: فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الأخلاق، وهذه إحدى سمات التشريع الإسلامي فحسب؛ إذ توجَّه العقوبات في الشريعة الإسلامية قِبل كل ما يمس الأخلاق الفاضلة دون أن يتوقف ذلك على رضا المجني عليه أو تخلُّف ضرر ما عن الجريمة؛ لأن غرض حماية الأخلاق يعلو على غرض حماية المجني عليه في حد ذاته، باعتبار أن الغرض الأول يتعلق بالمصالح المشتركة والنظام العام للمجتمع، والتراضي بين الجاني والمجني عليه لا يجعل الفاسد صالحاً ولا يُحل ما حرم الله؛ لذا فالشريعة تعاقب على شرب الخمر والردة والفُحش والزنا والفجور والشذوذ بغض النظر عن رضا طرفي الجريمة، ولا سلطان للحاكم في العفو عن هذه الجرائم، لأن التساهل في شأنها يؤدي إلى تحلل الأخلاق، وفساد المجتمع واختلال أمنه ونظامه.

**ثانياً:** التشريع الإسلامي سبق التشريعات الوضعية في الأخذ بـ (مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات) الشهير في القوانين الجنائية والعقابية، والذي يقتضي أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص؛ إذ يميز التشريع الإسلامي بوضوح بين الجرائم التي قدَّر الله - عز وجل - لها عقوبات لا يجوز العدول عنها إلى غيرها مثل عقوبات الحدود، وبين الجرائم الأخرى التي فوض ولي الأمر في تحديد أركانها والعقوبات المقرَّرَة لها؛ وهي الجرائم التعزيرية.

والأصل الذي أخذ به التشريع الإسلامي: أنه ما عدا جرائم الحدود - وهي الردة والزنا والحرابة والسرقة والقذف وشرب الخمر - هي جرائم تعزيرية، هذا فضلاً عن أن جرائم القصاص قد حدد الشرع عقوباتها مثل جرائم الحدود ولكن على أساس عام وتساوٍ وتماثلٍ في العقوبة مع الجريمة.

وهذا المبدأ يجد أساسه في قول الله - تعالى -: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، ويقول: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨ - ٢٠٩]، فكل عقوبة أوقعها الله - عز وجل - بكل أمة سبقها إنذار بالعقوبة عند المخالفة وهو ذاته جوهر (مبدأ الشرعية).

**ثالثاً:** تنقسم الجرائم بحسب الحق المعتدَى عليه في التشريع الإسلامي إلى جرائم يتعلق العقاب عليها بالاعتداء على حق من حقوق الله - تعالى - وجرائم يقع الاعتداء فيها على حق من حقوق العباد، وهو ما تنفرد به السياسة العقابية الإسلامية، وأهمية هذا التقسيم هي أن ما يُعَدُّ من حقوق الله - تعالى - هو في حقيقة الأمر من دعائم النظام الاجتماعي الذي يقوم عليه المجتمع باعتبار أنها حقوق عامة، ويظهر أثر تلك التفرقة في أحكام التشريع في جواز العفو عن العقوبة أو تغييرها أو في قبول تنازل المجني عليه عن حقه.

**رابعاً:** المسؤولية الشخصية في الجريمة مبدأ مقرَّر في الشرع الإسلامي، وهي مسؤولية محددة بشروط وضوابط تجد أساسها في قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. [الإسراء: ١٥]

**خامساً:** تتميز (نظرية الإثبات) في الشريعة الإسلامية بجمعها بين قاعدتي (الإثبات المطلق) و (الإثبات المقيد)، والإثبات المطلق مقتضاه: أن القاضي حر في تكوين عقيدته في أي بينة يراها كافية للإدانة أو البراءة، كما في جرائم التعازير بصفة عامة؛ فكل أمر يترجح عند القاضي أنه دليل من شأنه إثبات الحق هو طريق من طرق الحكم، ومنها: الإقرار، والشهادة، واليمين إذا عجز المدعي عن البينة، والنكول عن اليمين، والقسامة، والعرف، والقرائن.

أما قاعدة الإثبات المقيد فمقتضاها أن الشرع ألزم القاضي بالتقيد بأدلة معيَّنة في بعض الجرائم لا يجوز له أن يقضي على خلافها إذا استوفت شرائطها، ولا يجوز له العدول إلى غيرها، وهذا كما في حد الزنا.

أما التقنين الوضعي فالقاعدة العامة في الإثبات الجنائي فيه: أن القاضي يتمتع بحرية كاملة في تكوين عقيدته دون قيود عليه في الاقتناع بأي دليل يُعرض عليه في الدعوى، اللهم إلا بشأن جريمة شريك الزوجة الزانية؛ حيث حدد طرق إثبات جريمته على سبيل الحصر، وهو استثناء غريب لا علة حقيقية له في الواقع، بخلاف الشريعة الإسلامية التي على الرغم من اعتمادها في منهج الإثبات الجنائي على التيسير على القضاة للوصول لما يروونه الحق في أحكامهم بتنويع الدليل، إلا أنها أوردت قيوداً على القضاة بخصوص إثبات بعض الجرائم بالنظر لخطورتها وأهميتها وشدة تأثيرها.

**سادساً:** تكفل الشريعة الإسلامية تطبيق (مبدأ إقليمية القانون) الذي تُنادي به الأنظمة القانونية الوضعية؛ وهو يعني: أن تطبق أحكام الشريعة على المواطنين المقيمين في إقليم الدولة الإسلامية؛ سواء كانوا مسلمين أو ذميين أو مستأمَنين.

ويتسع (مبدأ الإقليمية) بشأن الجرائم الحدية ليشمل ما يرتكبه المسلم من جرائم في أي بلد إذا ثبتت عليه بالأدلة الشرعية، وهو ما يكفُل إلزام المواطنين بالسلوك القويم في الخارج وَفْقاً لما يمليه عليهم دينهم وأخلاقهم.

بل ومن خصائص (مبدأ الإقليمية) في الشريعة: أنه لا ينتقص من سيادة الدولة أو حقوق شعبها؛ حيث لا يُتقيد به إذا قامت المصلحة المؤكدة على ضرورة ملاحقة مرتكب أي جريمة من الجرائم الخطيرة حتى ولو ارتكب جريمته خارج إقليم الدولة؛ سواء لمساسها بكيان البلاد أو مصالحها الجوهرية، وهنا تبرز مرونة التشريع الإسلامي وأفضليته على القوانين الوضعية الجامدة التي تصطدم في كثير من الأحيان بالمصالح الجوهرية للبلاد، وتمس بكيانها وسيادتها، وتخل بالأمن العام للمواطنين.

إن تطبيق الحدود في الجملة على غير المسلمين يجد علته - كما سبق القول - في أنها من دعائم النظام العام في المجتمع الإسلامي التي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمع بكل مواطنيه ورعايتهم جميعاً باعتبارهم يتعايشون في مجتمع واحد.

**سابعاً:** (مبدأ عدم رجعية القانون) في الشريعة له خصائص تميزه عن غيره؛ حيث يعني في التشريعات الوضعية: أن النصوص القانونية لا تسري إلا من وقت سنها، ولا تطبق إلا على الوقائع التالية على ذلك. أما في الشريعة فهذا المبدأ محدود بالجرائم التعزيرية التي يرى ولي الأمر فرضها إصلاحاً للناس والمجتمع، ولا يشمل الجرائم الحدية.

**ثامناً:** لا تقف أغراض العقوبة في التشريع الإسلامي عند حد الردع الخاص للجاني المتمثل في زجره وتقويمه، والردع العام للغير المتمثل في زجر أي فرد من المجتمع تسوِّل له نفسه اقتراف جرمه، بل تتعدَّى هذين الغرضين من حيث كونها كفارة للمُعاقَب وطهرة تُزيل عنه المؤاخذة بذنب الجرم الذي ارتكبه، وهو ما تنفرد به الشريعة دون غيرها من التقنينات الوضعية؛

إذ لا سبيل لهذه التقنينات إلى إيجاد عقوبات بديلة للعقوبات الشرعية يمكنها أن تؤدي الغرض المشار إليه؛ وما ذاك إلا لأن العقوبات الشرعية شريعة الله - تبارك وتعالى - وأما القوانين الوضعية فهي من وضع البشر.

**تاسعاً:** تكفُل العقوبات الشرعية تحقيق العدل بين الجاني والمجني عليه، لا سيما في جرائم القصاص؛ حيث تقوم على أساس (الجزاء من جنس العمل)، ولا شك أن ذلك يؤدي إلى شفاء صدر المجني عليه، وشعوره بحصوله على حقه كاملاً، فيمنعه ذلك من الثأر والانتقام، بخلاف العقوبات الوضعية التي تبخس حق المجني عليه في القصاص من الجاني، وهو ما يخلق في حد ذاته دافعاً جديداً للإجرام؛ هو الثأر والانتقام المتولد عن الضغينة التي يحملها الجاني للمجني عليه.

**عاشراً:** التشريع الجنائي الإسلامي يأخذ بمبدأ تفريد العقاب فيفرق في العقوبة من حيث النوع والقدر بحسب جسامة الجرم المرتكَب وخطورة المجرم، وهو ما يكفُل للعقوبة تحقيق أغراضها العامة (الردع العام) والخاصة (الزجر والتقويم).

ففي أغلب التشريعات الوضعية عقوبة السجن أو الحبس هي العقوبة العامة التي تُظِل معظم المجرمين، وهي في حد ذاتها لم تحقق الردع العام أو الخاص في أرقى دول العالم وأشدها تحضُّراً، بل معدل ارتكاب الجريمة في هذه الدول في ازدياد مستمر حسب ما تثبته الإحصائيات الرسمية فيها، بخلاف الشريعة الإسلامية التي تُطبق إلى جانب السجن أو الحبس عقوبات أخرى أكثر ردعاً كالرجم للزاني المحصن، والقطع في حدَّي (السرقة والحرابة)، والجلد في حدود الزنا والقذف وشرب الخمر[1].

فهذه الجرائم لما كانت المفسدة فيها عظيمة ثابتة لا تتبدل مهما اختلف الزمان والمكان، استلزم ذلك أن تكون العقوبات عليها مؤلمة لتحقِّق الزجر والردع والتأديب للشريرين والمفسدين.

ولما كانت المفسدة في هذه الجرائم متنوعة بحسب الحق المعتدى عليه من كليات الدين الخمسة (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، فقد استلزم ذلك أيضاً أن تكون العقوبة متنوعة ومناسبة لكل جرم. يقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: (فلما تفاوتت مراتب الجنايات، لم يكن بدٌّ من تفاوت مراتب العقوبات، وكان من المعلوم أن الناس لو وُكِلوا إلى عقولهم في معرفة ذلك، وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الجناية (جنساً ووصفاً وقدراً) لذهبت بهم الآراء كل مذهب، وتشعبت بهم الطرق كل مَشْعَب، ولعظم الاختلاف واشتد الخطب، فكفاهم أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مؤنة ذلك، وأزال عنهم كلفته، وتولَّى بحكمته وعلمه ورحمته تقديره (نوعاً وقدراً)، ورتَّب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة، ويليق بها من النكال)[2].

هذه بعض ملامح السياسة الجنائية والعقابية في الشريعة الإسلامية، وهي غيض من فيض، وقطرة من سيح وقليل من كثير؛ وإلا فإن محاسن الشريعة في هذا المجال تتسع له المجلدات لا هذه الصفحات.

لقد بات الرجوع إلى التشريع الإسلامي ضرورة قصوى حتى لا تكون ثمة فجوة بين طبيعة واقع المسلمين الاجتماعي وبين القوانين التي تحكمهم؛ فلا ريب أن القانون ينبغي أن يعكس بصدق أحوال المجتمع المادية والفكرية وأن يحقق متطلباته وآماله.

وإذا كانت التشريعات الوضعية قد أصَّلت لمناهجها وَفْقاً للقواعد والنظريات التي درج شُرَّاح القوانين على إدراجها في القسم العام منها، فإن الفقه الإسلامي أيضاً قد سبق إلى كثيرٍ من هذه النظريات والقواعد على أساس أحكام القرآن الكريم أو السُّنة المطهرة أو الاجتهاد الفقهي؛ سواء من حيث نطاق التشريع وتطبيقه من حيث الزمان والمكان، وكذلك أركان الجرائم، وإثباتها وشروط المسؤولية الجنائية، والاشتراك في الجريمة، وأسباب الإباحة وتنفيذ العقوبات، وأسباب وَقْفِها، بما يُعد في الحقيقة سبقاً علمياً لعلماء المسلمين منذ قرون في مجال التشريعين (الجنائي والعقابي)، والحقُّ أنه لا مجال للمقارنة بحال من الأحوال بين ما شرَّعَ الله العليم الحكيم، وما قنن البشر القاصرة عقولهم، المحدودة فهومهم المشوبة بتسلط الهوى والشهوة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. [المائدة: ٥٠]

هذا والحمد لله، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) تُعد عقوبة الجلد بصفة خاصة من أكثر العقوبات ردعاً للمجرمين، وهي ذات حدين فيمكن أن يُعاقب بها كل مجرم بالقدر الذي يلائم جريمته ويتفق مع شخصيته في آن واحد، وتمتاز هذه العقوبة أيضاً بأنها تنفذ في الحال فلا تُثقل كاهل الدولة ولا تعطل المحكوم عليه عن عمله، ولا تُعرِّض المحكوم عليه لخطر السجن ومخالطة الأشرار، ولا تمس آثارها سوى المحكوم عليه ممن يعولهم أو يلتزم نحوهم بالتزام شرعي؛ ولهذا كانت أكثر العقوبات التي استخدمها الولاة والقضاة قديماً في ردع المجرمين في جرائم التعازير.

(٢) إعلام الموقعين: ٢ / ١١٥.

# تحريف التوراة... متى وكيف؟ (١)

فيصل بن علي الكاملي(*)
popedia@windowslive.com

تُعَدُّ تسمية «الكتاب المقدس» بهذا الاسم محاولةً من قِبَل نصارى العرب لإيجاد مرادف عربي للمصطلح الإنجليزي (Holy Bible)[١]. لكن كلمة Bible التي تشير إلى مجموع الأسفار «المقدسة» لدى اليهود والنصارى هي اشتقاق من الكلمة اليونانية biblia وتعني «كُتيِّبات» لا «كتاباً». كما أن الكلمة اليونانية biblia هي مُصغَّر byblos؛ أي «ورق البَرْدِي» الذي كان يُجلَب من سواحل المدينة الفينيقية العتيقة Byblos وهي اليوم «جبيل» في لبنان[٢]. فالكلمة إذن تعني «لفائف» ضُمَّ بعضها إلى بعض. والأَوْلى الاقتصار على تسميته «كتاباً» دون وصفه بـ «المقدس» عند الإشارة إلى مجمل ما يؤمن به اليهود والنصارى من أسفار العهدين (القديم والجديد)؛ ذلك بأن هذا هو اللفظ الذي استعمله القرآن في مثل قوله – تعالى –: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ... ﴾ [ البقرة: ٧٩ ] الآية، ولأن قدسية الكتاب لم تَثبت واقعاً حتى عند كثير ممن يتعبَّد به.

يختلف كتاب اليهود عن كتاب النصارى في جوانب مهمة. فكتاب اليهود يضم تسعة وثلاثين سفراً كتبت في أصلها بالعبرانية عدا بعض الأجزاء التي كتبت بالآرامية (أو الإرَمية)، وليس منه ما يؤمن به النصارى مما يسمى «العهد الجديد». أما كتاب النصارى فيتألف من قسمين: «العهد القديم» وهو أسفار اليهود التسعة والثلاثون بالإضافة إلى «العهد الجديد» ويضم سبعة وعشرين سفراً يزعم جمهور علماء أهل الكتاب أنها سطرت في أصلها بلسان الإغريق[٣].

لكنَّ نسخة العهد القديم التي تتبناها الكنيسة الرومية الكاثوليكية تزيد بسبعة أسفار عن أسفار اليهود خلافاً لنسخة البروتستانت التي تقتصر على الأسفار التسعة والثلاثين. وتُعْرف هذه الإضافات عند الروم الكاثوليك بـ – Deuer canonical Books أو «الأسفار الثانوية»، وتُدعى عند البروتستانت «أبوكريفا» Apocrypha، وهي كلمة يونانية الأصل وتعني «المخفيَّات»؛ أي الأسفار التي لا يُعلم حالها؛ ولذا أُخرجَت من قائمة الأسفار القانونية.

يعرف العهد القديم أو التوراة العبرانية عند اليهود بالـ «ت – ن – ك» (وتُقرأ «تَناخ»)؛ وهي كلمة مركَّبة من الأحرف الأُوَل من كل قسم من أقسامه: تُوراه (التوراة أو الشريعة أو التعليم)، نبييم (الأنبياء)، وكتوبيم (الكتب).

(*) باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان – يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لمجلة البيان.

(١) يستعمل بعض نصارى العرب الكلمة الإنجليزية Bible بأحرف عربية دون ترجمة هكذا «بَيْبل». فيقال – مثلاً –: كلية العلوم البيبلية.

(2) Random House Webster's Unabridged Dictionary, CD version 3.0 (Random House, Inc., 1999). (Under "Bible").

(3) Bruce M Metzger & Michael D Coogan (Ed.), Oxford Companion To The Bible (Oxford & New York: Oxford University Press, 1993) p. 79.

## ١ – التوراة:

تضم التوراة (وتسمى أحياناً «بِنتاتيوك»)[١] خمسة أسفار هي: التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، والتثنية. ويحوي هذا القسم من التوراة العبرانية سلسلةً من القصص، تتخللها بعض التشريعات، وتقدِّم سرداً لمجموعة من الأحداث تبدأ بخلق السماوات والأرض وتنتهي بموت موسى، عليه السلام[٢].

وعلى الرغم من الجدل المحتدم حول نسبة هذه الكتب إلى موسى – عليه السلام – فإن التقاليد اليهودية والنصرانية تؤكد على نسبة تدوين هذه الأسفار الخمسة إلى موسى – عليه السلام – وتنتصر لذلك ببعض نصوص التوراة العبرانية. لكنَّ ورود بعض هذه النصوص بصيغة الغائب يزيد الأمر تعقيداً. نقرأ على سبيل المثال في (سفر التثنية ٣١: ٩) «وكَتَب موسى هذه التوراة وسلَّمها للكهنة... ولجميع شيوخ إسرائيل»؛ فمن هو الراوي عن موسى – عليه السلام – هنا؟

كما أن الفقرات الثماني الأخيرة من سفر التثنية – الذي هو آخر الأسفار الخمسة التي تصف وفاة موسى، عليه السلام – كانت تشكِّل حرجاً لأحبار اليهود في القرن الثاني الميلادي الذين عَدُّوا «هذه التوراة» في النص السابق إشارة إلى جميع الأسفار الخمسة السابقة لسفر التثنية. وثمة نصوص أخرى يبدو أنها كُتبت في خلفية زمنية متأخرة عن الحدث الذي ترويه.

## ٢ – الأنبياء:

وينقسم إلى قسمين: الأنبياء القدامى والأنبياء المتأخرين.

أما قسم الأنبياء القدامى: فيشمل أربعة أسفار تاريخية، هي: سفر يوشع – عليه السلام – وسفر القضاة، وسفر صموئيل، وسفر الملوك.

وأما قسم الأنبياء المتأخرين: فيشمل أربعة أعمال نبوئية، هي: سفر إشعيا، وسفر أرميا، وسفر حزقيال، وأسفار الأنبياء الإثني عشر الموسومين بـ «الصغار» Minor Prophets. وقد كانت أسفار الأنبياء الإثني عشر تُكتَب على لفافة مفردة وتحوي أسفار هوشع ويوئيل وعاموس وعُبَديا ويونس (أو يونان) – عليه السلام – وميخا وناحوم وحبَقوق وصفنيا وحجَّاي وزكريا (وهو غير النبي عليه السلام) وملاخي. لذا فإن قانون[٣] «الأنبياء» العبراني يحوي في عمومه ثمانية أسفار.

أما قانون «الأنبياء» عند النصارى فلا يخصص قسماً لـ «الأنبياء القدامى» بل يُدخِلهم تحت مسمى «الأسفار التاريخية». كما أنه يستعير سفرين من قسم «الكتب» هما مراثي أرميا وسفر دانيال، عليه السلام. بَيْد أنه يَفصل الأسفار الإثني عشر كُلاً على حدة فيكون بذلك عدد أسفار «الأنبياء» سبعة عشر عند البروتستانت؛ أما الكنيسة الكاثوليكية فإنها تزيد على ذلك سفر «باروخ» الذي رفضته الكنيسة الأورثوذكسية في مجمع أورشليم المنعقد عام ١٦٧٢م.

أما في ما يخص «الأنبياء القدامى» فإن القانون البروتستانتي – على غرار النسخة السبعونية[٤] – يفصل سفرَي صموئيل والملوك إلى صموئيل الأول وصموئيل الثاني، وكذا الملوك الأول والملوك الثاني. أما الكنيستان الكاثوليكية والأورثوذكسية فقد كانتا تُقسِّمان السفرين إلى أربعة: الملوك الأول والثاني والثالث والرابع دون ذكر لاسم صموئيل. لكنَّ جُلَّ الترجمات المعاصرة تلجأ إلى التقسيم المتبع في النسخة السبعونية[٥].

## ٣ – الكتب:

وهي القسم الثالث من أقسام التوراة العبرانية. ويحوي هذا القسم مجموعة متفرقة من الكتابات المقدسة لدى اليهود لم يمكن تصنيفها تحت «التوراة» أو «الأنبياء». وليس لهذه الكتابات وحدة أدبية بل تشمل ترانيم دينية (المزامير ومراثي أرميا)، وشعراً غزلياً (نشيد سليمان)، وحِكَماً ووصايا (الأمثال، وأيوب، والجامعة)، وتاريخاً (أخبار الأيام وعزرا ونحميا)، ورؤى ونبوءات (دانيال عليه السلام)، وقصة قصيرة (رُوث)، وحكاية غرامية (إستير)[٦].

هذا عرض مبسَّط لأسفار العهد القديم أو «التوراة العبرانية» أردت منه التمهيد لمقال لاحق – إن شاء الله – يعلِّق على قول الحق – تبارك وتعالى –: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ [البقرة: ٧٩] الآية، وكيف حُرِّفَت التوراة فأصبحت أسفاراً بعد أن كانت سفراً.

---

(١) البنتاتيوك Pentateuch كلمة يونانية الأصل وتعني: «الأسفار الخمسة».

(2) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM (Encyclopaedia Britannica, Inc, 19942002-), (Under "Torah").

(٣) تستعمل كلمة «قانون» canon في مثل هذا السياق بمعنى قائمة الأسفار المعتمدة في مقابل تلك المشكوك في صحتها.

(٤) السبعونية: هي أقدم ترجمة يونانية للتوراة العبرانية.

(5) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under "Biblical Literature, Nevi'im").

(6) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under "Biblical Literature, Ketuvim").

# الحَلْقَة المفقودة

منصور باوادي

يقول - تعالى - في كتابه العزيز ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣] وفي الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

هذان النصان الكريمان يجسدان حركة الحياة التي كانت سائدة آنذاك؛ حيث كانت القيادة والأفراد على قلب رجل واحد؛ لا توجد انقسامات ولا تحزُّبات ولا حَلَقات مفقودة بين الرأس وسائر أعضاء الجسد، وهذا ما أغاظ بعض اليهود؛ فحاول أن يستغل بعض الماضي ويوظفَه لزعزعة الحاضر وإقلاق المستقبل، فدسَّ بين الصفوف من يذكِّرهم بيوم بُعَاث حتى اشتد القوم وكادوا أن يهلكوا، حينها بادر النبي ﷺ لاحتواء الموقف وسرعة معالجته حتى هدأت النفوس وسكنت.

إن المجتمعات - سواء كانت صغيرة أو كبيرة، دعوية كانت أو تنظيمية - إذا لم تتصل الحلقات بين الأفراد والقيادات فيها، وبقيت هناك حلقات مفقودة بين الطرفين، فستظهر الإشكالات والقلاقل؛ ومن أبرزها الثرثرة الجانبية في ما بين الأفراد، وهو ما ينعكس بدوره على أداء الأفراد وحيويتهم وفعاليتهم مع دعوتهم، وربما تفاقمت الأمور ووصلت إلى حدِّ تبادل الملامة والتهم بين الأطراف العليا والأفراد وتحميل كل طرف مسؤولية الفشل؛ ففي غزوة حنين (هوازن) - مثلاً - نجد أن النبي ﷺ عندما وصلته بعض الأقاويل من بعض أتباعه الشباب على بعض الإجراءات؛ وهي تقسيم الغنائم على قريش وبعض قبائل العرب وتَرْك الأنصار؛ حيث وجد الأنصار في أنفسهم من هذا التصرف، وأخبر سعد بن عبادة النبي ﷺ بما قاله الأنصار، فطلب منه أن يجمع له قومه، ثم جاء ﷺ فقال: «ما قالة بلغتني عنكم وجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم: ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمنُّ وأفضل. قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنُّ والفضل؟ قال: أما والله! لو شئتم لقلتم فلَصدَقْتم وصُدِّقْتُم: أتيتنا مُكَذَّبا فصدَّقْناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فأغنيناك. أَوَجَدْتُم في أنفسكم - يا معشر الأنصار - في لُعَاعَةٍ من الدنيا، تألَّفْتُ بها قوماً ليُسلموا وَوَكَلْتُكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون - يا معشر الأنصار - أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده! لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً، وسلكت الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعْبَ الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار! قال: فبكى القوم حتى أَخْضَلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قِسْماً وَحَظّاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا»[2].

تمعَّن - يا رعاك الله - في هذا المجلس الأخوي العظيم؛ إنه - والله - موقف المربي المحب الرؤوف الرحيم قبل أن يكون موقف القائد الحاسم الحازم، وانظر لهذا العتاب الجميل الممزوج بكل معاني الحب والوفاء لهذا الحي العظيم؛ لقد استحقوا أعظم تكريم وأجلَّه، وهو أعظم من كل غنيمة في الغزوة. هنا يبرز تقدير

(١) صحيح البُخَارِي: ٨/ ١١ (٦٠١١)، ومسلم: ٨/ ٢٠ (٦٦٧٨).

(٢) أخرجه أحمد: ٣/ ١٥٧ (١٢٦٢٩)، والبخاري: ٤/ ١٥٧٦ (٤٠٨٢).

القائد الفطن لاحتواء أي مؤشرات من شأنها أن تخلق حالة مثل فَقْد الحَلْقات بين الأفراد وقادتهم، ولسرعة التفادي وعدم ترك مساحة يستثمرها الشيطان لتتسع الحَلْقة وتكبر.

وكان من هَدْيه ﷺ حرصُه على ردم هذه الهوة بينه وبين أتباعه؛ فلا يسمح بوجود مثل هذه الحَلْقة المفرغة، ومن الأَوْلى أنه لم يكن يسمح باتساعها وكِبَر مساحتها؛ فكان هو من يبادر إلى إزالة هذه الحلقة وهو من يبدأ تعزيز الثقة والتواصل الإيجابي بينه قائداً ومربياً وموجهاً، وبين أتباعه أفراداً وأتباعاً وفريقاً؛ لأن القائد هو من تُلقَى على عاتقه إزالة هذه الحلقات بينه وبين الأفراد. فكان ﷺ يراعي الأمور التي هي دقيقة هامشية في تصوُّر بعض الناس اليوم، ويعطيها حجمها من الاهتمام والرعاية؛ ولا أدل على ذلك من صلاته على المرأة السوداء[1] التي كانت تقمُّ المسجد (أي: تنظفه) عندما افتقدها فسأل عنها فقيل: ماتت من الليل ودُفنت، وكرهنا أن نوقظك، فذهب إلى قبرها وصلى عليها. إن هذا التصرف نابع من حرصهم على عدم إيقاظ النبي ﷺ كما صرَّح به في الرواية، وأيضاً لشعورهم بأن المرأة لم تبلغ تلك المنزلة والمكانة التي تستوجب إخبار النبي ﷺ في وقت كهذا، كما في رواية مسلم الذي قال: «فكأنهم صغروا أمرها أو أمره»[2].

وهنا يأتي دور المربي الذي لا يعرف بين أنصاره فئة هامشية لا تستحق أكثر من فتات وقته، متعذراً بمشقة المهام وجسارتها، إنه ﷺ يرسل الرسائل من خلال هذا الحرص والاهتمام بالأفراد مهما كان دورهم وترتيبهم في سُلَّم أولوياته إلى كافة الأفراد والأتباع؛ أنهم شركاء في مشروع البناء ومن ثَمَّ لا بد أن تتصل جميع الحلقات حتى يكتمل البناء ويثبت، ويحرص أيضاً على أن يستفيد أصحابه مما أعطاه الله وحباه من العطايا والمزايا فيسخِّرها لهم ويوظفها لأجلهم، وإن غيَّب الواحدَ منهم الموتُ، فإن هذا من شأنه أن يجعل الأفراد يلتفُّون حوله ويتصلون به وينضمون إليه، فقد خرج ﷺ إلى البقيع وصلى على أهله ودعا لهم وقال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم».

لقد جمع ﷺ بين وظيفتين عظيمتين وهما: القيادة والتربية، ولا تجتمعان في كل أحد؛ فمن جمعهما لم يفقد مَن تحتَه، ولم تنفلت الأمور من يده، ولن تكثر الحلَق المفقودة بينه وبين أفراده. وبالنظر إلى واقعنا الدعوي والمؤسَّسي نجد أن هناك قادة ليسوا بمربيين، أو مربين ليسوا بقادة وهذا ما أحدث شروخاً في مشاريعنا الدعوية والمؤسسية.

وفي سيرة المصطفى ﷺ نجد سلامَه على الصبيان كلما مرَّ بهم، وعيادتَهم وملاطفتَهم والرفق بهم... كل ذلك يعكس صورة حية تجسد الشعور بإبقاء الاتصال وعدم ترك حلقات مفقودة مع كافة الشرائح؛ وعدم إهمال أي شريحة مهما كان وضعها الاجتماعي، وهذا يعزز من ترسيخ مكانة القائد في محيطه، وهو ما يجعل حضوره في نفوس أتباعه أكبر من حضوره الحسي بينهم، ومن هنا نجد أن الصحابة - رضوان الله عليهم - ونتيجة لشدة تواصله معهم كانوا يُطلِعُونه على تفاصيل حياتهم الخاصة، التي لو أخفاها الواحد منهم عنه لم ينله إثم ولا حرج، ولكن الحلقة المفقودة التي نشكوا منها اليوم لم تكن موجودة حينها.

إن القيادة الفعالة هي من تستطيع أن تكتشف وجود هذه الحلقات أولاً ثم تقدِّر مدى سعتها وأثرها في الأفراد ثم تضع المعالجات والخطوات التصحيحية الفعالة والبنَّاءة لإزالتها أو تصغير حجمها، ولن تجد القيادة أفضل من السيرة النبوية وسيرة السلف الصالح منهجاً تستعين به في إزالة مثل هذه الحلقات المفقودة؛ ولذا فمن المعيب أن لا تتمتع القيادة بحس مرهف، وفطنة لطيفة، وفهم ثاقب، وغوص شديد في معاني هذه السيرة العطرة.

إن من أبرز العوامل التي تزيل هذه الحلقة المفقودة بين القيادة والأفراد أن تكون القيادة تمثل القدوة الحسنة في كثير من الجوانب الحياتية، وأن يرى فيها الأفراد النموذج الأعلى لهم في حياتهم، وأن تكون بعيدة عن مواطن الشُّبَه والريبة، وأن تتمتع بقدر عالٍ من المصداقية والشفافية بعيدة عن الغموض، وهذه هي تكلفة القيادة لمن أراد أن يمتطيها؛ فلا بد أن يبرز في شؤون حياته ويتقن إدارتها؛ حتى لا يكون سبباً في تكثير هذه الحلقات، لقد كان النبي ﷺ مثالاً أعلى وقدوة حسنة لأصحابه؛ يرونه سباقاً في كل ميدان وحدث، قد حاز من الفضائل والسجايا ما كسب بها حب أصحابه وودَّهم. قال الله - تعالى - مخاطباً إياهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]. وكان أصحابه يرون أفعاله ويسمعون كلامه فكان مما يزيدهم حباً فيه وحرصاً للقرب منه، وكانوا يتنافسون على طاعته وإرضائه، وهكذا تلاشت هذه الحلقة بينه وبين أتباعه.

إن القيادة أمانة، وإنها خزي وندامة؛ إلا من أخذها بحقها، وهي فن وذوق وإبداع، وليست عبوساً وشدة وغلظة واكفهرار وجه؛ فمن عرف مفاتيحها سهل عليه ممارستها، وإننا بحاجة ماسة لفقهها وإتقانها، ومعرفة إدارتها وتطبيقها، ولربما قاد الصغيرُ جحافلَ الشيوخ، ونطق باسم القوم أصغرُهم سناً.

(١) أخرجه أحمد: ٢/٣٨٨ (٩٠٢٥)، والبخاري: ١/٤٨٨ (١٢٧٢)، ومسلم: ٢/٦٥٩ (٩٥٦). ورد في الحديث: «أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء» الشك فيه من ثابت؛ لأنه رواه عنه جماعة هكذا أو من أبي رافع، انظر فتح الباري: ١/٥٥٣.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٦٥٩ (٩٥٦).

# بصائر من تذكرة سورة (عبس)

أبو عمر الدعيج

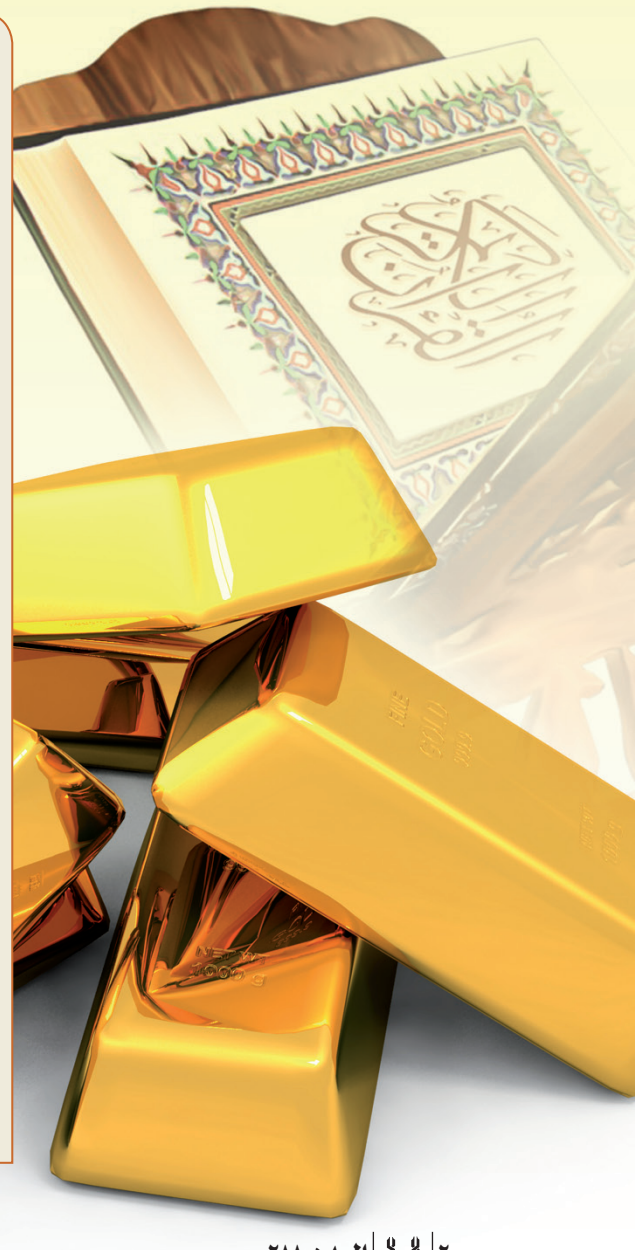

لم تعرف البشرية ولن تعرف أعظم مِنْ خُلُق محمد ﷺ، ولم تعرف الدعوة ولن تعرف أحرص منه ﷺ على هداية الناس حتى كادت نفسه الزكية تذهب حسرات من شدة حَدَبه على هداية من يدعوهم، وسعيه في ذلك أعظم السعي حتى نزلت آيات تدعو إلى الرفق بتلك النفس الحريصة الرؤوفة الرحيمة: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ [الكهف: ٦]، و ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر: ٨].

ومن المواطن التي تجلَّى فيها حرصه ﷺ على هداية من يدعوهم ما قصَّه الله - تبارك وتعالى - علينا من خبره ﷺ في سورة عبس؛ حيث كان مشغولاً في دعوة أحد كبراء قومه من المشركين وحريصاً على هدايته، وبينما هو على تلك الحال جاءه الأعمى (عبد الله بن أم مكتوم) - رضي الله عنه - يتفقه في الدين ويتزود من الخير، فعبس ﷺ وتولى وتلهَّى، وحاشا صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يصدر ذلك عنه ازدراءً أو تنقُّصاً لذلك الأعمى أو طلباً لعَرَض دنيوي من ذلك الكافر المستغني؛ وإنما الدافع هو الحرص على نجاة من لم يَنعَم بالهداية بَعْد؛ حيث إن الأعمى من المهتدين الناجين؛ أما ذلك المستغني فلا زال في الهالكين، ثم إنه ذو شأن في قومه؛ وفي هدايته هدايتهم أو تخذيلهم عن محاربة الدعوة على أقل تقدير. فكان منه ﷺ ما كان، ونزل العتاب الإلهي في آيات جعلها الله تذكرة ما بقي كتاب الله يُتلى ويُتدبَّر، وقد جاءت تلك التذكرة ببصائر عظيمة، منها:

**البصيرة الأولى:** الحرص على هداية الناس خَلَّة عظيمة في مَن شَرُف بحمل لواء الدعوة؛ ولكن ينبغي أن يكون حرصاً معتدلاً؛ بحيث لا يضر بنَفْس الداعي أو يثبط عزيمته أو يقعده عن الدعوة كما لا يسوغ حرصٌ تُقدَّم فيه مصلحة متوَهَّمة على مصلحة متحققة.

**البصيرة الثانية:** الداعي إلى الله - تعالى - عزيز عنده - سبحانه - ولذلك رفق وتلطَّف بسيد الدعاة ﷺ فخاطبه أولاً بخطاب الغائب؛ وكأن المقصود غيره ﷺ! وهكذا يكون التعامل مع الدعاة إلى الله - تعالى - عندما يحصل منهم خطأ في سبيل الدعوة فتُستشعَر مكانتهم ويُغلَّب جانب التماس ما يرفع الملام عن الدعاة الكرام.

**البصيرة الثالثة:** ﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]: في التعبير بالأعمى تنبيه للدعاة إلى الله - تعالى - على ضرورة مراعاة اختلاف المدعوِّين في قدراتهم ومداركهم وفهومهم مما يكون معه تعرُّض المدعو للداعي بما يكره دون قصد من المدعو.

**البصيرة الرابعة:** ﴿أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]: لم يوصف بالمؤمن مقابَلَة بالكافر أو الراغب مقابلة بالمستغني؛ ولعل في ذلك إشارةً إلى ضرورة مراعاة الداعية للضعفاء من المؤمنين الذين هم سبب الرزق والنصر؛ والحذر من إغضابهم مراعاة للكافر كائناً من كان؛ فإن في إغضابهم إغضاب الرب - تبارك وتعالى - كما جلاَّ ذلك ﷺ في قصة الصدِّيق مع سليمان وصهيب وبلال - رضي الله عنهم - حيث راعى الصدِّيق - رضي الله عنه - هداية شيخ قريش وسيِّدِهم لـمَّا قالوا: والله! ما أخذتْ سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وحاشاه - رضي الله عنه - أن يقصد إغضابهم؛ لكنه راعى مصلحة الدعوة؛ بأن لا يسمع أبو سفيان ما قد يحول دون هدايته، ومع ذلك تأتي مصلحة المحافظة على رأس المال، ومراعاة المصلحة المتحقِّقة دون المتوهَّمة، وتعظيم مَنْ حقُّه التعظيم، فيعود الصديق متلطفاً مع أولئك النفر طالباً معذرتهم وحاذراً إغضابهم فيقول: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ فيقولون: لا. رضي الله عنهم أجمعين.

**البصيرة الخامسة:** ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٣]: فيه إشارة إلى الحذر من الإعراض عن المؤمن في الدعوة مهما كانت حاله؛ فلعل الله يجعل على يديه من التزكي والرفعة للإسلام والمسلمين ما لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ فكم جعل الله من الخير والنفع في أناس لا يؤبَه لهم وكفى شراً أن يُحقَّر مسلم كائناً من كان! فكيف إذا كان ذلك الاحتقار في مجال الدعوة؟

**البصيرة السادسة:** ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ٤]: فيها إشارة إلى أهمية تقديم مصلحة مراعاة المؤمن ولو كانت هدايته قاصرٌ نفعُها على نفسه؛ فهو أَوْلى من التصدي للمعرِض.

**البصيرة السابعة:** ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٧]: ليس على الداعية إلا دعوة الناس لا هُداهُم ولا يضره عدم تزكِّيهم فليس عليه إلا البلاغ فَلْيلتزم في بلاغه المنهج الموافق لمراد الله وَلْيَحذر ما يشتط به عن السبيل، والنتائج بعد ذلك مردُّها إلى من له الحكمة البالغة فيهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

**البصيرة الثامنة:** ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٧]: إن الحرص في الدعوة ينبغي أن يكون متجرداً لغرض هداية المدعو وتعبيده لرب العالمين لا لغرض الانتفاع به؛ وإنما ذلك يأتي تبعاً إذا أراده الله، تبارك وتعالى. ثم إن المخلوق يحب ويكره ولا يدري في ما فيه الخير والشر ولا النفع والضر؛ وإنما ذلك مرده إلى الله تعالى. وبهذا المنهج يسلم الداعي من التصدي للمُعرِض المستغني، أو التولي والتلهي عن المقبل الراغب؛ فيحرص الداعية على الجميع لخيرهم هم، وعند التعارض يقدِّم المقبلَ الراغبَ في الدعوة والداعية؛ والخير كل الخير في التزام شرع الله ولزوم مراده؛ فلا يُحكِّم الداعية عقله ولا يُقدِّر المصالح في مسائل لا يسعه فيها الاجتهاد، وإذا وسع الاجتهاد فعليه أن يتأمل كثيراً في ما يعارض ذلك الاجتهاد.

**البصيرة التاسعة:** قد يتحاشى الداعية عرض بعض القضايا التي قررتها الشريعة؛ يريد بذلك مراعاة تزكِّي المدعو وهدايته، ولعل في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٧] رفضاً

لهذا المنهج والمعتقَد؛ فهيهات هيهات أن يكون في ما شرع الخبير العليم ما يكون سبباً لنفور المدعو إذا تجرد للحق، وإذا كان هذا المنهج مردوداً مع من حسُنت نيَّته ممن يراعي مصلحة الدعوة؛ فكيف بمن يتهرب من عرض تلك القضايا ويروغ عند ورودها خجلاً وانهزاماً أمام من لا يؤمن بها؛ وخصوصاً إذا كان ذلك الكافر من أولئك القوم الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ممن غرتهم حضارتهم، وفتنهم ما هم فيه من علم دنيوي؟

**البصيرة العاشرة:** أن ما فعله ﷺ من الإقبال والحرص على هداية المشرك أمر مشروع، ولعل غاية ما فعل أنه ﷺ ترك الأَوْلى؛ ومع ذلك ينزل هذا العتاب الإلهي، وهو ما يبيِّن عِظَم وخطر مسألة الدعوة وضرورة التحري الدقيق في مسائلها ووسائلها وأساليبها والمصالح المراعاة فيها.

**البصيرة الحادية عشرة:** أن ما فعله الأعمى من الإقبال على النبي ﷺ في تلك الحال أمر غير مناسب منه - رضي الله عنه - ومع ذلك ينزل العتاب على النبي ﷺ، وفي ذلك تربية للدعاة إلى الله - تعالى - أن عليهم مراعاة المدعوين وتحمُّل أخطائهم واستشعار أن التبعة عليهم مهما أخطأ غيرهم.

**البصيرة الثانية عشرة:** ينبغي للداعي إلى الله - تعالى - أن لا يتهرب من الإقرار بالخطأ تمادياً في الباطل؛ بل عليه أن يفرح بالتنبيه على خطئه، وأن يحمد لصاحبه صنيعه؛ إذ هكذا كان نبينا ﷺ؛ فقد بالغ في إكرام ذلك الأعمى (الذي عوتب من أجله)، ورفع منزلته، وكان يرحِّب به كلما رآه، ويقرن ذلك الترحيب بذكرى العتاب إشعاراً منه ﷺ بأهمية العتاب في تصحيح المسار والترقي في الكمال.

**البصيرة الثالثة عشرة:** ما صدر عنه ﷺ من أفعال مع أعمى لا يراها ومع ذلك ينزل العتاب؛ فكيف بمن يتعرض لمن يسمع ويرى ما لا يليق؟ بل كيف بمن يتعمد الإساءة؟ إنه منزلَق خطير ينبغي استشعاره والتنبه له في التعامل مع المقبل على الله - تعالى - فكما أن فضل الإحسان في الدعوة عظيم كذلك فإن تَبِعة الإساءة فيها عظيمة.

**البصيرة الرابعة عشرة:** ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: ٦]: لعل في عتبه - جل وعلا - لرسوله ﷺ بالتصدي لذلك المعرِض المتكبِّر إشارةً إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله - تعالى - أن يُذِل نفسه ويشغلها بالإقبال على أهل الكبر والإعراض؛ وأن عليه أن يستشعر عزَّته وعلوَّه بما يحمل من الحق والخير؛ فلا يكترث بالمستغني كائناً من كان؛ بل الأَوْلى الإعراض عنه واستشعار أنه أحرى بالتحقير والذم؛ وذلك أنه لا حيلة في أهل الكبر على الحق ومن جاء به؛ إذ قضى الله صرفهم عن طريق الهداية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

**البصيرة الخامسة عشرة:** على الداعي أثناء تعامله مع المدعو استشعار أن الجزاء من جنس العمل؛ فعليه أن يكون مع المدعوين من حيث الإقبالُ والعفوُ والصفحُ ونحوها كما يحب أن يكون الله - تبارك وتعالى - معه في الدنيا ويوم العرض عليه - سبحانه وتعالى - فقد ذكر بعض المفسرين أن في مخاطبته ﷺ بلفظ الغائب مبالغة في العتب بخلاف المعنى المشهور من أن المراد التلطف؛ حيث إن في ذلك بعض الإعراض؛ فكما تُعرِض يُعرَض عنك. فيا لها من تذكرة ما أعظم عِبَرها وأغزرها لمن تدبرها!

فحري بالدعاة إلى الله - تعالى - خاصة الوقوف عندها كثيراً واستخلاص الدروس والعِبَر التي تزخر بها هذه التذكرة العظيمة جعلنا الله من المنتفعين بمواعظه إنه جواد كريم.

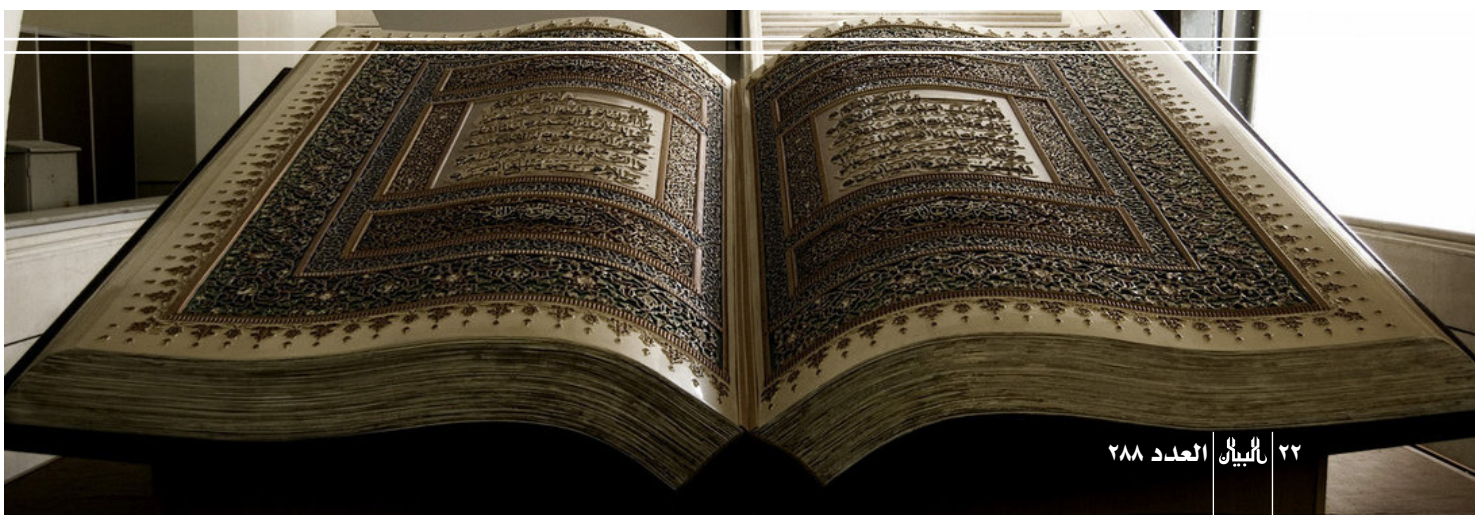

للنشر والتوزيع

# دار التدمرية

الجديد
والمخفض
دائماً

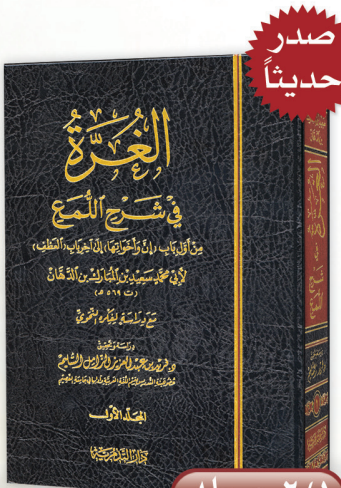


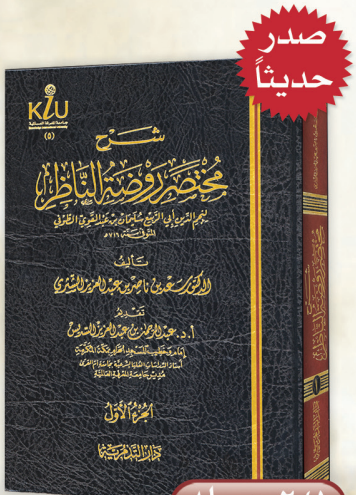


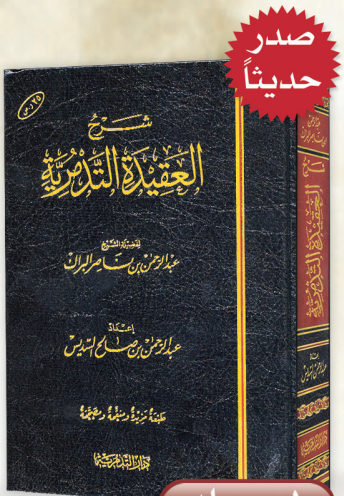


الآن

مجموع مؤلفات
وبحوث ورسائل
فضيلة الشيخ
عبد الله محمد الطيار

٢٧/١ مجلد

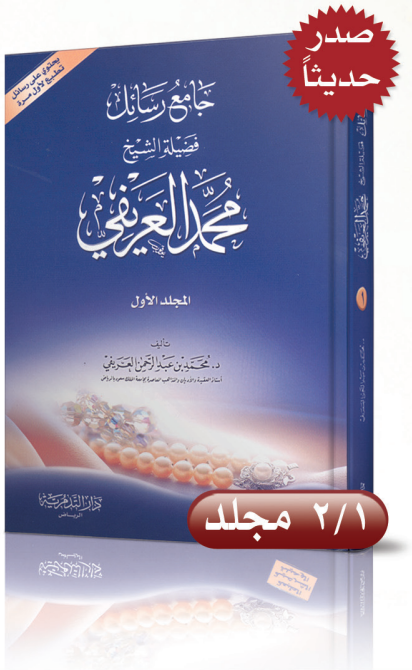


الرياض ـ الدائري الشرقي ـ جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي
الجديد هاتف: ٤٩٢٥١٩٢/٤٩٢٤٧٠٦ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
بريدة ـ طريق الشاحنات ـ حي الصفرا ـ هاتف ٣٢٦٢٢٦٢

tadmoria@hotmail.com

# الأشقاء الفرقاء...

## كيف نجعل الأشقاء أصدقاء؟

**عبد العزيز مصطفى الشامي**(*)
Omarez1973@hotmail.com

مما لا شك فيه أن الأبناء نعمة كبيرة، ومنَّة عظيمة؛ فقد أخبرنا الله – تبارك وتعالى – في سياق تعداد نعمه على عباده – كما في سورة التوحيد والنعم (سورة النحل) – أنه امتن على الناس بنعمة الأبناء، فقال – سبحانه –: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [النحل: ٧٢]، ولا يعرف مقدار هذه النعمة إلا من حُرِمَ منها.

وإن مِنْ شُكْر نعمة الولد: حسن توجيهه، والاهتمام به (تغذيةً وتأديباً وتعليماً)، والاعتناء به في كافة المجالات (إيمانيّاً، وتربويّاً، وجسديّاً، ومعنويّاً)؛ وذلك حتى تنمو الثمرة محاطة بظلال وارفة من الدفء التربوي؛ الذي يؤدي إلى أن تؤتي الثمرة أُكُلَها بعد نموها واشتداد عودها. عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»(١).

وقد كانت القبائل العربية قديماً تحرص على أن تربي أبناءها على أواصر الأخوة وشدة التماسك والتلاحم؛ ولذا كانت تشتد في ما بين أفرادها آصرة الأخوة وقوة العلاقة والتناصر، حتى ربما ينصر الأخ أخاه والقريب قريبه سواء كان ظالماً أو مظلوماً؛ فقد وصف الشاعر العربي ذلك بقوله:

لا يسألون أخاهم حين يندبُهم
في النائباتِ على ما قال برهانا

ومن الملاحظ في الأزمان المتأخرة – وهو مما يؤسف له – أن العلاقات الأسرية بصفة عامة والعلاقة بين الأشقاء بصفة خاصة صارت فاترة، خاملة، إن لم تكن في بعض البيوت في حالة موت سريري، تنتظر إعلان القطيعة،

(*) مدقق لغوي وباحث شرعي.
(١) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وضعفه الألباني.

وحلول الجفوة، وانقطاع التواصل.

وصار الولد يجد سلواه وراحته مع صديق له بعيداً عن نطاق الأسرة، يحكي معه، ويروي له، ويفيض بأنواع الحديث، مع أنه في بيته ومع إخوته ووالديه قليل الكلام، بطيء التواصل. وصارت راحة كثير من الشباب تتمثل في الخروج من إطار المنزل بتوجيهاته وتعليماته، وربما صرخاته وعقوباته، والأغرب في ذلك هو الفرار من الأشقاء والاحتماء بالأصدقاء خارج نطاق الأسرة أو معارفها.

**والسؤال الآن: لماذا لا يكون الأشقاء أصدقاء؟**

**وكيف نعيد الدفء بين الأشقاء في بعض المنازل؟**

في البداية لا بد من تقرير حقيقة مهمة، ألا وهي: أن إقامة علاقة صداقة بين صديقين ليس بالضرورة سببها البُعد عن الأشقاء أو مشكلات الأسرة؛ وإنما يعود ذلك أولاً لقَدَر الله - تبارك وتعالى - فالأصدقاء رزقٌ، هذا أولاً، وقد يرجع ذلك إلى أسباب أخرى كالمرحلة العمرية للأصدقاء، وظروف الدراسة، أو الارتباط بمحل إقامة معيَّن... إلخ.

ولكن الآباء في بعض الأحيان لا يساعدون في تقوية علاقة الأُلفة والصداقة بين الأشقاء؛ وذلك عبر بعض الوسائل الهادمة لأواصر الأخوة، ومن ذلك:

١ - حرص بعض الآباء على إرضاء الطفل الأصغر بصفة دائمة، ربما بحجج كثيرة قد يكون بعضها وجيهاً في الظاهر؛ فبعض الآباء يرون أن الابن الأكبر قادر على التحمل من الأصغر، وأن الابن الأصغر قد لا يفهم الأمور كما يفهمها الابن الأكبر؛ لذا يقعون في خطأ يفرِّق بين الأشقاء بنصرة الأصغر دائماً، وهذا أمر خاطئ؛ فالصواب أن يكون الآباء في جانب الصواب والحق، مع العطف على الصغير، وإعطاء الكبير حقه. وكذا مع الابن من ذوي الاحتياجات الخاصة.

والأصل هو العدل بين الأبناء في الحنو والعطف والمال والقبول... إلخ، حتى لا يطمع الصغير في حق غيره بصفة دائمة، ويكبر على الأثرة، وحب النفس؛ فلا يرى الصواب في الأمور إلا في صفِّه وصالحه، وأن كل قضاء وحكم ضده فهو غير مقبول؛ وإنما لا بد أن يُرَبَّى الأبناء على معاني العدل.

٢ - بعض الآباء يستخدمون بعض الأبناء في أعمال غير مشروعة ضد أشقائهم: كالتتبع، والتلصص، والتجسس عليهم، ونقل الأخبار للآباء، وهو ما يوغر صدور الأشقاء تجاه بعضهم بعضاً، ويجعلهم يتنافرون ويتقاطعون، بل ربما أبغض أحدهما الآخر، وهذا يعود في سببه الأول إلى أن بعض الآباء يزرعون (بجهلهم) بذور الكراهية بين الأشقاء.

والأصل أن يرعى الآباء أبناءهم، ويبحثوا عنهم في غير تلصص ولا تجسس، ويا لروعة الحل النبوي العظيم، ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، وإذا كنا مدعوِّين إلى تطبيق هذا الهدي النبوي مع الأغراب، فالأَوْلى أن نطبِّقه على الأبناء والأسرة، لما فيه من صيانة كرامة المخطئ، وتعريفه بخطئه دون تجريح ولا أذى؛ وذلك حتى لا نجعل بعضهم يتجسس على بعض وينقل الأخبار التي تكدر العلاقات، والتي تدفع الشقيق لمقاطعة أخيه؛ لأنه نقل سره لأبيه. فلو امتنع عقلاء الآباء من جعل بعض الأشقاء جواسيس، لربما آوى الشقيق لشقيقه، ولم يتدابرا ويتقاطعا، وكان ذلك دافعاً لتقوية آصرة الأخوة والصداقة بينهما.

٣ - أهمية الاستماع الناقد، وعدم التعجل في التخلص من مشكلات الأبناء: فمشكلات الأبناء أمر طبيعي، يتكرر في معظم البيوت، والخلاف ظاهرة صحية إذا أُحسن التعامل معها؛ إلا أن بعض الآباء لا صبر له على تحمُّل مشكلات الأبناء فضلاً عن سماعها؛ فبمجرد شكوى أحد الأشقاء من شقيقه، إلا وتعلو ثورة الأب، ويحمر وجهه، ويرتفع صوته، فيستشعر المظلوم مرارة هضم حقه وضياع فرصته في الاستماع لشكواه، فكثيراً ما تضجر الأم أو يثور الأب لمجرد شكوى أحد أبنائه، ويبادر بالصراخ أو التهديد، حتى ينتهوا عن افتعال تلك المشكلات.

وما أجمل هذا الحديث الرائع الذي يرشدنا إلى الفطنة في عرض المشكلات وأهمية الاستماع الناقد، والحرص على إيضاح أن القضاء الصوري المبني على الظاهر لا يضيع الحقوق في الآخرة؛ فعن أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْشُدكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ - وَكَانَ أَفْقَهَ مِنْهُ - فَقَالَ: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأْذَنْ لِي، قَالَ: قُلْ: قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفاً عَلَى هَذَا...»[1].

والأصل: أن يحتوي الآباء مشكلات أبنائهم، ويعمِّقون آصرة الأخوة، ويوجهونهم إلى التحابِّ، وأهمية إيثار الأخ،

(١) أخرجه البخاري: ٦٨٥٩.

والفرح له، والسرور بنجاحه، والصبر على عِوَج أخلاقه، والتحلي بفضائل الأخلاق، وأن الشقيق لشقيقه صنوان لا يفترقان، وأن الأفضل دائماً غرس أصول التحاب والإيثار بين الأشقاء، وتشجيعهم على ذلك.

٤ - عدم قبول الوشاية بين الأشقاء، وتربية الأبناء على الصدق: فإذا أغلقنا باب استماع ونقل الهفوات، نكون بذلك قد أغلقنا باباً عظيماً من الشر، وينتج عن ذلك أمران:

الأول: تدريب الأبناء على صدق الحديث.

والثاني: الابتعاد عن نقل الكلام على سبيل الإفساد.

٥ - عدم تحقير الابن ومقارنته بشقيقه الأفضل منه: فقد يتفوق أحد الأشقاء على الآخر في التعليم أو الأخلاق أو المواهب الفردية، فإذا استخدمنا ذلك في لوم أو تعنيف أو تحقير الابن غير المتفوق بتذكيره دائماً بتفوق شقيقه، وأفضليته عليه.

والأصل أن يعلم الآباء أن الواهب - جل في علاه - نوَّع أرزاق عباده، ومن ذلك ما نوَّع به أرزاق الأبناء في مواهبهم الشخصية، وميولهم وقواهم العقلية، ومميزات كلٍّ منهم، وأن الواجب على الآباء أن يبحثوا عن مجال تفوُّق ابنهم وتشجيعه عليه طالما أنه مجال نافع مفيد، منضبط شرعاً، والأفضل أن نكافئ المتميز من الأبناء دون تحقير الآخرين، مع رفع روحه المعنوية عبر تذكيره وتنبيهه لبعض المميزات في شخصيته، وذلك له أثر مهم في بناء شخصية الابن أو تحطيمه، وفي تفوق الابن أو رسوبه، وفي ثقته بنفسه أو نكوصه وخموله.

إن الآباء الناجحين ليسوا هم فقط من يكافئون المتفوق من أبنائهم، ويشكرون المُجيد منهم، ويثنون بالخير على المتميز منهم؛ وإنما أنجح الآباء وأفضلهم من يرتقي بأبنائه الضعفاء في المستوى العقلي والتحصيلي والضعف الذهني إلى مرحلة متقدمة يعتمدون فيها على أنفسهم، ويستشعرون الثقة في أنفسهم، ويخرجونهم إلى معترك الحياة أقوياء، فالآباء لن يستمروا مع أبنائهم أبد الدهر؛ وإنما الدنيا مراحل وأيام، وطفل اليوم هو أبٌ غداً، وقديماً قالوا: (من جدَّ وجد، ومن غرس حصد).

٦ - تنحية الجانب الإيماني من التربية له مفاسد جمَّة: إن الآباء الذين يحرصون على تقليد المدارس الغربية في قضايا التربية، فيُقبِلُون نَهمين على ما تدفعه مطابعهم من كتب ودراسات وأبحاثٍ كُتبت في مجال وأشخاص وواقع مغاير لواقع أمتنا، وقد تخالف في بعض الأحيان شريعة ربنا وسُنة نبينا ﷺ.

إن تنمية الجانب الإيماني وغرس القيم الإيمانية التي تمس شغاف القلوب له مفعول السحر على قوة العلاقة بين الأفراد في المجتمع المسلم؛ فإذا أحسن الآباء توجيه الأشقاء في الأسرة الواحدة لأحاديث الإخاء والحب في الله: جنوا من ذلك ثماراً طيبة، تؤدي إلى وحدة الأسرة وقوة العلاقة، وشدة الترابط، وحرص الشقيق على شقيقه، فلا تزيد الأيام العلاقة بينهما إلا قوة، ولا تنفصم الرابطة الإيمانية والأسرية بينهما لأسباب تافهة؛ كأن تفرِّق بينهما امرأةٌ (زوجة أحدهما مثلاً)، أو دنيا زائلة، أو وشاية مغرضة، أو خبر كاذب... إلخ.

٧ - أهمية ترابط الأسرة واتحاد موقف الأب والأم في علاج المشكلات بين الأبناء الأشقاء وكذا في توجيههم، حتى يكون المنهج واحداً لا يختلف باختلاف أدوار الأب والأم، فينمو الأشقاء على حب أحد الوالدين وبُغض الآخر: إن الأسر غير المترابطة (منهجيّاً، وتربويّاً، ومعنويّاً، ونفسيّاً) قد ينشأ من بين أفرادها من يسلك سبيل الانحراف؛ خصوصاً حين تتبع الأسرة أساليب تربوية غير صحيحة تعود بآثار سلبية، فقد تكون عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة خاطئة ينقصها تعلُّم المعايير والأدوار الاجتماعية السليمة والمسؤولية الاجتماعية، أو تقوم على اتجاهات سلبية، مثل التسلط والقسوة والرعاية الزائدة، والتدليل والإهمال والرفض والتفرقة في المعاملة بين الذكور والإناث، وبين الكبار والصغار، وبين الأشقاء وغير الأشقاء، والتذبذب في المعاملة... إلخ.

أيها الآباء! الزموا العدل والقسط بين الأبناء، واحرصوا على تقريب القلوب بين الأبناء، وربوا أبناءكم على أن يفرح الأخ لنجاح وسعادة شقيقه، وأن ينعكس نجاح أحد الأبناء بالسعادة والسرور على باقي الأسرة؛ تشجيعاً للمقصِّر لينجح، ودفعاً للمفرِّط للتفوق، واحذروا التقريع واللوم الكثير؛ فإنها أساليب قد تضر أكثر مما تنفع.

أسأل الله أن يبارك لنا في الأهل والولد والمال، وأن يصلح لنا ذريتنا، إنه سميع مجيب.

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (المؤمنون:92)

# حملة أمة واحدة

# أمة

نبيها واحد
قبلتها واحدة
لغتها واحدة، كتابها واحد،
ويتهددها خطر واحد

by www.exotox.com

المنظمون

رابطة الصحافة الإسلامية

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

**وحدتنا**.. قوتنا ونهضتنا.. وعنوان وجودنا

تابعونا ايضاً:
www.ummawaheda.com

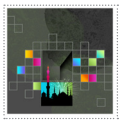



# ألبراليون هؤلاء؟

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

اللبرالية صنفان: صنف أصلي مصنوع في الغرب، وصنف مغشوش يباع في العالم العربي باسم الصنف الأصلي. أصحاب الصنف الأول يبيعون بضاعة هي من صنع أيديهم فتستطيع لذلك أن تتحاور معهم وتدلُّهم على مواطن الخلل في بضاعتهم، وهي كثيرة. وقد يستمعون إليك، وقد يعترفون لك بما في بضاعتهم من عيوب ثم يحاولون تغييرها كما ظلوا يفعلون على مرِّ السنين. لكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك مع مروجي البضاعة المغشوشة؛ لأن بائعيها ليسوا أصلاء؛ وإنما هم مقلدون مزيفون لا يستطيعون ترويج بضاعتهم إلا بتسميتها بالاسم الذي اختاره المصنعون الأصلاء ودافعوا عنه وأعطوا أنفسهم حرية إعادة النظر في بضاعتهم وتعديلها وتبديلها. كيف تتجادل مع إنسان يعترف لك بأن مَثَلَه الأعلى أن يتحول إلى أوروبي يأخذ من أوروبا كل شيء حتى الديدان التي في بطون أبنائها كما كان أتاتورك يقول، أو يقول لك: (لكي نكون مثل الأوروبيين، يجب أن نسير في الدرب نفسه الذي ساروا عليه. ونأخذ حضارتهم بما فيها من حلو ومُرٍّ، وخير وشر). كما كان طه حسين يصر، أو يردد ما كان يقوله الدكتور زكي نجيب محمود قبل أن يمنَّ الله عليه بالهداية: (إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بتراً، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم، بل إني تمنيت عندئذٍ أن نأكل كما يأكلون، ونجدَّ كما يجدُّون، ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون). كيف يمكن أن تتحاور مع إنسان مثل هؤلاء غمس نفسه في بؤرة التقليد والتبعية فلم يعد يرى إلا ما رآه له مَن اتبعه؟

رأى اللبراليون الزائفون كما رأى الشيوعيون مِن قبلهم أن أكبر عائق يسد على الأمة طريق التبعية هذا هو الإسلام، فأصيبوا كما أصيب الشيوعيون من قبلهم بداء عضال يسميه بعض الغربيين (الإسلامفوبيا). تحولت دعوة الشيوعيين بسبب هذا المرض من دعوة ذات أساس اقتصادي إلى دعوة همُّها الترويج لثقافة الشارع الغربي الرأسمالي، ثقافة الرقص والغناء والسفور ومعاقرة الخمور، حتى أصبحوا – كما كنا نقول لهم – مجرد وكلاء لثقافة ذلك الشارع الرأسمالي. والذي حملهم على هذا هو أنهم وجدوا أن القيم الإسلامية المعادية لذلك الفجور هي التي كانت من أهم أسباب ابتعاد الشباب عنهم، فأرادوا أن يقولوا للشباب كونوا معنا نحرركم من تلك القيود ولا تكونوا مع الإسلاميين الذين أثقلوا كواهلكم بتكاليف المعتقدات والعبادات والحلال والحرام. وما علم المساكين كما لا يعلم إخوانهم المسمَّون اليوم باللبراليين: أنهم إنما يتبعون بذلك طريقاً خطَّه لهم العدو منذ زمان بعيد وحذرهم ربهم

منه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ١٦٩].

إذا كان الشيوعيون في بلادنا كانوا قد صاروا مجرد عملاء لثقافة الشارع الغربي الرأسمالي، فما هكذا كان إخوانهم في البلاد الغربية. لقد كان أولئك يحاربون تلك الثقافة؛ حتى إن ابنة ستالين قالت في كتاب لها: إن والدها كان ينهاها من ارتداء التنانير القصيرة! وكانت تسجيلات بعض الأغاني والموسيقى الغربية كموسيقى الروك آند رول لا تدخل البلاد الشيوعية إلا مهربة. وعندما هيأ الله - سبحانه وتعالى - لنا زيارة موسكو بعد سقوط الاتحاد السوفييتي مباشرة، وجدنا نساءهم يرتدين ثياباً هي أكثر حشمة مما رأينا النساء في البلاد الأوروبية والأمريكية يرتدينه. لكننا علمنا بَعْدُ أن الأمر تغير بعد أن فُتِح باب الاتصال بالغرب على مصراعيه.

واللبراليون المزيفون في بلادنا يكررون الآن مأساة مرض الإسلاموفوبيا مع فارق كبير: هو أن الشيوعيين كانوا بسبب تبعيتهم للاتحاد السوفييتي أعداء للاستعمار الغربي. لكن أصحاب اللبرالية المغشوشة في بلادنا يشيدون بهذا الاستعمار ويرون فيه المنقذ الوحيد لهم من آثار القيم الإسلامية، والقادر وحدَه على تحقيق لبراليتهم المعادية للإسلام. لقد سمعت - والله - بأذني رجلاً في إحدى دول الخليج كان يتمنى أن تزحف القوات الأمريكية على بلده بعد أن تنهي مهمتها في العراق. ثم عرفت بَعْدُ أن ذلك لم يكن موقفاً شاذاً؛ وإنما كان أمراً يجاهر به أصحاب اللبرالية المغشوشة من العرب الساكنين في البلاد الغربية، بل ينظمون مظاهرات تؤيد بوش وتصفِّق له.

المقلدون من أمثال من يسمُّون أنفسهم باللبراليين في بلادنا يأخذون عن الغرب مذاهب باطلة لجأ إليها الغرب لظنه أنها تحل مشكلات يواجهها، فيتبنون تلك الفلسفات والمذاهب الباطلة ثم يزيدون الأمر ضِغثاً على إبَّالة بمحاولتهم فرضها على بيئة ليس فيها أمثال تلك المشكلات. بعض منتقديهم في بلادنا - بما فيهم بعض الإسلاميين - يأخذون عليهم هذا الجانب الأخير، أعني جانب محاولتهم لفرض الأفكار والقيم والفلسفات الغربية على بيئة لا تشبه البيئة الغربية التي نشأت فيها تلك الأفكار، لكنهم يهملون بهذا جانباً مهماً: هو أن تلك الأفكار والمعتقدات بما أنها في نفسها باطلة فإنها لا تصلح لا للشرق ولا للغرب. نعم! إنها قد تكون قد أدت من الناحية العملية إلى وضع هو أخف ضرراً من الوضع الذي حلَّت محلَّه في البلاد الغربية؛ لكن هذا لا يجعلها حقاً أو صواباً.

ثم إنهم لا يكتفون بأخذ المذهب الباطل، بل يحاولون أن يتقمصوا الشخصية الغربية وأن ينظروا إلى الأمور بنظرتها حتى لو لم يكن لتلك النظرة علاقة بالفلسفة أو بالمذهب الذي أخذوه منهم وتبنَّوه.

البليَّة الثالثة التي أصابت هؤلاء المقلدين العمين: أنهم يستوردون بعض المذاهب والأفكار الغربية لحل مشكلات لا وجود لها في العالم الإسلامي. من أحسن الأمثلة على ذلك دعوتهم جميعاً إلى العَلمانية التي يسوِّغ الغربيون لجوءهم إليها بكثرة الحروب التي حدثت عندهم بسبب الحكم الديني. كانوا إذا حكمت طائفة منهم (كاثوليكية أو برتستانتية) لا تكتفي بسيطرتها السياسية، بل تحاول أن تُكْرِه أصحاب الطوائف الأخرى على تغيير معتقداتهم والدخول معهم في طائفتهم. وهذا شيء لم يحدث في العالم الإسلامي؛ بل إن أهل السُّنة الذين كانوا مسيطرين سياسياً على معظم العالم الإسلامي لم يجبروا المعتزلة - مثلاً - على تغيير عقائدهم، بل لم يجبروا اليهود والنصارى على تغيير أديانهم. لقد أعطوا خصومهم من حرية العبادة وحرية التصرف في شؤونهم الخاصة ما لا تعطيه العلمانية. ثم إن العَلمانية حدثت في أوروبا بموافقة رجال الدين وربما مساعدتهم؛ فلماذا يحاول هؤلاء العمون فرضها على أناس يرونها مضادة لدينهم؟

هذا ما كان من أمر اللبراليين المقلدين؛ فما بال اللبراليين الأصليين؟

# أسلمة العَلمانية

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com

ساعدني - أيها القارئ الكريم - لتخطِّي التفاصيل الكثيرة التي تثيرها مفردة (الأسلمة)، وأمتع بصرك معي بالمعنى الجميل الذي يبهر الناظرين في جمالية هذه الأسلمة؛ ما أروع انجذاب النفوس إلى دينها وحرصها الشديد على انسجام حياتها مع ما يريده الله منها، إن حضوره العميق يجعل أي سلوك أو منتَج مخالف للدين سبباً لإثارة الوخز والتأنيب الذي يشتعل في الضمائر فلا يتوقف إلا بإصلاح هذا السلوك، وهو ما أحيا أي مشاريع تسعى للأسلمة مهما كان اختلافنا في تقويمها.

لم تقف ظاهرة الأسلمة على البحث في مشروعية بعض المنتجات والمتغيرات المعاصرة، بل شملت حتى الأفكار والاتجاهات المنحرفة؛ فالصوت الفكري الذي كان يقدم نفسه ندّاً للخطاب الإسلامي ويسلك مساراً معاكساً للرؤية الدينية، رجع صداه ليبحث في التراث والنصوص والأقوال الإسلامية عما يسند اتجاهاته لتكون مقبولة لدى الناس، فشملتهم ظاهرة الأسلمة في من شملت، فلله در المسلمين أيُّ عظمة للإسلام تسكن في ثنايا نفوسهم.

المثير للانتباه: أن ظاهرة الأسلمة شملت حتى الفكرة العَلمانية ذاتَها، فالفكر العَلماني الذي نشأ منابذاً للخيار الإسلامي تحديداً، ما دار عليه الزمان حتى صار العَلمانيون يقدمون أنفسهم مجتهدين في فهم النص الشرعي ومستمسكين بتفسير من تفسيراته معتمدين على أقوال المذاهب وفتاوى العلماء.

يعني هذا: أن جمال هذه الأسلمة يجب أن لا يخدع العين عن إبصار أشكال التحريف التي تأتي على الأحكام الشرعية في ثناياها، بغضِّ النظر عن الدوافع النبيلة التي قد تحركها.

## أسلمة العَلمانية تأتي على مستويين:

**مستوى العلمانية المتطرفة:** التي تحتفظ بموقف عدائي تجاه الدين وتشمئز من كافة مظاهر للتدين، فهذه عَلمانية مكشوفة وغير جذابة، ومحاولةُ أسلمتها بجعلها غير معادية للإسلام عملية استهلاك رخيصة لا تتجاوز في تأثيرها حدود مساحة التصوير التي تتحر ك فيها.

**مستوى العلمانية الأقل تطرفاً:** وهي التي تتفهم وجود الدين، وتؤمن بضرورة مراعاته مكوناً للمجتمع في ما دون مستوى القانون والإلزام؛ فهو موجود خياراً شخصياً وقيماً محفِّزة نحو العمل والتنمية؛ لكنه مقصىً تماماً عن التأثير على القوانين أو الحريات أو أي تفسير لها.

هذه الدرجة العَلمانية هي المفهوم الخطر الذي تسرَّبت مفاهيمه لدى بعض الناس من دون أن يشعر، حتى جاءت بعض المحاولات والتفسيرات التي تسعى لأن تجعل مثل هذا التصور العَلماني مقبولاً ومفهوماً في التصو ر الإسلامي، فاندفعت مجموعة من التفسيرات المختلفة التي تسعى لتقديم النظام السياسي الإسلامي بكيفية متلائمة مع هذا التصور العَلماني.

## من هذه التصورات المؤسلمة للعلمانية:

**التصور الأول:** أن النظام السياسي في الإسلام جاء بمبادئ وكلِّيَّات عامة ولم يأت بأحكام وتشريعات محدَّدة، فالواجب هو تطبيق المبادئ العامة: من العدل والحرية والشورى والمساواة، وأما كيفية ذلك، فهذا مما يُختلَف في تقديره كل عصر.

وهذا تصوُّر لذيذ جداً للفكرة العلمانية؛ لأن مشكلتهم مع بعض الأحكام والتفصيلات الشرعية، وأما المبادئ والكليات فمن خاصيتها أنها واسعة ومرنة؛ يمكن الدخول والخروج منها بكلِّ اطمئنان، وحين نقول: إن الإسلام جاء بمبادئ ولم يأتِ بتشريعات. فنهاية هذا الكلام: أن الإسلام لم يأتِ في النظام السياسي بشيء؛ لأن هذه الكليات موجودة عند كل الأمم والحضارات، ولا يوجد أحد في الدنيا لا يأخذ بهذه المبادئ، غير أن لكلِّ ثقافة تفاصيلها ومحدِّداتها لهذه المفاهيم، وحين نلغي الأحكام الشرعية المفصَّلة لهذه المبادئ فإننا في الحقيقة قد ألغينا الحكم الإسلامي؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من استحلَّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباعٍ لما أنزل الله فهو كافر)[1]؛ لأنه في الحقيقة لم يأخذ من الإسلام بشيء؛ فالكليات معنى ذهنيٌّ تجريديٌّ لا يقوم بدون تفصيلات وتفريعات.

يقولون: نأخذ بـ (الكليات دون الجزئيات) و بـ (الأصول دون الفروع) أو بـ (المبادئ دون التشريعات) و بـ (المقاصد دون الوسائل)... كلها صيغ مختلفة لإشكالية واحدة، إشكالية إبعاد بعض الأحكام الشرعية عن التأثير، وحين تبتعد الفروع والجزئيات فإن الكليات والمقاصد التي يؤتى بها تكون مقاصد وكليات أخرى ليست هي الكليات والمقاصد الشرعية؛ فالمقصد الشرعي والكلي الشرعي معتمَد ومفسَّر بجزئياته وفروعه الشرعية[2].

لا تقل: هذا حكم جزئي أو ظني أو مختلَف فيه، فأبداً - والله - لا يمكن أن يهون في قلب مسلم إبعادُ أو تحريفُ أي حكم شرعي لأي سبب كان وهو يقرأ قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) منهاج السنة: ٥/ ١٣٠.

(٢) ينظر في موقع الجزئيات والفروع من المقاصد: الموافقات للشاطبي: ٢/ ٣٧٢ - ٣٧٤.

**التصور الثاني:** أن النظام السياسي في عصر الإسلام كان يقوم على رابطة دينية مرتبطة بظرف ذلك الزمان، وقد تغير هذا الوضع في عصرنا؛ فأصبحت الرابطة التي تجمع أفراد الناس هي الرابطة الوطنية لا الدينية، وحينها فكافة الأحكام الشرعية المتعلقة بالجانب السياسي هي أحكام تاريخية، ومعها سيتم التخلص من إشكالية حضور الدين في النظام السياسي.

وحين نمسك خيوط لوازم هذا القول فلن نصل إلى نهايتها إلا بعد أن نكون قد نكثنا الغزل عن رسالة الإسلام بالكلية؛ لأن بإمكان أي أحد أن يلغي أي حكم شرعي أراد بسبب أن هذا الحكم كان مرتبطاً بظرف زمني قد انتهى، بل حتى الصلاة والزكاة والصيام والحج يمكن أن يقال: إنها عبادات نشأت في ظرف زمني كان الناس فيه بحاجة إلى التعبد بطريقة معيَّنة[3]. فحقيقة هذا القول أنه فرع من تفسير تاريخية النص، الذي يجعل النص الشرعي فاعلاً في مكانه وزمانه وما عاد له وجود في هذا الزمان كما هي رؤية العَلمانية المتطرفة.

هذا التفسير يتصور أن الدين كان هو رابطة المسلمين في ذلك الزمن مصادفة وتوافقاً مع الظرف التاريخي ليس إلا؛ فهو في الحقيقة - وإن لم يرد - ينطق بالمفهوم العَلماني في جعل الدين علاقة فردية لا تتصل بالسلطة، فحين ارتبطت فإنما كان لظرف زمني معيَّن.

لازم هذا الكلام: أن أحكام الشريعة المتعلقة بالكفار والجهاد والحريات ونحو هذه المعاني الدينية المحضة، إنما كانت استثناء فرضتها ظروف ذلك الزمان، فهذا يستبطن انتقاصاً لها؛ حيث لم يلتزم بها المسلمون لكمالها وشرفها؛ وإنما لحال زمانهم فقط، وهي تنظر للإسلام بالعين العَلمانية التي لا تفقه من مصالحها إلا ما كان متعلقاً بمعيشتها الدنيوية ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [الروم: ٧]، وتنسى في غمرة انبهارها بالنموذج السياسي المادي: أن المصالح الدينية هي الأصل والغاية في رسالة الإسلام تحقيقاً لغاية الله في الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فمصلحة الدين هي الأصل في الرسالة، وليست استثناء عارضاً جاء لظروف الزمان.

(٣) وقد قيل.

**التصور الثالث:** أن الإسلام ليس فيه إلزام وإكراه وإجبار؛ وإنما هو اختيار ورغبة؛ فهو دين دعوة لا قضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس إلا نصحاً وتذكيراً وليس فيه منع أو إلزام. وتسير معهم في هذا المضمار حتى تصل وإياهم إلى أنه لا وجود لإلزام أو منع منطلق من رؤية دينية، فيتم تخفيض الحكم الإسلامي من خاصية القانون والنظام إلى مستوى النصح والتذكير والدعوة، وهو مستوى يروق جداً للنخب العَلمانية لكنه منابذ لشريعة مَن يقول: «من رأى منكم منكراً فَلْيُغيره بيده...» فجعل أُوَلى درجات التعامل مع المنكرات هو التغيير بالقوة، وليس ثَمَّ إشكال في تقييد استعمال القوة لتكون بيد السلطة، أو يكون ثَمَّ ضوابط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكن هذا كله إن أدى إلى إزالة خاصية المنع والإلزام في النظام السياسي فهو في الحقيقة قماش أسلمة يستر المحفور من العلمَانية.

**التصور الرابع:** لا شك بوجود أحكام متعلقة بالنظام السياسي غير أن كونها محرَّمة أو واجبة لا يجعلها قيد التنفيذ إلا بعد أن يقرها الناس ويختاروها. أما قبل اختيار الناس فلا يتم فرض أي حكم مهما كان؛ ليس لأنه غير شرعي؛ بل لأن الفرض السياسي يحتاج هو إلى مشروعية أخرى، وهي تحديداً لا تكون مستمدة إلا من الناس.

هذا التصو ر يقوم على اعتبار أن ثَمَّ مشروعيتين: مشروعية دينية يكون النص هو الذي يفسرها، ومشروعية سياسية تأتي وتُستمَد من الناس، وهذه فلسفة منبثة عن الوعي العَلماني الذي يعزل الدين عن الحكم السياسي فيجعل مشروعيته منفكة عن المشروعية السياسية، وأما في التصور الإسلامي فليس ثَمَّ مشروعيتان؛ إنما هي مشروعية واحدة؛ فما حرَّمه الله فهو حرام على الفرد والمجتمع، وما أوجبه الله فهو واجب على الفرد والمجتمع، فدور الناس هو تنفيذ الأحكام الشرعية لا في تشريعها ابتداء. فالمحرمات الشرعية يجب منعها والواجبات الشرعية يجب القيام بها، والمسلم حين يدخل في الإسلام فإنه ضرورة يكون ملتزماً بأن الإسلام هو الذي يحكمه فلا حاجة لأن يسأل أو يبحث معه عن رغبته في حكم الإسلام.

هذا التفسير يثير شهية العَلمانيين كثيراً؛ لأنه أولاً: ينطلق من ذات الوعي العلماني الذي يقزِّم الحكم الشرعي عن المستوى

السياسي، وثانياً: لأن الذكاء العلماني مستوعب أن الناس لا يختارون في الفضاء المجرد؛ وإنما يوضَع لهم الإطار المقيد الذي يصوتون فيه ولا يخرجون عنه؛ فحين يقوم الإسلاميون بإبعاد الشريعة عن الإلزام إلا بعد اختيار الناس فالذي يحصل هو أن الشريعة لم تعد هي التي تضع الإطار، ليكون من السهل جداً بعدها أن تأتي المنظومة الفكرية الأخرى التي تملأ هذا الإطار الذي يصوت الناس فيه، فيكون إطار التصويت بيد المنظومة الفكرية الليبرالية، وحينها فلن يُعرَض الحكم الشرعي - أساساً - على الناس لينظر في اختيارهم؛ لأن الحكم الشرعي سيكون حينها منافياً للحريات والحقوق التي تحكمها المنظومة العَلمانية التي وضعت الإطار الذي يحكم اختيار الناس.

هذه بعض التفسيرات المؤسلِمة للفكرة العلمانية، تتفق جميعاً على محاولة التلفيق بين النظام السياسي الإسلامي والفلسفة العلمانية، لكنها تصطدم بالأحكام الشرعية الملزمة في النظام السياسي الإسلامي، والأحكام المنبثقة من تصوُّر ديني ما عاد محبَّذاً في الثقافة العلمانية المعاصرة، بدلاً من التسليم لهذه الأحكام والانقياد لها وأن يقول المسلم ما أمره الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فقد تحوَّلت هذه الأحكام لإشكالية لا بد من إعادة قراءتها وفحصها للخروج منها بالهندام اللائق، وعظمة الله في قلب المؤمن تُرعِد فرائصه وتُرهِب أركان قلبه من التسامح مع أي تحريف لأي حكم شرعي. والغيورون على دين الله من الدعاة والعاملين لنصرة الإسلام هم أَوْلى الناس بتعظيم أحكام الإسلام وتقديرها حقَّ قدرها، وحين يضيق الواقع ويتعسر الحال في تطبيق أي حكم شرعي فلهم في أحكام الضرورة والحاجة مندوحة عن تحريف أي حكم شرعي؛ فالمتغيرات لها اجتهادها الخاص من دون أن ترجع على المفاهيم والمعاني الشرعية بالتغيير والتحريف.

# الوعد
# فتح الباري

مرعي بن محمد القرني

ما كنتُ أحسبُ أنَّ من أشعاري ... ما يَسرقُ الأحلامُ من أفكاري
حتى رأيتُ بأمِّ عيني جملةً ... مما بصدري تقتفي آثاري
يا هذه! قد كنتُ أدعو خالقي ... ألا يعذِّب مؤمناً بالنارِ
المؤمنون وإن تحدَّر ماؤهم ... يكفي عزاءً جاء عن إمطارِ
والمؤمن الحق الذي إن جئتَه ... ذنباً أتاك بهيئة استغفارِ
وأراكَ من خُلُق الكرام سجيَّةً ... توحي إليك بأنَّ فضلك جارِ
لا يفتك السيف الصقيل بأهله ... والأهلُ كوكبة من الأخيارِ
للحب أفئدةٌ تضوع بنشره ... مهما تغشَّاها من الأكدارِ
عبثاً رأيتُ السمَّ أحيا حيَّةً ... ليلاً فقلت: أُميتُهُ بنهاري
حتى إذا اتخذ العروقَ مسالكاً ... أدركتُ أنني في يد الأقدارِ
يا مسلمون! أليس يجمع بينكم ... أصلٌ وفصلٌ، وانتظارُ قطارِ؟
إنِّي أُحدِّثكم حديثَ مشاهِدٍ ... جيشَ العدوِّ على سقوف الدارِ
ولوحدة الصف الأصيل أمامنا ... نورٌ تفتَّق من لهيب النارِ
فتمسكوا بالعروة الوثقى ولا ... تتفرقوا، والوعد فَتْحُ الباري
لا تبلغُ الأحقاد منكم مبلغاً ... يسقي كؤوس الخمر للكفارِ
فالفجر مُنفجرٌ، وتُشرق شمسُه ... وتُقرِّبُ الأسرارَ للسُّمَّارِ
والناس تقرأُ ما أقولُ وإنما ... ما كل من قرأَ الصحائف قارِ
والحمد لله المُتِمُّ لنوره ... حتى يسير على هداه الساري
ولربَّ قافية تُنظِّمُ سيرنا ... سبقت حديثَ اللغو والأوزارِ
جادتْ بطلعتها قريحةُ شاعرٍ ... أَلقى عليها بردَة الأحرارِ

# في حوار مع البيان

## المؤرِّخ الإسلامي
## الدكتور عبد الحليم عويس يحذر:

### الاختراق الإسرائيلي للعالم الإسلامي يهدد هويته ومستقبله؛ فمتى نتحرك؟

### الميزانيات المخصصة للحملات التنصيرية تفوق ميزانية دول النفط مجتمعة.

حـــــوار: جمـــــال ســـالم
Gamalsalem5@yahoo.com

الدكتور عبد الحليم عويس في سطور

مع مطلع شهر إبريل عام ٢٠١١م أصدر الرئيس السوداني عمر البشير، قراراً بمنح وسام العلم والآداب والفنون - وهو أرفع وسام في الجمهورية السودانية، ولا يُعطى إلا للشخصيات التي أثَّرت في الحضارة الإنسانية - للمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس (أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية) على ما قدمه طوال سنين عمره للأمة العربية والإسلامية. وجاء في نص قرار البشير: أن الوسام يُعَد تسجيلاً صادقاً لجهده وعطائه المتصل في تفسير القرآن الكريم للنشء، ولبحثه المستمر في العلوم الإسلامية، وعرفاناً لدوره المتميز في كل المحافل الإقليمية والدولية بالحجة والقلم. هذا وقد جاء القرار في ظل ظروف صحية بالغة الصعوبة وهو ما خفف من آلامه الجسدية والنفسية.

هو الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، من موالي ١٩٤٣م بمصر، حصل على ليسانس من كلية دار العلوم عام ١٩٦٨م، وعلى الماجستير عام ١٩٧٣م، وعلى الدكتوراه عام ١٩٧٨م وكانت في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

عمل أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سبعة عشر عاماً، وفيها وصل إلى الأستاذية سنة ١٩٩٠م.

درَّس في كثير من جامعات العالم الإسلامي. كما ناقش وأشرف على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه - بل المئات منهما - في كثير من تلك الجامعات، وانْتُدبَ أستاذاً في جامعة الزقازيق بمصر، وبالجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية، وهو عضو مجلس أمنائها. وعمل نائباً لرئيس جامعة روتردام الإسلامية بهولندا، وعمل مستشاراً لرابطة الجامعات الإسلامية.

أنجز الدكتور عويس كثيراً من الموسوعات العلمية الكبيرة؛ منها: موسوعة في الفقه الإسلامي، وتفسير القرآن للناشئين، كما أشرف وأسهم في كتابة موسوعات في التاريخ، وتاريخ الإدارة، والحضارة الإسلامية. وهو صاحب أكثر من مائة مرجع وكتاب وبحث علمي في التاريخ والحضارة والثقافة والعلوم الإسلامية، إضافة إلى مئات المقالات والبحوث المنشورة.

وهو كذلك عضو اتحاد كتَّاب مصر، وخبير بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، وعضو نقابة الصحفيين المصرية، وعضو اتحاد المؤرخين العرب، ونائب رئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة.

فإلى نص الحوار مع مؤرخنا الإسلامي:

**البيان: يعتقد كثير من أعداء أمتنا أننا يجب أن نحارب الناس حتى نرغمهم على عقيدتنا؛ بمعنى آخر هو ادِّعاؤهم استخدام السيف لدعوة البشر للدخول في دين الله؟**

**د. عبد الحليم:** هذا الادِّعاء كاذب، وخير شاهد على ذلك هو التاريخ نفسه؛ حيث توجد أقليات غير إسلامية عاشت ولا تزال تعيش أطيب حياة في كل البلاد الإسلامية، ومع ذلك لم يسجل التاريخ حالة غصب واحدة لغير مسلم لإجباره على الدخول في الإسلام إلا حالات فردية قام بها بعض الجهلاء ويرفضها الإسلام؛ بل إنك ترى أن الإرهاب العقدي يأتي من داخل الكنيسة نفسها، وما حدث بوفاء قسطنطين وكاميليا شحاته في مصر عنا ببعيد.

وأيضا شهد التاريخ أنَّ التسامح كان صيغة أصيلة في كل سلوكنا وأحوالنا مع أهل الذمة قبل أهل الملة، وها هو قول ربنا - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول أيضاً: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وثمة عشرات الآيات التي تبين وتبرهن على الطبيعة السمحة للمنهج الإسلامي في التعامل مع العقائد الأخرى؛ فإن ما بيننا وبين العقائد الأخرى في الأرض قديماً وحديثاً، إنما هو تعايش مسالم من جانبنا.

**البيان: شهدت العصور الحديثة خللاً في موازين القوى في العالم، وللأسف احتل المسلمون مكانة متأخرة فيها؛ فما أسباب ذلك من وجهة نظركم؟**

**د. عبد الحليم:** من أهم أسباب ما ذكرت: أنّ أهمل المسلمون الأخذ بأسباب القوة المادية والفكرية، والركون إلى الدعة والسكون، والاعتماد الخاطئ على المفاهيم المغلوطة في حق دينهم؛ فأصبح الزهد تواكلاً، وأصبح القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأخذوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر، وانفصلوا حضارياً عن عصور تألُّقهم ومجدهم، فتُسأل: هل يركنون إلى العقل أم إلى الوحي؟ وكأن العقل والوحي ضدان لا يجتمعان، وتفشت أمراض كثيرة حول هذا الموضوع ومن هذا القبيل. ففوجئ المسلمون في القرن الثامن عشر بأنهم في آخر السُّلم الحضاري، وبأن عصر السيف والرمح قد ولَّى، وحل مكانة عصر المدفع والقنبلة والذَّرة.

**البيان: وما النتائج المترتبة على ذلك؟**

**د. عبد الحليم:** أخذ المسلمون موقع المُدافع، بعد أن كانوا قادة الأرض؛ يُنصَرون بالرعب مسيرة شهر في شخص نبيِّهم ﷺ، فأجهز عليهم عدوُّهم بكل ثقله، مُستخدماً كلَّ الوسائل غير الشريفة، وأفاق المسلمون على أخطاء داهمة: من تنصير لا يحاور بالحجة؛ وإنما بالمدفع الاستعماري، ومن يهودية تتعاون مع التنصير في هذا الغزو وتقتسم معه الأسلاب والمغانم، ومن شيوعية جدلية لا تقل عنهما خبثاً ولا سفكاً لدماء المسلمين، وتهجماً على عقائدهم، ومن وثنيات وفوضويات تحاول بدورها أن تغزو التراث الإسلامي بكل الصور والأشكال.

**البيان: تؤكدون أنه منذ ظهور الإسلام، فقد أخذ موقفاً مشرفاً من النصرانية، لم يشترك فيه دين غيره؛ فهلاً وضحت لنا أكثر؟**

**د. عبد الحليم:** هذه بديهية من بديهيات التاريخ لا تحتاج إلى كثير من الأدلة، وحسبنا أن نستشهد في هذا المجال بالكلمة التي ألقاها «أنريكي تراتكون» (مطران مدريد، ورئيس أساقفة إسبانيا) في مناسبة افتتاح ندوة للحوار الإسلامي والمسيحي بمدريد، حيث قال: إن علينا نحن المسيحيين أن نعترف بالانشراح الذي نشعر به إزاء المكانة التي يحتلها عيسى وأمه مريم - عليهما السلام - في الإسلام؛ فهناك كثير من النصوص القرآنية التي تسمي عيسى مسيحاً ورسولَ الله وكلمته: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١]، وتؤكد بكارة مريم وقداستها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وتوصي بمعاملة المسيحيين معاملة أخوية محترمة.

وأنه لمن العدل الاعتراف بأن الإسلام هو بلا ريب الدين الوحيد غير المسيحي الذي يعظم المسيح تعظيماً كبيراً.

ولعل أنريكي لا يدري أن هذا جزء أساسي من ديننا نؤمن به: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ونعتبر أي مساس بشخص عيسى وأمه - عليهما السلام - إنما هو كفر بالله والإسلام مثل الكفر بمحمد ﷺ، وسارت شعوبنا الإسلامية في هذا الجانب نظيفة مطيعة لربها ملتزمة بتعاليم دينها وإسلامها.

## مقارنة بيننا وبينهم

**البيان: إذا عقدنا مقارنة بين حال الأقليات غير الإسلامية في الدول الإسلامية، وأقلياتنا الإسلامية في الدول غير الإسلامية، فكيف ستكون النتيجة في رأيكم؟**

**د. عبد الحليم:** لقد عاشت الأقليات المسيحية في المجتمعات الإسلامية على نحو أرقى بكثير من حياة الأقليات المسلمة التي كثيراً ما تُضطَّهد بأبشع صور الاضطهاد؛ فعُقدَت لها محاكم تفتيش في المجتمعات المسيحية، بل إنه لا وجه للمقارنة أصلاً، وهي الصورة نفسها بين تعاملنا مع شخص نبي الله عيسى - عليه السلام - وبين معاملتهم لشخص نبينا ﷺ؛ فالمسيح في ديننا لا نحتاج إلى الكلام فيه، فالكل يعلم مكانته في ديننا وقلوبنا. أما هم فقد أساء المستشرقون بصورة متعمَّدة، والغريب أن هؤلاء من رجال الكنيسة، ولقد ذكروا مغالطاتهم العلمية والفكرية والمعلوماتية عن الحبيب ﷺ، وهي التي روجوا لها وخدعوا بها الإنسان الأوروبي قروناً طويلة.

**البيان: قد يقول قائل: هذا كان في العصور السابقة؛ فماذا عن الوضع في العصر الحديث؟**

**د. عبد الحليم:** في العصر الحديث، ومع انحسار دور الكنيسة الروحي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وانهزامها التام في روسيا والصين ودول الكتل الشرقية التي كانت المسيحية هي السائدة فيها، مع أن الكنيسة قد غُلبَت على أمرها في مواقعها الحيوية والأساسية، فإنها ما زالت متشبثة بالحروب الدائمة ضد الإسلام؛ سواء في مجال الفكر أو الحركة، وهي في ذلك تضع أيديها في أيدي الاستعمار الحديث، ولعلها صورت له أنها هي الستار الواقي لمنع الزحف الإسلامي الذي من شأنه أن يحول دون تحقيق الأطماع الاستعمارية في إفريقيا وآسيا، والذي يمكن كما تتصور الكنيسة أن يهدد أوروبا وأمريكا.

## المسيحية الصهيونية

**البيان: وماذا عن المسيحية الصهيونية ومعاداتها للإسلام؟**

**د. عبد الحليم:** تواطؤ الكنيسة مع الصهيونية ضد الإسلام في أمريكا وأوروبا وإفريقيا وآسيا لا يحتاج إلى برهان، برغم أن اليهود هم أكثر من أساؤوا إلى المسيحية، وإلى المسيح، علية السلام؛ لكنها السياسة - يا صاحبي - هي التي تجعل أصحابها ينسون تحت ظلالها بعض أساسيات الدين؛ وصولاً للمصلحة المرجوة من وراء تلك التحالفات الشيطانية.

ثم تطورت الأمور بين المسيحية والإسلام إلى ما هو أكثر من الحروب العابرة، والاتفاقات مع أعداء الإسلام وأعداء الأديان كلها ضد الإسلام، فتطورت الأمور إلى ما هو أكثر من ذلك، فأعلنت الكنيسة في العصر الحديث حرباً عالمية شاملة على الإسلام راغبة في التخلص منه إلى الأبد (كما يخيل لها).

**البيان: ما هي الأسباب التي تلجأ إليها الكنيسة في حربها على الإسلام رغم زعمها أنها تتحاور معه؟**

**د. عبد الحليم:** تلجأ الكنيسة في حربها مع الإسلام إلى الأسلوب السياسي (والميكيافيللي)المعروف؛ فهي تستغل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد الإسلام، كما أنها أيضاً مُستعدة أن تتعاون حتى مع الشيطان ضد الإسلام.

ومع أننا نرى «إعلانات بابوية» متكررة عن ضرورة الحوار بين المسيحية والإسلام، إلا أننا لم نر - ولو لحظة - هدنة واحدة في حرب الكنيسة العالمية ضد الإسلام؛ حتى باتت ضرباتها الآن في قلب العالم الإسلامي ورمز الإشعاع الروحي للمسلمين، فترى أن مخالب الغزو التطويقي الذي دخل القرن الإفريقي كالصومال وجنوب السودان الذي اشتراه التنصير الفاتيكاني في صفقة من أغرب الصفقات في التاريخ، كما أن أكثر الخطوط تعرضاً الآن لهذا الدمار الكنسي هو خط الفلبين وتايلاند وإندونيسيا في آسيا وخط نيجيريا، ومصر في إفريقيا.

## التفسير التاريخي

**البيان: هل ثمة تفسير تاريخي لتلك الحملات التنصيرية في قلب عالمنا الإسلامي؟**

**د. عبد الحليم:** بالتأكيد! لقد كان ارتداد فلول الصليبيين منهزمة أمام جيوش المسلمين في الحروب الصليبية باعثاً على التفكير في وسيلة أخرى للقضاء على المسلمين؛ ما دام الصدام المباشر والمسلح لم يفلح في الإجهاز على هذه الأمة؛ بل كان في أكثر الأحايين باعثاً على وحدتها وإظهار معدنها الأصيل.

ولقد عُقدت مؤتمرات عدة، ودار جدل جديد حول الأسلوب الجديد الذي يَصلُح اتباعُه للقضاء على الغارة الإسلامية والعالم الإسلامي... ثم تمخضت هذه المؤتمرات وهذا الجدل عن

الإيمان بمعادلة بسيطة واضحة:

«إذا كان هدف الغرب هو القضاء على المسلمين، فلا بد من القضاء على الإسلام ذاته، وقوته السياسية والمعنوية؛ فالإسلام هو الطاقة المحرِّكة للعالم الإسلامي، وبضربه لن تبقى لهم قوة ولا مَنَعَة، وسيتكون وقتها فراغ يمكن ملؤه بأي طاقات أخرى: كالمسيحية أو الشيوعية».

وكانت هذه المعادلة هي المنهج الذي سار عليه الغرب منذ هزيمة وارتداد الجيوش الصليبية وحتى اليوم، ولم يكن تصادمه المباشر مع المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين إلا مرحلة تأكيدية للقضاء على الإسلام، وعلى قوَّته السياسية والمعنوية، على أنه في نفس مرحلة الاستعمار العسكري هذه كان يستغل انتصاراته التي كان يطوق بها العالم الإسلامي من أطرافه فيتبعها فوراً بمخطط تنصيري يقضي به على ما يكون قد بقي لدى المسلمين من طاقة إسلامية محرِّكة.

أريد أن أقول: إن إستراتيجية الغرب قد تبلورت فلم تَعُد هجوماً مباشراً على المسلمين؛ لأن المسلمين حتى في الحروب التي هُزِموا فيها عسكرياً على يد الاستعمار كانوا يعودون بالإسلام أقوياء من جديد.

ويجب إعلام الجميع أن الميزانيات المخصصة للحملات التنصيرية تفوق ميزانية دول النفط مجتمعة؛ فعن آخر الإحصائيات الخاصة بالتنصير، وكما ورد عن مصادر كنسية موثقة أن هناك ارتفاعاً شديداً ومكثفاً في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية، تمتلك أكثر من مائة مليون جهاز كمبيوتر وأكثر من ٣٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى، وتصدر مئات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية بأكثر من١٥٠ لغة، وكلها تخدم التنصير وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة، كما أن هناك حوالي ١٠٠ ألف مركز ومعهد يتولى تدريب وتأهيل المنُصِّرين على مستوى العالم الإسلامي.

## نماذج صارخة

**البيان: هلاَّ أوردنا للقارئ الكريم نموذجاً من نماذج التنصير والتبشير الصارخة في العالم الإسلامي؛ ليقف على حجم الخطر الحقيقي المحدق بالأمة والإسلام؟**

**د. عبد الحليم:** نكتفي بنقل تقرير سري أصدرته إرساليات التنصير البروتستانتي في جنوب شرق آسيا، ذكرت فيه ما نصه: «إن ما ينفق على التنصير سنوياً في إندونيسيا يزيد عن ٣٥٠ مليون دولار، منها ٥٠ مليون دولار لأعمال التنصير الإعلامية وحدَها».

كما تُقدِّم هيئة المعونات الكاثوليكية ستة ملايين دولار سنوياً إلى حكومة إندونيسيا لمساعدة قطاع الإنماء القروي. وتقوم إحدى الهيئات التنصيرية الأجنبية في إندونيسيا بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣٢٠ ألف شخص من مختلف أنحاء إندونيسيا ينتمون إلى مختلف دور الأيتام والمؤسسات الصحية وملاجئ العجزة بجاكرتا. كما تقوم هيئة تبشيرية بروتستانتية بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣١ ألف شخص في مختلف أنحاء إندونيسيا، كما أنها تقوم بتقديم معونات طارئة عند الحاجة بالإضافة إلى مئات المشروعات القروية للإنماء؛ لترقية مستوى إنتاج المواد الغالية جداً؛ فلماذا كل هذا في نظرك؟

أما المؤسسة التنصيرية العاملة في أيريان الغربية فهي تمتلك ٧١ طائرة، فضلاً عن شبكة اتصالات لاسلكية من أعلى الشبكات تقدُّماً في العالم؛ كما تمتلك خمسة مطارات، وتقف هذه المؤسسة بكل كياناتها وإمكانياتها وراء الحركة الانفصالية التي تستهدف فصل أيريان الغربية عن إندونيسيا وإقامة دولة نصرانية مستقلة عن إندونيسيا المسلمة.

وفي قطاع الشؤون التعليمية تقوم مؤسسة «مونتفورت فاذر» ببناء المدارس العامة، والمدارس المهنية، ومدارس التمريض، والعيادات، والصيدليات في كل من سنتاخ وبينومارتينوس وبوتوس سيبا وسيغرام وبنغهابينا وبيكا وسراواي.

وفي قطاع ملاجئ الأيتام تقوم المؤسسات التبشرية الكبرى بتقديم المساعدات الغذائية والملابس لمئات ملاجئ الأيتام هناك، كما تقوم بتقديم البرامج والمساعدات التقنية، وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية لمنكوبي الكوارث الطبيعية واللاجئين والفقراء في مناطق إستراتيجية للتنصير.

أما في ميدان النشر والشؤون التعليمية فتقوم مؤسسة تنصيرية متخصصة مركزها جاكرتا ولها فروع أخرى بنشر كثير من الكتب سنوياً في مختلف الموضوعات الثقافية والفلسفية والدينية.

كما تقوم المؤسسة بتسهيل تعليم الشؤون الفنية الخاصة بنشر الكتب

الدينيـــة ويمتلـــك المنصـــرون مطابـــع متخصصة فـــي طبع الأناجيـــل وبيعها بأقل سعر أو مجاناً، وفي قطاع المكتبات تتصـــدر عمارة دار النشـــر المســـيحية بجاكرتا مكتبات دور النشر التنصيرية.

وفي ميدان الصحافة يملك التنصير صحيفتي كومبارس وأسينارهابان اللتين تطبعان يومياً زهاء ٢٠٠ ألف نسخة، هذا فضلاً عن مُلكية التنصير في ســـومطرا لمستشفيات ومطابع على مساحة تقدَّر – تقريباً – بأربعة آلاف هكتار، وأسطولاً من الســـفن، وطائرات، وزوارق سريعة جداً، وســـيارات ودراجات بخارية، وغير ذلك مما قد يحتاجونه في تضليل المســـلمين وجذبهم إلى النصرانية؛ وخاصة في ظل صمت وغياب من الدول الإسلامية.

## الوجود الإسرائيلي في إفريقيا

**البيان: ما هي الأهـداف السياسية للوجود الإسرائيلي في إفريقيا؟**

**د. عبد الحليم:** تسـعى إسـرائيل لتحقيق كثير من الأهداف الإستراتيجية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

**أولاً:** السـعي لتحقيـق متطلبـات الأمن الإســـرائيلي في جوهره: فلقد رأى الإســـرائيليون بزعمهم أن خطر الاعتداء يحيط بهـــم ويحاك ضدهـــم من جراء إحاطة العرب لهم؛ وأنهم في «جيتو» على شكل دولة؛ ولهذا عملوا على خرق الجيتو، بالضغط نحو الطريق خارج حدود الجيتو المزعوم والالتفات نحو العرب باعتبارهم عناصر هذا الحصـــار، وكان ذلك يعني النزوع إلى توزيع ما أطلقوا عليه «المجال الإســـتراتيجي الحيوي». وتُعَـــدُّ إفريقيا دائمـــاً هي أهـــم أقطاب هـــذا المجال الإســـتراتيجي الحيوي. وتم ترجمتها في إستراتيجية تعزيز الوجود الإسرائيلي في إفريقيا؛ لأن إسرائيل تسعى دائماً إلى ما يســـمى «بالأمن المطلَق» والذي يعني في المقابـــل «انعدام الأمن» بالنســـبة للدول العربيـــة وما يرتبط بذلـــك من ضرورة التحكم فـــي المنطقة، من خلال مجموعة مـــن الآليات، من أهمهـــا: خلق علاقات ودية مـــع الـــدول الإفريقيـــة، والوجود العســـكري في بعض المناطـــق. ومن هنا كانت المحـــاولات الإســـرائيلية للحيلولة دون أن يصبـــح البحـــر الأحمـــر بحيرة عربية، وضمان هجـــرة اليهود الأفارقة إلى إسرائيل.

**ثانيـاً:** كسر حد العزلة الدولية التي فرضتها عليها الـــدول العربية، ومحاولة كســـب قواعد للتأييد والمساندة، وإضفاء نوع من الشـــرعية السياســـية عليها في الساحة الدولية. وفي هذا الإطار نظرت إسرائيل إلى الساحة الإفريقية باعتبارها ساحة للنزال بينها وبين العرب.

**ثالثاً:** كســـب تأييد الدول الإفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي وَفْق الرؤية الإسرائيلية باعتبار أن الدول الإفريقية بعيدة عن أي انحياز سابق لأي من الطرفـــين، وهو ما يجعلها وســـيطاً مقبولاً لدى إسرائيل.

**رابعاً:** العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقديم إسرائيل على أنها دولة نموذجية لشعب الله المختار، ويفسر ذلك أن إسرائيل اعتمدت دائماً على تقديم المساعدات التقنية والتنموية للدول الإفريقية حتى في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية معها. ويعد مركز التعاون الدولي في وزارة الخارجية «الموشاف» الذي يرأسه نائب وزير الخارجية، هو الجهاز المسؤول عن تصميم وتنفيذ سياسات التعاون مع الدول الإفريقية، وكان «الموشاف» من وسائل الاتصال السياسية مع كبار المسؤولين في الدول الإفريقية، وعلى الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية كما حدث مع كينيا وزامبيا وتنزانيا وأثيوبيا؛ حيث كانت العلاقات الاقتصادية والفنية أكثر قوة من العلاقات السياسية.

## التصدي للتنصير

**البيان: كيف نتصدى لهذه الحملات التنصيرية الكثيرة على طول العالم الإسلامي؟**

**د. عبد الحليم:** لا بد أن تكون لدينا صحوة ويقظة إلى تلك الحملات التنصيرية المنظمة على جميع أنحاء العالم الإسلامي، التي لا يقل خطرها وشراستها عن الحملات الصليبية العسكرية؛ ولكنها تستتر في ثوبها الجديد، وتتقلد أسلحة جديدة ألا وهي محاولة التشكيك في التراث الإسلامي وقيمه، وتفريغه من محتوياته الإنسانية والحضارية، كما أنها تحاول الطعن في رموز التيار الإسلامي والعربي، والغمز في رجالاته من خلال مواقف وسقطات بسيطة؛ جدُّوا في تضخيمها وتهويلها وهو ما يريحهم ويشرح صدورهم ويحقق مآربهم.

وللأسف فإنك تجد أن في بلادنا الإسلامية من يساعدهم في تحقيق أهدافهم؛ فتجد من يريد منع جمع الزكاة، وإيقاف العمل الخيري التطوعي، وإيهام المسلمين أن مالهم يذهب في غير محله إلى الإرهاب وقتل الناس، وتجد فضائيات عربية - وللأسف إسلامية - ترهب الناس من الإنفاق في سبيل الله؛ على الرغم من جميع ميزانيات كل الجمعيات الخيرية في دولة كمصر - مثلاً - لا تصل إلى ميزانية أقلِّ مؤسسة تنصيرية غربية.

### المطلوب:

• إيجاد دعاة ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي، فاهمين ومطبقين لما جاء في القرآن، وعلى سيرة الرسول ﷺ ونهجه سائرون.

• ضرورة دراسة معرفة القبيلة والبيئة التي سيدعو الناس فيها، ومعرفة الأمثال الواردة في القرآن والسُّنة عن الدعوة، واستغلالها بأحسن صورها لجذب المسلمين وإعادتهم إلى دين ربهم الحنيف.

• محاولة التغلُّب على العقبات التي تقابلنا في الدعوة؛ خاصة مع الأوروبيين.

• ضرورة التعامل الذكي والحذر في الرد على الشبهات التي يطلقها الأعداء ضد الإسلام كـ (المرأة، والرق، وعدم المساواة، وإكراه الناس في دخول الإسلام، وربط الإرهاب بالإسلام، والتخلف والرجعية، والبعد عن التحضر والتمدن، وإقصاء الآخر)، وغيرها من الشبهات التي تجدها موجودة في أعدائنا ويربطوها بنا ظلماً وجوراً وعدواناً.

• الثقافة الأوروبية، ثقافة استعلاء، والمسيحية دين الطبقة العليا، والدين لا يعرفه إلا القساوسة، فعلينا أن نوجد جيلاً يستطيع التعامل مع مثل هؤلاء، في مثل هذه الظروف.

• تقديم الخدمات التعليمية والصحية والغذائية والمياه للفقراء والمحتاجين؛ على الأقل في بلاد الإسلام؛ لنقطع الطريق على المبشرين والمنصرين والإرساليات التبشيرية.

يجب أن تقودَنا الفطرة السليمة المشبعة بالروح الإسلامية لدعوة الذين يتقبلون الرسالة، ولا نتوقف على إفهام المسلمين دينهم فحسب.

ضرورة تفهم ثقافات ونظام الآخرين، والرفق في دعوتهم، وتحويلهم خطوة خطوة ليفهموا الثقافة الإسلامية، وضرورة التأثير عليهم من داخل أُطُرِهم الثقافية.

# البناء العلمي لطالب العلم

**أحمد بن رمضان مقرم النهدي**
Rmdan402@hotmail.com

## مقدمة الموضوع:

يحب الإنسان رفع الجهل عن نفسه، وحبَّ الاستطلاع وإضافة الجديد من المعلومات والمعارف إلى خزينته الذهنية في شتى أمور الحياة ومناحيها؛ ولا سيما في أمور دينه وأحكام عباداته وأصول عقيدته الإسلامية، وهو شرف عظيم؛ فطالب العلم أُمِر بالازدياد منه كما في القرآن الكريم.

ومع ذلك الشرف وتلك الرغبة العظيمة، ينبغي ألا تأخذنا كثرة ما تنتجه المطابع والمؤسسات الصوتية من كتب وأشرطة متنوعة، ولا بد من الإحاطة بالعلم أولاً بمعرفة مبادئه، وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «العلم كثير ولن تعيه قلوبكم، فاتَّبعوا أحسنه».

وقد قال ابن خلدون - رحمه الله - في مقدمته

(*) باحث متتبع لشؤون التأصيل العلمي والثقافي.

الشـــهيرة: «... وذلـــك أن الحذق فـــي العلـــم والتفنن فيه والاســـتيلاء عليه إنما هو بحصول مَلَكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله، ومـــا لم تحصل هذه المَلَكة لم يكن الحـــذق في ذلك الفـــن المتناوَل حاصلاً».

وقال الشاعر:

وإذا طلبتَ العلمَ فاعلم أنَّه
جِمْل فأَبْصر أيَّ شيء تحملُ
وإذا علمتَ بأنَّه متفاضلٌ
فاشغل فؤادَك بالذي هو أفضلُ

إن أمتنا الإسلامية تمر بمنعطف فكري عقدي في المقام الأول، وحملة لواء الشـــريعة والعلم لا بد أن يُبنَوا بناءً علمياً أصيلاً متكاملاً في شـــتى المناحي، كمـــا أن النوازل والتقنية المعلوماتية في هذا العصر غدت متتابعة ومسيطرة على العالم؛ فلم تعد المسألة مسألة تأصيل علمي بجمع المعارف والحفظ وإنهاء الكتب فحســـب، بقدر ما هو إدراك لمتطلبات العصر. وبين هـــذا وذاك، من التراث الأصيل والعلم المعاصر، كان لنا هذا التحقيق الذي ســـعينا فيه إلى الإحاطة قدر الإمكان بكل ما يتعلق بالبناء العلمي، مع متخصصين في هذا الشـــأن على مـــدى حقب من الزمن، ومعتنين ببناء الطلبة أكاديمياً وتعليماً في المساجد.

**وضيوف التحقيق هم على الترتيب الأبجدي:**

د. أحمد الحارث البزوي الضاوي – المغرب.

د. زغلول راغب النجار – مصر.

د. عبد الله بن مبارك آل سيف – السعودية.

د. عبد الله وكيِّل الشيخ – السعودية.

الشيخ فهد بن عبد الرحمن العيبان – السعودية.

د. محمد المختار محمد المهدي – مصر.

جاءت مســـارات التحقيق بشـــكل عام على محاورَ، أولها بدايات ومقدمات ومنطلقات عامة في مسيرة البناء:

وافتتحنـــا تحقيقنا على بركة الله – تعالى – بســـؤال عميق تمهيدي، وهو: هل تنمية التفكير والبناء العلمي كان لها تاريخ في العصور القديمة، وما مظاهره والأمثلة عليه؟ وقد ذكر لنا المشايخ إجابات مستفيضة على هذا السؤال وعلى غيره كذلك، لا يتســـع المقام لذكرها[1]، فذكر د. عبد الله مبارك آل ســـيف (الأستاذ المشارك بكلية الشـــريعة بالرياض) ما كان في العصر الجاهلـــي والعصور الإغريقية، وكيف كان النبي ﷺ يبني أذهان الصحابة بإثارة الأســـئلة بينهم، حتى أصبح الصحابة ينشـــئون المدارس، ويفترضون افتراضات فقهية لا زلنا نستفيد منها حتى يومنا.

وقـــد أفاض معنا د. أحمد الحارث البزوي الضاوي (وهو أستاذ التعليم العالي بجامعة شعيب الدكالي الجديدة) إفاضة بعيدة بديعة جداً، وتاريخية فكرية عميقة تســـتحق أن تُبحَث وتُدرَس وتنشـــر في مؤلَّف لطيف أو تنشَـــر وحدها موضوعاً مستقلاً؛ إذ تطرق فيها إلى الحقائق القرآنية والنبوية، وعرَّج على النظرة الداروينية ومفسدتها للعقول البشرية، وللمنهجية العلمية الأصيلة، ولكن يمكن أن ننتقي منها ما يلي حيث قال: إننا لو قلَّبنا المســـألة فإن هذا الأمر من صميم نقل الخبرات إلـــى الأجيال الصاعدة؛ إذ يُبرِز لها أهمية الرؤية العلمية؛ أي زاوية النظر التي ننظر من خلالها للأشـــياء والقضايا، وهي ما يمكن الاصطلاح عليه بالأطروحة أو الإشـــكال العلمي أو المنهجي، أقول: لو قلبنا المســـألة لتغيرت نظرتنا إلى الأشياء، التي تركز على الآني، وتتجاهل الصيرورة والتطور بعيد المدى، فوقعنا أسرى ما يصطلح عليه بنظريات الحالة الراهنة؛ حيث انعدام الأفـــق النظري؛ خلافاً للرؤيـــة القرآنية بعيدة المدى التي تجعل الإنســـان يؤمن بالله الواحد الأحد، الأول والآخر، الظاهر والباطـــن، المطلق المتعالي عن الزمان والمكان، فتجعل الإنســـان في حياته مشـــدوداً إلى المطلق في بُعدَيه (الجلال والجمال)، وهـــو ما يجعل رؤيته للعالم رؤية شـــمولية بعيدة المدى، تستحضر اللحظة الآنية وتؤطرها في صيرورة وتطور بعيد المدى. وصدق ربنا إذ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْـفَلَ سَـافِلِينَ﴾ [التـين: ٤ – ٥] وكما يؤكده الدعـــاء المأثور: «اللهم إنا نعوذ بك من الســـلب بعد العطاء». كما يؤكده واقع الحياة والمشاهدات المتواترة.

ونحن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد حقائق مذهلة عن

(١) من المهم أن نلفت القارئ الكريم إلى أن التحقيق سينشر بكامله في موقع المجلة على جزأين، وقد نبهنا عند كل موضع اختصرناه أو لم نذكره هنا في العدد إلى أهمية الرجوع إليه هناك، فهو مكمل ومهم. (معد التحقيق).

الحضارات الإنسانية السابقة، وما تُلْمح إليه من تقدُّم علمي وتقني، كما نجد اليونانيين قد ابتكروا ما يمكن الاصطلاح عليه بمقدمات العلوم، ولا يخفى ما لمقدمات العلوم من دور كبير في التأهيل العلمي بالنسبة لطلبة العلم، ومن ثَمَّ احتلت دوراً بارزاً في التأليف لدى المسلمين.

وقد واصل الدكتور الضاوي حديثه الغيور والماتع جداً ذاكراً بعض الحضارات القديمة واستفادتها من الفهم والعلم من حضارات الأنبياء كما في تعلُّم آدم - عليه السلام - الأسماء كلها، وما في قصة داود وسليمان وقضية الخصومة في قصة الغنم، وكيف عَمَرَ الإنسان الأرض بالملاحظة والمحاكاة والتدريب والتطبيق، وكيف استفاد من اللغة في نقل خبراته وتجاربه، فلعل القارئ الكريم يرجع إلى موقع المجلة لقراءة ذلك الكلام الرصين والماتع بتمامه.

## مهارات تراثنا الإسلامي:

وتدرجنا بعد ذلك في ذكر المهارات الموجودة في تاريخنا العربي والإسلامي، وكيف برع المؤلِّفون في تأليف كتبهم ووضعها بهذه الطرائق البارعة، منذ عصر تدوين السُّنة مروراً بأئمة الفقه والتفسير، ثم زمن شيخ الإسلام وطلابه ابن القيم والذهبي وابن عبد الهادي وابن رجب حتى القرون المتأخرة.

فجاءت إجابة د. الضاوي أيضاً متممة ومهمة في هذا المجال وتأصيلية بمعنى الكلمة؛ حيث واصل إفاضته البديعة في ابتكارات الحضارة الإسلامية ومنطلقات العلوم عند المسلمين لكن ننتقي منها قوله: (لعل رجوعنا إلى حديث الرسول ﷺ: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وأدَّاها إلى من لم يسمعها؛ فربَّ حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[1] تبيَّن كيف استفاد المسلمون من حديث رسول الله ﷺ مقومات العلم:

- معرفة مصادر المعلومات.
- حفظ المعلومات.
- فهم المعلومات.
- سرعة تداول المعلومات.
- إنتاج المعلومات.

ومن ثَمَّ كان ذلكم الحرص على توثيق المعلومات توثيقاً علمياً دقيقاً فأنتجوا علم مصطلح الحديث، والحرص على فهم المعلومات فأنتجوا أصول الفقه وعلم التفسير وفقه الحديث، والحرص على معرفة المصادر فأفردوا كل باب من أبواب العلم بكتب خاصة، يتم الرجوع إليها حيث المعلومة الموثَّقة، والفهم السليم، والتصنيف البديع، وبذلك أصَّلوا قاعدة مهمة من قواعد البحث العلمي، ألا وهي: أصالة المصادر والمراجع؛ حيث تؤخذ المعلومات من مظانها. كما ابتكروا المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ومعاجم البلدان، وكتب الأعلام والرجال، كما عملوا على نشر العلم بالكتابة والتدريس، والرحلة، فمكَّنهم حرصهم على سرعة تداول المعلومات على الإبداع و الابتكار.

وتعلَّم المسلمون من القرآن الكريم أن العلم هو القدرة على البرهان: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ، كما أخذوا بالدليلين القرآنيين: دليل الأنفس والبحث في الإنسان فأنتجوا العلوم الإنسانية، والبحث في الطبيعة فأنتجوا العلوم الطبيعية؛ وذلك حتى يكون إيمانهم مؤسَّساً على العلم والمعرفة.

وقبل سلوك الطريق سألنا كذلك عن طالب العلم وظروفه الشخصية، وكان في إجابة فضيلة الشيخ الدكتور محمد المختار المهدي (رئيس الجمعية الشرعية الرئيسية للعاملين بالكتاب والسنة) وَضْعُ اليد على الجرح؛ حيث جاء بلفتات أبوية طيبة رائعة، نترككم معها في موقع المجلة.

## بين الجامعات والمساجد:

ومن تجاربهم التي لا تغفل أيضاً: التدريس في الجامعة وفي المساجد؛ وهما محوران مهمَّان في البناء والترسيخ العلمي؛ فكيف يرون هذه التجربة، وما الذي ينصحون به طلاب الجامعات الشرعية؛ لا سيما من كان في السنة الأُولَى من دراسته؟

أجاب هنا فضيلة د. عبد الله وكيل الشيخ (الأستاذ بكلية أصول الدين قسم السُّنة بجامعة الإمام)، فقال: يتميز التدريس في الجامعات ودور العلم الرسمية كالمعاهد بأنه بناء علمي تراكمي، يتعاون في غرسه مجموعة من الأساتذة متنوعي

(١) المعجم الكبير، الطبراني.

التخصصات، وفي التخصص الواحد هم متنوعو الطرائق متعددو المواهب. ولذا فإن من أعظم ما يُنصَح به طلاب الجامعات الشرعية أن يُقبِلُوا على مناهجهم الدراسية بجد ومثابرة، مع توسيع دائرة الاطلاع على كتب مماثلة أو شروح أخرى للكتاب المدروس وتعليق الفوائد، كذلك ألا يتركوا ما لم يتمكن الدكاترة من شرحه؛ حيث إنهم لا يستوعبون المنهج بكامله فيفوت الطالبَ قدرٌ كبير عليه دراسته في الصيف.

وأما التدريس في المساجد فمن أهم ميزاته أنه لا يرتاده إلا من كان جاداً في طلب العلم، وفيهم من النباهة والحرص والمثابرة ما ليس في طلبة الجامعات. ولكن من أعظم ما يؤخذ على هذه الدروس أنها متباعدة كدرس واحد في الأسبوع - غالباً - وهذا القدر من الزمن لا يتيح التقدم في دراسة العلوم؛ حيث تحتاج بعضُ الكتب المطولة لإنهائها إلى ما يصل إلى عشر سنوات أو تزيد.

وجاءت إجابة الشيخ المختار المهدي مُوقظة ومنبهة لأمر مهم؛ حيث قال: كان للتدريس في المساجد أثر واضح في كيفية الوصول إلى عقول المستمعين على اختلاف ثقافاتهم ووعيهم؛ حيث إن مراعاة هذه الاختلافات تجبر الداعية على تبسيط المسائل والبعد عن المصطلحات الأكاديمية المعقدة، لتغيير أنماط حياته إلى ما يريده الله ورسوله ﷺ.

وكان للشيخ فهد العيبان نصيحة طيبة، وعلى الرغم من قِصَرِها لا بد من ذكرها، وهي قوله: أنصح من كان في السنة الأولى أن يعقد العزم على إتقان العلوم التي يتعلمها في الجامعة، وأن يتفوق ويواصل دراسته ولا يستمع لمن يقول له: إن العلم في المساجد فقط. فالعلم في المساجد والجامعات أيضاً.

أحسب أننا كنا مع هذه الإجابات - على الرغم من اختصارها - في رحلة ماتعة مشوقة جداً للدخول في صلب موضوعنا وهو محور خطة البناء العلمي للطالب، وقد ذكر لنا الضيوف إجابات طيبة وإضاءات وهَّاجة للطلبة وابتدأنا بهذه النقطة:

يقال: إن من المنهجية عدم الإغراق في طلب المنهجية؛ حيث تتنوع الآراء حول المنهجيات في البناء؛ فقد ذكر أحد المشايخ الشناقطة أن هناك ٤٥ فناً لا بد من حفظها وإتقانها للطالب حتى يؤهَّل لطلب العلم والتدريس، وهناك من المشايخ من حدد متون التأصيل ١٢ متناً ولن يكون الطالب طالب علم حتى يتقنها. ما تقولون حيال ذلك؟

قال د. آل سيف: الشناقطة يبالغون في دراسة العلوم؛ بحيث يضيفون بعض العلوم التي قد لا يحتاجها طالب العلم مثل علم الأنساب فيحفظون ألفية البدوي وغيرها، وهذه علوم يحتاجها المتخصص الدقيق والراغب في معرفة علم الأنساب؛ ولكن الصحيح أن العلم في عشرة إلى ١٢ علماً هي العلوم المهمة والأصيلة التي يحتاجها طالب علم، وهي مبسوطة في موضعها.

وبناء عليه أيضاً سألناه: ما الموقف حيال الكتب الكثيرة التي تعتني بالبناء العلمي للطالب، وإيضاح الصورة له في طريق طلب العلم؟ فقال: يحرص الطالب على الكتب التي خرجت من تجربة حقيقية ناجحة وعُرِف صاحبها بالتمكن العلمي، فالكتب كثيرة في هذا المجال لكنها تنظير بعيد عن الواقع، وليس لصاحبها تجربة تستحق الذكر.

لو أراد الشباب الذين يتابعون حوارنا أن ينطلقوا عملياً في بناء أنفسهم، فما قواعد الانطلاق التي تنصحونهم بها؟ وهل هناك فترة معينة يمكن أن نقول: إنها فترة كافية للبناء العلمي للطالب لو بذل جهده فيها؟

أجاب د. وكيِّل قائلاً: من أهم الفضائل اللازمة لطالب العلم تصحيح القصد في طلب العلم بأن يريد نفع نفسه ونفع الآخرين بإزالة صفة الجهل عنهم فهذه هي النية الخالصة التي يظهر أثرها في طلب العلم وتفهُّمه والعمل به وبَذْلِه للناس، وما تلبَّس أحد بنيَّة دنيوية خالصة في طلب العلم إلا حُرِم من هذه الثمرات بقدر ما نقص من علمه. وطالب العلم لا يتوقف عن التحصيل حتى يموت، والتوقف عن التحصيل مزلة وحرمان.

وجاءت إجابة الشيخ فهد العيبان (المدرس بمعهد القرآن الكريم بالحرس الوطني بالرياض) لمسة حانية، وخطة متقنة، وأرضية صلبة، وزبدة التحقيق أعطاها لإخوانه طلبة العلم، وهو القريب من الشباب والمتابع لهم في مشروع دروسه التأصيلية، فقال: هذا سؤال يتكرر كثيراً، ولعلِّي أذكر هنا أهم الضوابط من خلال عرض بعض الأمثلة التطبيقية:

١ - البدء بالمتون المختصرة في كل فن مثل: الأصول

الثلاثة، كتاب التوحيد، الواسطية، الآجرومية، الورقات، نخبة الفكر، منهج السالكين أو عمدة الفقه، [الأربعين النووية] وبعض المقدمات الأولية في التفسير والقواعد الفقهية والتجويد والأدب[1]. وذلك بحفظها إن أمكن مع قراءتها وفهمها على الشيخ، أو السماع من شريط إن لم تتيسر القراءة على الشيخ.

٢ – العناية بالضبط والإتقان لهذه المتون حفظاً وشرحاً، ولا ينتقل منها إلى غيرها إلا بعد الاطمئنان إلى ضبطها[2].

٣ – يخصص لكل متن من هذه المتون شرحاً من الشروح المطبوعة ويكون التعليق عليه والقراءة منه، ولا يكثر على نفسه الشروح؛ لأنها متشابهة في الجملة (يمكن الجمع بين شرحين بتعليق أحدهما على الآخر).

٤ – لا بد أن يعتني الطالب بأصوله التي يقرأ منها ويعلق عليها؛ بحيث تكون مرجعاً له عند المذاكرة.

٥ – الحذر من الاستعجال في أخذ هذه المتون، فلا بد من التأني والترسُّل، مع الفهم والتصور الصحيح للمسائل، ويحذر كذلك من الإطالة والتشعب في بداية الطلب.

٦ – بعد الانتهاء من المختصرات، ينتقل إلى المتون المطولة مثل: بلوغ المرام، زاد المستقنع، ألفية ابن مالك في النحو وغيرها.

٧ – ينبغي في هذه المرحلة الاطلاع على بعض الشروح المطوَّلة: كالمغني، والمجموع، وفتح الباري، ونيل الأوطار، ونحو ذلك، مع العناية بشيء من البحث لبعض المسائل.

٨ – بعد الانتهاء من المطولات حفظاً وفهماً يكون الطالب قد حصَّل الآلة التي تمكِّنه من الانتقال إلى الشروح والمطولات من كتب العلم بحسب كل فن؛ وذلك بجردها وانتقاء الفوائد منها وبحث المسائل والتوسع في الطلب.

٩ – الحرص على الضبط في تحصيل العلم: فالضبط يختصر الوقت؛ لأن الطالب إذا ضبط لن يحتاج إلى كثير وقت في التأهل، وكثير من طلبة العلم المبتدئين مَن يفتقدون الضبط للعلم حفظاً وفهماً؛ ولذا تجدهم لا يتجاوزون أماكنهم، بينما أقرانهم ممن حرصوا على الضبط فاقوهم بمراحل في أقصر وقت، وأكاد أجزم أن التأهل العلمي وضبط أصول العلم لا يحتاج إلى أكثر من خمس سنين مع الضبط والإتقان[3].

ومن وسائل ضبط وإتقان العلم:

١ – التكرار قال الإمام البخاري: (لم أرَ أنفع في العلم من نهمة الرجل ومداومة النظر).

٢ – مدارسة العلم ومذاكرته وخصوصاً في المناسبات.

٣ – اتخاذ الصاحب النبيه للمدارسة.

وهنا يؤكد الشيخ على الجانب المعنوي الذي ذكره وقد أدرجناه في الموقع ولكن نأخذ منه لفتة مهمة حيث قال: حتى لا تصاب باليأس، من المهم أن تعلم أن أصول العلم التي لا بد من ضبطها – حيث تكون أساساً لفقه الشريعة وأساساً لما بعدها، وبها يحصل التأصيل العلمي – إنما هي: (قليلة مختصرة محصورة). أما التفريعات والفوائد والتعليقات والحواشي على أصول العلم، فهي بحرٌ لا ساحل له. ثم يواصل – حفظه الله – لمساته التأصيلية:

١٠ – حب القراءة طريق التعلم: الذي لا يحب القراءة لا يمكن أن يتعلم؛ ولذا يجب تعويد النفس على القراءة، ويكون ذلك بإطلاق العنان لها بأن تقرأ في كل شيء نافع حتى تتعود وتصبح القراءة ألذ شيء إلى نفسك.

١١ – التوازن والتكامل في تحصيل العلم: من ضوابط المنهجية في تحصيل العلم التوازن في أخذ العلوم بحيث يحصِّل الأصول من كل فن، وأما التخصص لمن رغب فيه، فيأتي بعد التأصيل والشمولية في التحصيل، ويقبح بطالب العلم أن يكون فقيهاً لا يُحسِن تخريج حديث، أو محدثاً لا يحسن أصول الفقه أو طالب علم يلحن في قراءته.

وهنا أمر مهم سألنا عنه مما يعايشه طلبة العلم، وهو:

ما بين حضور الدروس وطلب العلم من الشبكة والصوتيات؟

قال د. عبد الله وكيِّل: الوسائط الأخرى مثرية لما تعلَّمه

(١) بهذا الصدد يسرني أن أضيف على هذه النقطة مستأذناً شيخي الفاضل إضافة نافعة إن شاء الله: هناك جهود شخصية طيبة لعدد من المشايخ في كل فن منها: كيف تكون فقيهاً للدكتور عبد الله الزاحم، ومادة أخرى بعنوان: كيف تكون مفسراً للدكتور مساعد الطيار، وهناك منظومة الزمزمي في علوم القرآن، كما أن مقدمات الشيخ السعدي – رحمه الله – في التفسير والقواعد الفقهية والفروق والتقاسيم مهمة جداً، وللدكتور وصفي عاشور أبو زيد مقالات مهمة في تكوين ثقافة الفقيه موجودة على الشبكة، ومن لطائف الكتب التي ينبغي ألا يغفلها طالب العلم: كتاب روضة العقلاء لابن حبان، ومنظومة الآداب المعروفة بـ (دالية ابن عبد القوي)، وكتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصحيح السيرة النبوية للشيخ محمد العلي وكتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم. (معد التحقيق)

(٢) يراجع كلام ابن بدران في الموقع عن أهمية هذه المرحلة.

(٣) سألنا الشيخ عن الدورات العلمية الصيفية؟ فقال: هذه الدورات العلمية فيها خير كثير، ولكن ينبغي أن نعلم أنه لا يمكن أن يكتفى بها في باب التحصيل والبناء العلمي؛ وإنما هي وسيلة من وسائل التعلم ينبغي أن يستفيد منها طالب العلم: إما في مراجعة ما سبق أن تعلَّمه، أو أن تكون مفتاحاً لما سيتعلمه، ولا ينبغي أن يكتفي بها عن الدروس الطويلة التي تكون أكثر تفصيلاً وتأنياً في البناء العلمي.

الطالب أولاً؛ لأن ما يقرؤه الطالب ويسمعه في الدروس لا يتعدى في تقديري نسبة ٢٠٪ من العلم الذي يحصله طالب العلم، ودروس العلم المباشرة إنما تفتح مغاليق الفكر وتوجد مهارات التحصيل وتستثير همم الطالب؛ ولذا تجد العالم الكبير الذي أغنى المكتبة بمؤلَّفات إذا تُرجِم له وعُدَّت الكتب التي حصلها في العلم وجدتها قليلة، ولكنها تحتوي أصول العلم ومفاتيحه.

وبنهاية هذا الجزء نحسب أننا أنهينا البناء المرجو الذي نطمح إليه في تكوين طالب العلم وأرضيته الصلبة، ولكنَّ اللمساتِ الباقية للبيت لا بد منها ولا يمكن أن يسكن فيه إلا بعد حذقها.

## الجزء الثاني: مهارات متفرقة في طريق البناء:

١ – تأصيل المهارات:

هناك مهارات متعددة في طريق طالب العلم، هل ينبغي أن يحيط طالب العلم بها، أم يقتصر على أحدها ويتخصص فيها؟

أجاب باري القوس د. عبد الله وكيِّل فقال:

يمكن أن نقسم المهارات إلى قسمين:

١ – مهارات لا بد منها لطالب العلم: وهي مهارات التفكير التي تضبط الاستدلال وتصحح النظر، وتورث القدرة على النقاش، وتصحح التطبيق من الأدلة على الوقائع، وتورث الاطراد الإيجابي لدى الطالب[١].

٢ – مهارات البحث العلمي: وهذه لا تلزمه بتمامها وكمالها، بل قد يعتمد على أهلها المتخصصين فيها، لكن هذه المهارات يلزم طالبَ العلم أن يعلم مصادرَها التي يعود إليها عند الحاجة ويعلم منازل تلك المصادر من حيث القبولُ، وهذا ما أصبح مسطَّراً في عصرنا بما يسمى بالمداخل.

ومن المهارات المتفرقة التي ذكرناها مما يهم طالب العلم: مهارة التدوين، والورد العلمي الخاص في عدد محدد من الكتب لتثبيت العلم، والرؤية الواضحة التي ينبغي أن تكون في ذهن طالب العلم، وكيف يتقن المهارات اللغوية: من إعراب وأدب... وغيرها كلها جعلناها في الموقع.

## العلم والتبحر فيه والقراءة الحرة:

يقال: العالم من عرف شيئاً عن كل شيء، وعرف كل شيء عن شيء، بين التخصص والثقافة العامة في جميع الفنون، كيف يسير طالب العلم في فلك هذه المقولة، وبين الفكر والعلم هناك خيط رفيع ربما؛ فمن يحتاج إلى الآخر؟ وهل يلزم طالب العلم أن يكون مفكراً؛ بمعنى أن يعتني بكتب الفكر والسياسة والاجتماع والجغرافيا والتاريخ الغربي وغيرها؟

في هذا الأمر الواسع حلق بنا الضيوف في تحريرات رصينة فعلاً فيها من الغيرة على الأمة وحُسْن الإدراك وسعته ما يثلج الصدر، فلعلنا نبدأ بإجابة عَلَم في الأمة وهو د. زغلول النجار (رئيس هيئة الإعجاز العلمي بالقاهرة) وقد طار بنا في سماء تحرير بديع صافية، يشابه فعلاً ما سطره د. أحمد الضاوي: من غيرة وسعة إدراك لحال الأمة وعلومها ونختصر ما ذكره – حفظه الله –: من مآسي عصرنا أن قيادة المعارف العلمية المكتسبة قد انتقلت من أيدي المسلمين إلى أيدي طائفة من الكفار والمشركين، وحين تقدمت المعارف العلمية والتقنية بأيدي هؤلاء صاغوها صياغة منكرة للدين، ومتنكرة لرب العالمين. لذلك أنصح القائمين على مناهج التعليم بضرورة التأصيل الإسلامي لجميع المعارف المكتسبة بوضع منتجاتها الكلية في الإطار الإسلامي الصحيح؛ انتصاراً للحق العلمي وللحق الديني الصحيح في آن واحد، وإبراز إسهامات المسلمين في كل مجال من مجالات المعرفة الإنسانية.

وأنصح الشباب في عالمنا الإسلامي بضرورة الإقبال على دراسة العلوم في أطرها التي ذكرت آنفاً[٢].

وسألناه كذلك عن كتب الإعجاز العلمي وأثرها على طالب العلم فأجاب إجابة موسعة يمكن الرجوع إليها في موقع المجلة.

وفي توجيه طيب من د. عبد الله آل سيف قال: طالب العلم ينبغي له التركيز على طلب العلم؛ وأن يحترم تخصصه وأن لا يدخل على الناس في تخصصاتهم، وليس من الضرورة أن يكون العالم مفكراً، لكن ينبغي له الإلمام بالحد الأدنى من الكتب الفكرية والسياسية ونحوها حتى يعي واقعه ومجتمعه ولا يكون عرضة للاستغفال.

وفي إجابة الشيخ فهد العيبان إضاءة جميلة جامعة مانعة يستأنس بها طالب العلم؛ حيث قال: ينبغي لطالب العلم في هذا العصر أن يكون عنده اطلاع لا بأس به على هذه العلوم؛ ولا يعني ذلك التفرغ لها ولا التخصص فيها؛ لكنَّ طالب العلم

(١) أوضح الشيخ – حفظه الله – هذا الاطراد الإيجابي بكلام ماتع صادر عن حاذق، سينشر في الموقع.(معد التحقيق)

(٢) للاستزادة راجع مقالاً للدكتور على هذا الرابط:.http://www.islamstory.com بعنوان: (الجيل القرآني وبناؤه العلمي).

إذا أراد أن يكـــون إماماً فلا بـــد أن لا يكون جاهلاً في هذه العلـــوم، بل يأخذ منها القدر الذي يمكن أن ينفع به الناس ولا يضر نفسه، ويكون ذلك بالقراءة في بعض هذه الكتب ويقتصر على المهم منها، وكذا الاطلاع على المجلات الإســـلامية التي لها عناية بشيء من ذلك[1].

أما الدكتـــور عبد الله وكيِّل آل الشـــيخ فقد أعطانا إجابة عصرية مهمة جداً، وهي رســـالة منه إلى طلبـــة العلم وعلماء الأمة أيضاً لا ينبغي إغفالها، أترككم معها متدبرين واعين. قال – حفظـــه الله –: الأديب والمفكر لديـــه حصيلة علمية من فنون متعددة، وتتجاوز ميدان العلوم الشـــرعية إلى ميدان السياســـة والاجتماع وعلم النفس ونحوها من العلوم البشـــرية، بل تتجاوز المنجز الإســـلامي إلى ما أنجزه البشـــر الآخرون على اختلاف عقائدهم ومللهم. وإذا كان الأمر على هذا التحديد فالمفكر اليوم والأديـــب بالأمس ميدانه المنطلقات الكبـــرى للعلوم وقضاياها، ولكنه لا يصلح أن يكون مفتياً أو مفسراً حينما يكون النقاش في مسألة جزئية تحتاج من العمق والدراية ما ليس عنده.

وأمـــا العالِم فهو الذي يفقه منطلقات علمٍ بعينه وقضاياه الكلية، كما يُحكِم في الوقت ذاته مســـائله الجزئية؛ ولكنه قد يفتقد المعرفة ببقية العلوم؛ وخاصة ما كان خارج ميدان العلوم الشـــرعية، وهذا الاقتصاد في المعرفة قد يعوقه عن الحديث المؤثر في الدوائر العالمية التي تتداخل فيها العلوم؛ ولذا فمن كمال العالم الذي تخصص في علم بعينه أن يلم بقدر مناسب من العلوم الأخرى؛ شأن كثير من العلماء الأقدمين: كالغزالي وابـــن تيمية وابن خلدون وابن حزم وغيرهم، وأما طالب العلم الـــذي لا يزال في مدارج التحصيـــل الأُولَى فلا ينبغي له أن يتشتت اهتمامه بتعدُّد القراءة إلا بعد زمن يُحكِم فيه مداخل العلوم الأساســـية، فإن أبى إلا القراءة فَلْتكن مســـاحتها من الوقت صغيرة جداً. وبهذه المناســـبة فإنـــي أدعو العلماء إلى صياغـــة حديثة في التـــأليف يظهر فيهـــا الترابط بين أجزاء العلم الواحد على ســـنن ما كتبه الأولون في القواعد الفقهية وكـــذا الفروق الفقهية؛ بحيث يتكون لدى الدارس هيكل العلم متكاملاً ثم يخوض في تفاصيله.

## على طريق المستقبل:

يتســـاءل كثيرون: لماذا كليات أصول الدين وعلوم الشريعة ليســـت بذات مســـتقبل يبني الطالب المتخرج ويجعله متقناً تخصصـــه مثل كليات الطب والهندســـة التي يتخرج الطالب فيها مُحكِماً تخصصه ناهيك عن مكانة يتلقاها في مجتمعه؟

في إجابة متأملة وأســـيفة على الواقع فعلاً يجيب د. عبد الله آل سيف[2]: لو كانت العلوم على طريقة السلف في التلقي والحفظ والمدارســـة ووَفْقَ المناهج التي مشوا عليها وأضيف عليها الوسائل الحديثة لرأيتها تخرِّج طلبة علم متميزين؛ لكن إذا كانت (كلية أصول الدين – قســـم السُّـــنة) لا تلزم الطلب بالحد الأدنى من التأصيل كاستظهار بلوغ المرام وحفظ ألفية السيوطي في المصطلح واستظهار أحاديث الكتب الستة بكثرة المراجعة، وقســـم علوم القرآن لا يلزم الطالب بحفظ القرآن ولا بشـــيء من المنظومات في التجويد وعلوم القرآن مع شرح هذه المنظومات، ولا يلزمـــون الطالب ببرامج قراءة ولا جرد، فلا نستغرب حينها النتيجة[3].

---

(١) الكتب الفكرية المأمونة تفتُّق ذهن طالب العلم وتوسع مداركه، وهي فعلاً تزيد فهمه للأحداث من خلال اطلاعه على تعدد الآراء، والوصول بعد ذلك إلى نتيجة تحليلية مفيدة وناضجة تدربه على حسن التحليل والإدراك، ومن الأمثلة على الكتب المفيدة في ذلك ما يصدره مركز الدراسات والبحوث في مجلة البيان من تقارير إستراتيجية وكتب مفيدة ذات خلاصات رائعة مبحوثة بعناية مثل: مجوعة الإسلام لعصرنا للدكتور (جعفر شيخ إدريس)، وكتاب الإسلام والعولمة للدكتور (سامي الدلال)، وكتاب آخر بعنوان قواعد شرعية لإدارة الصراع الحضاري، ونقد الليبرالية... وغيرها، وهناك مؤلفات لكتاب معيَّنين ينبغي ألا يُغفلَهم طالب العلم من جدوله العلمي مثل كتب مالك بن نبي (مستقبل الأفكار في العالم الإسلامي)، وأبي الحسن الندوي ولا سيما كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ربانية لا رهبانية)، ومحمد قطب في (واقعنا المعاصر)، وهناك كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لجميل المصري، وكتابات عماد الدين خليل (تهافت العَلمانية، وإسلامية المعرفة)، ومحمد العبدة (قيام الدول وسقوطها)، وكتب أنور الجندي، وللدكتور صالح الحصين كتابات عن الإسلام والغرب وغيرهم كثير. (معد التحقيق)

(٢) للشيخ – حفظه الله – محاضرة بعنوان الإبداع في طلب العلم فيها طرائق شيقة جداً يحسُن بطالب العلم الرجوع إليها على هذا الرابط:
http://liveislam.net/browsearchive
كما له لقاء شيق على موقع الإسلام اليوم على هذا الرابط عن التأصيل الفقهي:
http://islamtoday.net/nawafeth/

(٣) لعل هذا التحقيق يُجمَع وينشر بكامل مادته في كتاب بإذن الله، ويُزوَّد بملاحق مختلفة ومفيدة لبناء طالب العلم؛ لذا نرجو من الإخوة تزويدنا بآرائهم حول هذا الكتاب وإفاداتهم ومقترحاتهم على بريدي المذكور، وستسجل الفكرة باسم صاحبها، وهم شركاء في الأجر والمثوبة، ولعل الله ينفع به طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها، ويكون دليلاً ومرجعاً لهم. (أخوكم معد التحقيق)

# [ المسلمون.. والعالم ]

مجازر سورية والجذور الباطنية
د. محمد الناصر

الأسباب الخمسة لامتناع الغرب عن معاقبة الأسد
عصام زيدان

تطوُّرات الثورة اليمنية والدور الخارجي لإجهاضها
أنور بن قاسم الخضري

مصر... ثورة مضادة لإبعاد الجيش وعزل الإسلاميين
عامر عبد المنعم

مستقبل النظام الإقليمي العربي في عصر الثورات
محمد سليمان الزواوي

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

# مجازر سورية والجذور الباطنية

د. محمد الناصر

لقد هالني وهال كلَّ مراقب منصف للأحداث هذه المجازر البشعة والإبادة الجماعية على أرض سورية الحبيبة.

إنها إبادة شعب حرٍّ أبي خرج يطالب بالحرية والكرامة بعد نصف قرن من حكم حزب البعث، بعد معاناة طويلة من القمع والاضطهاد والقهر، خرج وهو أعزل من السلاح ينادي: سلمية سلمية، لا أحزاب ولا طائفية. خرج الشعب في معظم محافظات سورية بالآلاف؛ إلا أنهم انهال عليهم الرصاص الحي الكثيف، وقد دبرت السلطات لهم الاتهامات الباطلة بالتآمر على وحدة الوطن، وإثارة الطائفية، وتنفيذ مؤامرة خارجية وراءها: أمريكا والصهيونية.

بينما كان قادة الصهاينة يدافعون عن نظام الأسد؛ (لأنه يحافظ على عهوده معهم، ويقدم لهم أمناً دائماً في الجولان).

قال إيهود أولمرت: (طَلَبتُ من الولايات المتحدة وقف الضغط الإعلامي على سورية، ورئيسها يستحق تقديرنا واحترامنا)[1].

لقد نسي بشار الأسد في خطابه أمام مجلس الشعب صاحب التصفيق و(البصْم) على أي كلام يقال، أن أسلافه (ابن علي، ومبارك، والقذافي) قد وجَّهوا الاتهامات للمطالبين بالإصلاح بأنهم قلة، وينفذون مؤامرة خارجية، تريد إنهاء النظام (المقاوِم).

ونسي أيضاً أن والده قد سلَّم الجولان لإسرائيل عام ١٩٦٧م بلا قتال، حينما كان وزيراً للدفاع[2].

نسي (بشار) كل ذلك وهو يهدد الشعب السوري باستعادة (إنجازات والده) البطولية ضد هذا الشعب، عندما أقام المجازر في مدينة حماة، عام ١٩٨٠م، فقتل من أهلها من (٣٠ - ٣٥) ألف مواطن، وتم تدمير أحياء بكاملها، وأزال عشرات المساجد والآثار التاريخية؛ نتيجة القصف المدفعي[3].

كما نشروا الخراب والدمار والمجازر والوحشية، في مدن حمص وجسر الشغور وحلب، وها هو اليوم يرسل دباباته وعصابات الأمن ليعيدوا أمجاد أبيه في الرستن وبانياس وتلبيسة ومدينة درعا وقراها، وما جرى في صحراء تدمر من مقابر جماعية تزيد عن (٧٠٠ شاب) من خيار الدعاة والمثقفين، كانوا قابعين في سجن تدمر.

(١) مجلة المجتمع، العدد: ١٩٤٧، ٩/٤/٢٠١١م.

(٢) ينظر: كتاب: سقوط الجولان، لخليل مصطفى بريز طبعة مصر ١٩٨٠م.

(٣) الصراع على السلطة في سورية: نيقولاوس فان دام (ص ١٦٥) وما بعدها.

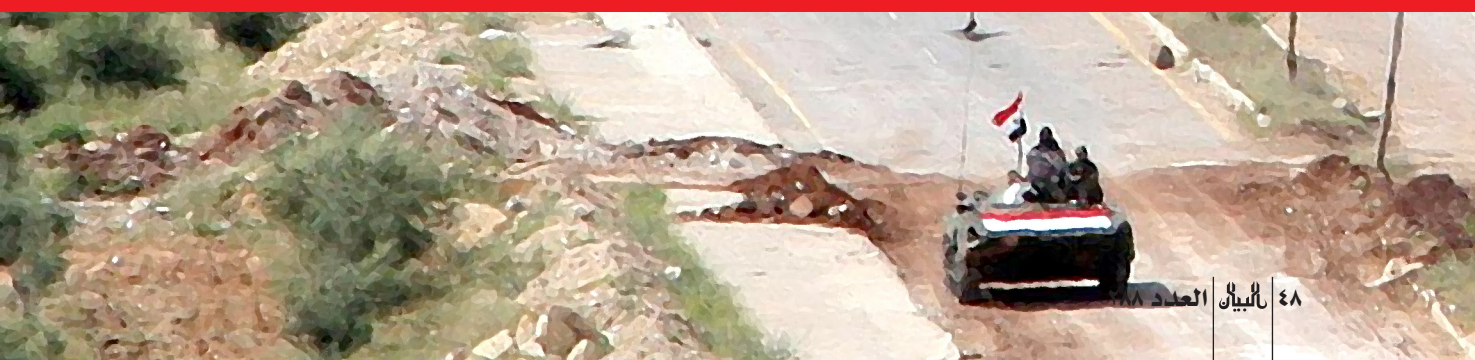

## صور من وحشية النظام:

لقد مضى على جرائم هذا النظام العسكري أكثر من ثلاثة أشهر ورجاله يحاصرون المدن والقرى بالدبابات والمدرعات، ويقذفون الشعب الآمن بالصواريخ والمدفعية، ويمنعون عنه التموين ويقطعون الكهرباء، ويقصفون خزانات المياه، ويعتلي القناصة المنازل والدوائر الحكومية، يطلقون الرصاص عشوائياً، يثيرون الرعب والدمار فكانت المقابر الجماعية ابتداءً من درعا مروراً بحمص وتلكلخ وبانياس والرستن وانتهاءً بدير الزور وإدلب والبو كمال. وكانت أداة القمع الوحشية تنتقل ضمن مدن أهل السُّنة بشكل سافر. وهو ما يتم عرضه عن طريق الشهود العيان في القنوات الفضائية، حيث التعتيم الإعلامي السوري المطبق.

أما المساجد فقد عاثوا في كثير منها خراباً وفساداً وهدموا بعضها، ومنعوا فيها الأذان وصلاة الجمعة والجماعة، وما زالوا يحادُّون الله ورسوله. فقد حولوا المسجد العمري الكبير في مدينة درعا إلى ثكنة عسكرية واعتقلوا إمامه الشيخ الضرير المسن (أحمد الصياصنة) بعد أن قتلوا ابنه أمام أهله وهددوا بقتل الباقين[1].

وفي دمشق منعت عصابات الأمن المصلين من دخول مسجد (الحسين) لصلاة الجمعة، وهو ما جعل شيخ قراء الشام (الشيخ كريم راجح) يعلن استقالته من فوق منبر المسجد احتجاجاً على هذا التصرف المشين[2].

ومن المآسي العجيبة التي لا يقبلها منطق سليم، ولا ضمير حي، وليس لها نظير إلا في جرائم القرامطة والحشاشين ومن على شاكلتهم مثل ميليشيات فيلق بدر وحسين المهدي في العراق، النماذج التالية:

• ففي مدينة المسيفرة قرب درعا، بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢م جرى اعتقال خمسين من أهلها، وبعد فترة أعيد منهم خمسون جثة ملطخة بالدماء، وعليها آثار تعذيب وحشي تقشعر له الأبدان.

• كما أظهرت قناة الجزيرة وغيرُها الطفل (حمزة الخطيب) ابن الثالثة عشرة من عمره، من بلدة الجيزة قرب درعا، وهو جثة هامدة، تقشعر لمنظرها الأبدان، قد شُوِّهت جثته ووجهه خلال التعذيب الوحشي، كما كُسِر عنقه وقُطعَت أعضاؤه التناسلية، كما أعيدت جثة المدرس (حسين الزعبي) وقد سُلِخ جلده تماماً[3].

• وتكاد مظاهر الوحشية لا تنتهي في المدن السورية؛ ففي مدينة (بانياس) الساحلية بعد الحصار الدامي والاعتداءات على أهلها ومسجدها، نشرت القنوات الفضائية صور تعذيب المعتقلين، وقد قُيِّدوا وأُلقوا على وجوههم، وكانت عصابات الأمن يدوسون على أجسادهم ووجوههم وهم يتضاحكون ويسخرون، وحتى النساء ما سلمن من بطشهم؛ إذ قتلوا منهن أربع نسوة، وأجهزوا على خامسة وطفلها، كانت قد نقلته إلى المستشفى.

• ثم استشهد من أهل مدينة (جسر الشغور) ما لا يقل عن (١٢٠) شهيداً، بتاريخ ١٤٣٢/٧/٥هـ، وقامت القوات العسكرية بمهاجمتها على الرغم من فرار أهلها نحو الشمال إلى تركيا، ويبدو أن نفراً من الجنود والضباط الشرفاء رفضوا إطلاق النار على المتظاهرين، فقُتِلوا على يد رجال الأمن، وكالعادة فإن الإعلام السوري يتهم المتظاهرين وعصاباتهم المسلحة بقتل رجال الجيش.

• وفي تلكلخ فإن نصف منازلها هُدِّمت وفر أكثر من أربعة آلاف من أهلها نحو (وادي خالد) في لبنان، وكان قد تم النزوح من درعا إلى الأردن، وتكرر الاعتداء على الأعراض ونُهِبَت الممتلكات[4].

## دور الشبيحة في الإجرام:

الشبيحة: هم مجموعات من الشباب النصيري الذين يعملون لدى المتنفذين من العائلة الحاكمة في مجال التهريب والسرقة والسطو على أموال الناس وأرواحهم، ومعهم عناصر الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة برئاسة (ماهر الأسد) شقيق الرئيس السوري، وفي مصر يسمى هؤلاء (بالبلطجية) وهم أقرب إلى قطاع الطرق ورجال القرامطة والحشاشين؛ حيث انسلخ هؤلاء من إنسانيتهم، وأصبحوا أقرب إلى البهائم المتوحشة المفترسة (في شراستها).

شكَّل هؤلاء السادِيُّون مجموعات من القتلة (بلباس مدني مميز)، يعتدون بأسلحتهم على المتظاهرين المسالمين بشكل عشوائي، يقصدون الرأس والصدر، ثم يمنعون وصول سيارات الإسعاف وإنقاذ الجرحى، ومنهم قناصة تعتلي ظهور المنازل والدوائر الحكومية.

ثم انبرت هذه المجموعات من القتلة، لقتل كثير من أفراد الجيش والشرطة، ممن يرفضون إطلاق النار على المتظاهرين العزل، وكان قتلهم - غالباً - غدراً من الخلف، ويدَّعي النظام بعد ذلك أن عصابات مسلحة متآمرة قد قتلتهم[5].

---

(١) نشرت القنوات الفضائية هذه الأخبار كـ (الجزيرة وغيرها)، ١٤٣٢/٥/٢٣هـ.

(٢) نشرت القنوات الفضائية هذه الأخبار كـ (الجزيرة وغيرها)، ١٤٣٢/٥/٢٣هـ.

(٣) قناة الجزيرة، ١٤٣٢/٦/٢٤هـ، وكان اعتقاله قد تم في جمعة الغضب، ١٤٣٢/٤/٢٩هـ.

(٤) نقلت وسائل الإعلام خارج سورية هذه الأخبار بشكل مستفيض.

(٥) ينظر المجتمع، محمد فاروق الإمام، عدد ١٩٤٩، ٢٠١١/٤/٢٣م.

## دور وسائل الإعلام الرسمية:

السلطات السورية تمنع كل وسائل الإعلام الدولية والعربية من تغطية الأحداث، وتنفرد هي بما يريد النظام نقله؛ تضليلاً للرأي العام.

هنالك تعتيم إعلامي شديد عجيب في هذا القرن؛ ولذلك فقد سقطت هيبة الإعلام السوري، وأصبح مدار تندُّر لكذبه الفاضح، مبتعداً عن المصداقية.

كما انبرى عدد من مرتزقة الإعلام السوري لتزوير الأحداث وقلب الحقائق، وقد نبذهم أحد الكتاب بأنهم: (شبيِّحة الإعلام) منهم قتلة يبررون للقتلة أفعالهم[١].

يقول أحد الكتاب: (عجبت لإعلامي رسمي، بلغت به الجرأة أن يقول لمذيع في جزيرة: إن الوضع هادئ والأمن مستتب، وعندما سأله المذيع: ألا ترى المظاهرات الغاضبة؟ أجاب: هذه صور من بلاد أخرى تعرضونها على شاشتكم؟

ومما يوضح عقلية ومستوى هؤلاء الإعلاميين: أن قناة الـ (بي بي سي) بينما كانت تستضيف مدير أخبار الشرق العربي (عبيدة النحاس)، دخل على الخط إعلامي سوري من اللاذقية، وقال للمذيع: (ضيفك هذا ومن هم على شاكلته، لا ينفع معهم إلا الرصاص)[٢].

### أخي الكريم!

إن هذه الجرائم الوحشية: من قَتْل واعتداء على الأعراض، ومهاجمة الناس الأمنين، واعتداء على حرمة المساجد، ومنع إعلان الأذان من مآذنها، لم نجد لها نظيراً إلا عند الحركات الباطنية في التاريخ الإسلامي.

- فهل تُوجِّه الجيوش بسلاحها الثقيل نحو المواطنين، وتضطرهم إلى الفرار نحو دول الجوار؟ وهل كان الجيش السوري حامي الديار على الحدود وسيلة لاحتلال المدن السورية بدلاً من التوجه نحو العدو الصهيوني، أو إلى استرجاع الجولان المحتل، الذي لم تطلَق نحوه طلقة واحدة منذ أربعين عاماً، ثم يقال: إنهم دولة الصمود والممانعة؟

## ما أشبه الليلة بالبارحة:

لقد عاثت الحركات الباطنية فساداً في حياة المجتمعات الإسلامية وتعقَّبها قادة المسلمين، وحاولوا القضاء على شرورها ومن أبرز تلك الحركات: الإسماعيلية صاحبة الدولة العبيدية (الفاطمية)، والقرامطة، والحشاشون، والنصيرية. ويُلاحَظ أن قادة هذه الحركات من أصل فارسي مجوسي؛ فهي عناصر حاقدة على المسلمين، تؤمن بالتقمص وإنكار يوم الآخر مع إباحة المحرمات، ولهم طموحات سياسية انفصالية، وعلى الرغم من اختلافها ببعض العقائد والأفكار، إلا أنها اجتمعت على شيء واحد هو محاربة الإسلام، وإفساد عقائده وارتكاب الكبائر وإباحة الأعراض، ناهيك عن سفك الدماء. ومن المعلوم أن هذه الحركات تتخذ التشيع ستاراً، لتخفي وراءه اعتقاداتها وأهدافها[٣].

**فالإسماعيلية:** كان (ميمون القداح) من أكبر مؤسسيها وهو يرجع إلى أب يهودي كان ربيباً لمجوسي، أسس الدولة العبيدية، التي تسمى الدولة الفاطمية زوراً وكذباً[٤]. وقد تعاونت مع الصليبين ليساعدوهم ضد السلاجقة الأتراك السُّنة[٥]. وكان لملوكهم تاريخ حافل بالجرائم الشنيعة. قال أبو الحسن القابسي: (إن الذين قتلهم عبيد الله (جدهم) وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردُّوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا والموت)[٦].

- وذكر القاضي عبد الجبار البصري: «أن الملقب بالمهدي لعنه الله، كان يتخذ الجهال ويسلطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيُذبحون في فرشهم».

**أما القرامطة:** فقد انتشروا في القطيف وما حولها، ومنهم أبو سعيد الجنابي (فارسي الأصل)، هاجموا بقيادته (دمشق) وكثيراً من مدن الشام، وأشاعوا فيها الرعب والدمار.

ومن أقبح جرائمهم هجومهم على مكة المكرمة بقيادة (أبو طاهر الجنابي)، وهو فارسي الأصل أيضاً؛ حيث قتلوا كلَّ من وجدوه في مكة والمسجد الحرام، عام ٣١٧هـ، وقد ألقوا بجثث القتلى في بئر زمزم، وكان الناس يفرون ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يغني ذلك عنهم شيئاً؛ بل يقتلون وهم كذلك، ويقتلون في الطواف، وأبو طاهر - لعنه الله - جالس على باب الكعبة، والرجال تُصرَع حوله في الشهر الحرام في المسجد الحرام في يوم (التروية) وهو يقول: (أنا الله وبالله، أنا أنا أخلق الخلق

(١) برهان غليون: في إحدى القنوات.
(٢) مجلة المجتمع، عدد ١٩٤٩، ٣٢/ ٤/ ٢٠١١م. من مقال لمحمد فاروق البطل.

(٣) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨٦م، ص ٨ - ٩.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٢٦٧، والفتاوى لابن تيمية: ٤/ ١٦٢.
(٥) الكامل في التاريخ: ٨/ ١٨٦.
(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٤ - ٦.

وأفنيهم أنا) وأمر بقلع الحجر الأسود، وبقي عندهم (٢٢ سنة)[١].

**الحشاشون:** وهي فرقة باطنية انفصلت عن الإسماعيلية والدولة العبيدية بمصر بقيادة (الحسن بن الصباح)، وكان مركزها الأساسي في قلعة (آلموت) في بلاد فارس، كان ذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري، واستولوا بعدها على عدد من الحصون في بلاد الشام، وتميزوا باغتيال قادة الجهاد والعلماء، كانوا خناجر غادرة تطعن قادة الأمة: من فقهاء وخلفاء ووزراء؛ إذ اغتالوا اثنين من الخلفاء العباسيين، وحاولوا مرتين اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي في عامَي ٥٧٠ - ٥٧١هـ بينما كان في خيمته[٢].

كما أنهم أشاعوا الرعب والخوف بقطع الطرق والاعتداء على القرى المجاورة، يقتلون الناس ويستولون على ما لديهم من متاع ومال.

ولم تسلم قوافل المارة بجوار قلاعهم من القتل والنهب فأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم ولا أولادهم وأموالهم. وكان الرجل إذا تأخَّر عن بيته عن الوقت المعتاد، تيقن أهله من قَتْله وقعدوا للعزاء به، وصاروا لا ينفرد أحدهم في مسيره[٣].

ولم يسلم الحجاج من بطش الباطنين هؤلاء؛ ففي عام ٤٩٨هـ تجمعت قوافل الحُجاج في ما وراء النهر وخرسان والهند، فوصلوا إلى نيسابور، فباغتهم الباطنيون وقت السحر، ووضعوا فيهم السيوف وقتلوهم، وغنموا أموالهم ودوابهم، وكرروا ذلك في حجاج خرسان، قتلوهم جميعاً، وكان منهم الأئمة والعلماء والزهاد[٤].

**النصيرية:** حركة باطنية، ظهرت في القرن الثالث الهجري، تُنسَب إلى محمد بن نصير النميري البصري، وهو فارسي الأصل، ادَّعى النبوة وقال بإباحة المحرمات.

ترأس الطائفة بعده عام ٢٧٠هـ، محمد بن الجنان الجنبلاني، ثم حسين بن حمدان الحصيبي أحد أقارب سيف الدولة الحمداني، وقد ساعده هذا الأمير على بث دعوته وجمع كلمة الطائفة النصيرية في حلب وما حولها، فكل هؤلاء كانوا من أصل فارسي، يمجدون الشخصيات الفارسية، وتؤمن هذه الطائفة كغيرها من الباطنيين بالتقمص وإنكار الآخرة والحساب والجنة والنار، وإباحة المحرمات، ولهم طموحات انفصالية[٥].

وقد كان النصيريون خلال تاريخهم يتعاونون مع الغزاة على بلاد الشام؛ إذ تعاونوا مع الحملات الصليبية على بلاد الشام، كما تعاونوا مع المغول التتار، فكانوا يغدرون بجيوش المسلمين وينهبون ويقتلون[٦].

وفي أيام الدولة العثمانية، تعاونوا مع الصفويين لحرب أهل السُّنة، وقاموا بعدة ثورات ضد المسلمين عام ١٨٣٤م؛ إذ هاجموا مدينة اللاذقية، ونهبوا وقتلوا، فعاقبهم الوالي بشدة، ثم حاول السلطان عبد الحميد إصلاحهم وبنى لهم المدارس والمساجد لكن بلا فائدة.

كما هاجموا مدينة (جبلة) فقتلوا ونهبوا، وسبُّوا الشيخين أبا بكر وعمر، وكانوا ينادون: لا إله إلا علي، ويطلبون من الأسير أن يقول بذلك كما خربوا المساجد وأتخذواها خمارات، فجرد السلطان إليهم العساكر وهزموهم[٧].

أما المسعمر الفرنسي فقد كرس الطائفية في البلاد وجعل لهم دولة، وقد رفعوا عدداً من المذكرات عام ١٩٣٦م إلى حكومة فرنسا، يطالبون فيها بتكريس انفصالهم[٨].

وبعد الاستقلال خططوا للتغلغل في أوساط الجيش، والدخول في الأحزاب السياسية القومية كحزب البعث والقومي السوري، وعقدوا المؤتمرات للتوصُّل إلى سدة الحكم، وتخلَّصوا من الكتل العسكرية المناوئة.

فهل يعيد التاريخ نفسه في هذه الإبادة الجماعية: من تعذيب وحشي وسفك للدماء؟ فالمتظاهرون يصرون على أن ثورتهم سلمية، وينفون عنهم الحزبية والطائفية؛ إلا أن السلطات العسكرية هي التي تجر البلاد إلى طائفية بغيضة، يترفع الشعب السوري عنها طيلة تاريخه الطويل؛ فقد كان وما يزال يتعايش مع كل الأقليات ضمن سماحة الإسلام وهديه، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

اللهم جنب البلاد والعباد، شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم ألهم المسلمين رشدهم، وأنصرهم على عدوهم، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦/ ١٠٤، ١٨٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ٨/ ٢٠٠ - ٣٤٨، والروضتين: أبو شامة: ١/ ٣١. ولُقِّبوا بالحشاشين لتناولهم الحشيش المخدر.

(٣) المصدر السابق: ٨/ ٢٠٠، وأثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٤) المصدر السابق: ٨/ ٢٠٠، وأثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٥) ينظر: ابن حجر في لسان الميزان: ٢/ ٢٧٩ -٢٨٠، والعلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان، ص١٥٧.

(٦) أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص٢٥٤.

(٧) ينظر: خطط الشام: محمد كرد علي: ١/ ٢٦٠ - ٢٦٣، والبداية والنهاية: ٢/ ٨٣ - ٨٤.

(٨) كتاب النصيرية: تقي شرف الدين، ص ٨٥ - ٨٩، والحركات الباطنية: د. محمد الخطيب، ص٣٣٤ - ٣٣٥.

# الأسباب الخمسة
## لامتناع الغرب عن معاقبة الأسد

عصام زيدان(*)
Essam_zedan30@hotmail.com

منذ اندلاع الثورات العربية في تونس ثم مصر، وتبعتهما ليبيا واليمن وسورية، فإننا سنجد أن الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص اتخذوا مواقف متباينة من كل ثورة، كما تباين موقفهم من كل ثورة حسب تصاعد وتيرتها وقدرتها على الحسم.

فقد وقف الغرب إلى جانب النظام التونسي إلى أن أوشك على الغرق فتنصَّل منه، ورفض حتى مجرد تزوُّد طائرته بالوقود في الأجواء الفرنسية، وكذا تدرَّج موقفه من النظام المصري: من دعم صريح إلى مطالبته بالرحيل و «الرحيل الآن».

وكان لافتاً للنظر ذلك التغيُّر الحادث في الموقف الأوروبي والأمريكي من الثورات بالتدخل العسكري المباشر في ليبيا بدعم أممي وعربي، بدعوى وَقْف الانتهاكات والمجازر البشرية التي كان يزمع العقيد الليبي (معمر القذافي) ارتكابها في حق أبناء وطنه.

واختلف الأمر جذرياً في ما يخص الموقف الغربي والأمريكي من ثورتَي ليبيا واليمن؛ حيث أظهروا «رباطة جأش» منقطعة النظير إذا ما قارنا ذلك بموقفهم المتشدد من النظام في ليبيا، وحسمهم للموقف مع نظامَي (مبارك وبن علي) ودعمه للثورتين (المصرية والتونسية)، حينما أوشكتا على خلع الرئيسين.

(*) باحث وكاتب مصري.

### محددات التدخل الغربي:

إن الموقف الغربي من الثورات تحكمه في النهاية المصلحة الغربية؛ فما تتدخل دعماً للثوار إلا لمصلحة سياسية غربية، وما امتنع عن التدخل في سورية واليمن، إلا لمصلحته السياسية البحتة، التي لا علاقة لها بالحرية والديمقراطية ودعم المدنية؛ وإلا ما تجزأت مواقفه واضطربت من ثورة لأخرى.

فالغرب لا يتعامل بالقيم التي يدَّعيها ويصدِّع بها رؤوسنا؛ وإنما التفسير المنطقي الوحيد الذي يتسق مع ما نراه من اختلاف وتباين في مواقفه رغم تشابة الظروف ووجود المبررات نفسها يكمن في اختلاف مصلحته من هذا النظام أو ذاك، ورغبته في تثبُّت نظام أو رحيله.

ومما لا يغيب عن الأذهان أن أيَّ ثورة تطلب دعماً غربياً، تفقد كثيراً من نقائها، وتضع اللبنة الأُولَى في بناء علاقة غير متزنة مع القوى الغربية؛ ربما تدفع لها أثماناً باهظة في مسيرتها للتحرر من الأنظمة الفاسدة، وأثماناً أكبر حينما يستقر لها الأمر وتبدأ مرحلة البناء.

فهذا الدعم الذي يقدِّمه الغرب الآن لبعض الثورات، لم ولن يكون مجانياً، بل سيطلب الغرب في مقابله مطالب باهظة من الثوار بعد ذلك؛ وهو الأمر الذي يثير مخاوف جمة من ارتهان القرار السياسي لهذه الدول مستقبلاً بالمصالح الغربية، على نحو ما كنا نراه من الأنظمة الراحلة وبعض الأنظمة التي أخذت طريقها للرحيل.

## لماذا التلكؤ الغربي في التعامل مع النظام السوري؟

وإذا كنا قد أثبتنا أن الدوافع الغربية في التعامل مع الثورات هي المصلحة السياسية، ولا اعتبار في ذلك للقيم الإنسانية، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن إنما هو عن تلك المصالح التي يجنيها الغرب من بقاء النظام السوري وعن مبررات الرفق الشديد في التعامل معه.

إننا حتى هذه اللحظة نجد أن الولايات المتحدة، وعلى لسان وزيرة خارجيتها هيلاري كلينتون، اعتبرت الرئيس السوري بشار الأسد «إصلاحياً»، ويمكنه أن يقوم بأمور تعدِّل الأوضاع السياسية في سورية، وأن المستقبل ما زال أمامه للقيام بمهامَّ إصلاحية، تؤمن بها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبررت عدم اتخاذ خطوات قاسية ضد النظام السوري رغم أن جرائمه فاقت بكثير ما كانت تقوم به قوات الزعيم الليبي معمر القذافي بأنه «لا يوجد شهية لذلك... لا توجد إرادة... لم نرَ أي نوع من الضغط مثل الذي رأيناه يتراكم من حلفائنا الأوروبيين في حلف شمال الأطلسي والجامعة العربية وغيرها لفعل الأمر نفسه الذي فعلناه في ليبيا».

بل ذهبت إلى حدِّ الدفاع عن نظام الرئيس بشار الأسد قائلة: «إن الأسد قال الكثير من الأمور التي لم نسمعها من زعماء آخرين في المنطقة حول نوع التغييرات التي يريد رؤيتها».

وحسب ما نراه فإن هناك عدة مبررات لهذا الإعراض الغربي عن التعرض للنظام السوري، والتوقف عند حد العقوبات اللينة التي أدمن النظام السوري التعامل معها، وهي:

**أولاً:** هناك ما يمكن أن يقدمه النظام السوري خدمة للغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص، في ثلاثة ملفات لها أهمية كبرى للدول الغربية، وهي:

١ - ملف المقاومة الفلسطينية وتطويع مواقفها من السلام مع الاحتلال الإسرائيلي، ووَقْف أية عمليات مقاومة مسلحة داخل الأراضي المحتلة؛ حيث يفرض النظام السوري الذي فتح أراضيه لقادة المقاومة الفلسطينية، نوعاً من السيطرة على توجهات الفصائل المؤثِّرة.

٢ - الملف الإيراني (الحليف الإستراتيجي للنظام السوري): حيث تمتد الأذرع الإيرانية إلى ملفات حيوية شديدة الأهمية في المنطقة، منها: العراق، وأمن الخليج العربي، والملف النووي، الذي لم يصل الغربي فيه لنتيجة مُرْضية مع نظام (خامنئي - نجاد).

٣ - الملف اللبناني: حيث يمتلك النظام السوري أوراق اللعب المؤثرة في الساحة اللبنانية، ومن أهمها ورقة حزب الله، الذي يقوم بدور تعطيل الحياة السياسية اللبنانية، بإملاء وإيعاز مباشر من القيادة السورية منذ خروجها المهين من لبنان قبل عدة سنوات.

وقد يسعى الغرب لنوع من المقايضة مع النظام السوري؛ بحيث يضمن بقاء هذا النظام، في مقابل خدمات في أيٍّ من هذه الملفات الثلاثة أو أحدها.

**ثانياً:** يخشى الغرب في حال سقوط نظام الأسد الابن وتولِّي نظام وطني أن يعيد اللحمة مرة أخرى مع المملكة العربية السعودية ومصر، ويعاد إنتاج مثلث المصالح العربية الذي طالما أدار الملفات العربية وَفْقَ مصالح عربية بحتة؛ متصدياً في كثير من الأحيان للإملاءات الغربية التي تصطدم مع المصالح العربية الإستراتيجية.

فالنظام السوري الحالي - وللأسف - قد غادر الوطن العربي، ميمماً وجهه شطر إيران، التي عقد معها اتفاقات إستراتيجية وشراكة على حساب القضايا والمصالح العربية، ولم يعد معنياً بالقضايا العربية، إلا بما يخدم المصالح (السورية - الإيرانية) المشتركة.

ولعل الثورة المصرية قد أخافت الغرب من حدوث تغيُّر مشابه في منظومة الحكم السوري، وهو الأمر الذي يغير

حقيقةً مِن شكل المنطقة العربية تماماً؛ فالتاريخ يؤكد على أن مصر والشـــام تُعدَّان قاطرتَي العمل العربي والإسلامي، وأي تغيُّر فيهما ينتج معادلات سياسية واجتماعية جديدة؛ لذا فإنه في حال ســـقطت ورقة بشار فإن المنطقة ستتحول إلى شرق أوسط جديد غير الذي يريده الغرب ويسعى لصناعته.

**ثالثـاً:** الاســـتفادة الإســـرائيلية من نظام الرئيس بشار الأســـد، الذي ما زال يسم نفسه بســـيد «المقاومة والممانعة»، ويصطف في مواجهة إعلامية صارخة ضد إســـرائيل، وهو النظام الذي لم يطلق رصاصة واحدة لتحرير الجولان المحتل منذ عام ١٩٦٧م، أو مواجهة الخروقات المســـتمرة لدفاعاته وأراضيه، أو الدفاع عن أهل غزة، ونصرة قضايا الأمة.

فإســـرائيل تســـتغل الحملات الإعلامية التـــي يقوم بها النظام الســـوري دون ملل أو كلل منذ عشرات السنين للهروب من اســـتحقاقات الســـلام ورفض الانســـحاب من الأراضي المحتلـــة بدعوى أن أمنها الداخلي ما زال مهدَّداً بقوة من ذلك التحالف الذي يشكِّله محور (سورية - إيران).

فالســـعي الســـوري لعقد صفقات صاروخية مع الاتحاد الســـوفييتي، وســـعي إيران لحيازة التقنية النووية، يدعمان بصورة مباشرة مطالب إسرائيل ببناء ترسانة عسكرية ضخمة وطلب المزيد من المعدَّات العســـكرية الحديثة بدعوى الحفاظ على أمنها المهدَّد.

**رابعاً:** حماية حدود «إســـرائيل»، ولجم الحركات المسلحة كحـــزب الله وغيره، وَفْقَ ضوابط وقواعد اللعبة السياســـية؛ حيث ترتبط توجهات تلك الحركات بالنظام الســـوري، الذي ما زال حتى الآن صمام أمان لحدود إســـرائيل، مجهضاً أي محاولات مسلحة حقيقة تنطلق لتنغِّص الوجود الإسرائيلي في الجولان، أو ترهب جيش الاحتلال داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفي حال سقوط نظام الرئيس بشار الأسد فإن إسرائيل (ربيبة الغرب)، تخشى من وجود نظام وطني سُني يقود عملية تحرِّر للجولان، ويفتح على إسرائيل باباً جديداً للمقاومة على تلك الحدود الآمنة تتلاقى مع حركات المقاومة الداخلية التي يتمركز زعماؤها في دمشق أيضاً.

فـ «الأسد ملك إسرائيل»، كما أشارت صحيفة «هآرتس» العبرية، في تقرير نشـــر أخيراً؛ حيث أشـــارت إلى حالة من القلق تنتاب الأوساط الإســـرائيلية من احتمال سقوط نظام بشار الأســـد في دمشـــق، مضيفة أن الكثيرين في تل أبيب يصلُّون من قلوبهم للرب أن يحفظ ســـلامة النظام الســـوري الـــذي لم يحارب إســـرائيل منذ عام ١٩٧٣م رغم شـــعاراته المستمرة وعدائه (الظاهر) لها.

**خامساً:** على خلاف الأوضاع في ليبيا فإن الجيش السوري ما زال يقف خلف مؤسسة الرئاسة لاعتبارات طائفية؛ وهو ما يعني أن التدخل الغربي سيكون مكلفاً، من الناحية العسكرية؛ لأنه سيواجه جيشاً متماسكاً خلف قيادته إلى حدٍّ ما.

كما أن الجيش الســـوري، لا تعـــوزه المهنية، كما هو حال الجيش الليبي، وهـــو ما يعني أن حرباً حقيقة قد تقع عندما يتدخل الغرب عســـكرياً، ومن ثَمَّ يصبح حجم الخســـائر في صفوف القوات الغربية أكبر من قدرتها على التحمل، في ظل المناخ الغربي المناهض للتدخل وبذل الدماء الغربية.

### هل يمكن أن يغير الغرب موقفه؟

كما أســـلفنا القول، فإن الغرب يبني مواقفه على المصلحة السياســـية دون النظر لمعيار القيم الإنسانية وغيـــره، ومن ثَمَّ فإن موقفه يتســـم بدرجة عالية من المرونة التي تســـمح له باتخاذ مواقف أكثر صلابة أو أكثر رقة من النظام السوري، حسب رؤيته للمصلحة، وتقديره لأهميتها، وقدرة النظام السوري الحالي على تحقيقها.

فقد تتبـــدل مواقف الدول الكبـــرى الغربية من النظام السوري نتيجة محدِّدَين اثنين:

**المحدد الأول:** المصلحة السياســـية التي يمكن أن يجنيهـــا من بقاء نظام الرئيس بشـــار الأســـد: فإذا ضعفت قيمة هذه المصالح، أو تبدلت، أو فقد النظام السوري القدرة على إنجازها فإننا قد نرى تغيُّراً في موقف القوى الغربية من هذه النظام.

المحدد الثاني: قـــوة الثـــورة الداخلية وتصاعد قدرتهـــا علـــى تحقيق إنجـــازات حقيقـــة دون دعم خارجي؛ بحيث تكون قادرة بالفعل على إكمال ثورتها حتى النهاية وإسقاط نظام بشار الأسد.

# أوراد

## أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).

في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات
تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء


للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان
دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦
الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

# تطوُّرات الثورة اليمنية والدور الخارجي لإجهاضها

أنور بن قاسم الخضري(*)

اتخذت الأحداث في اليمن مساراً جديداً بعد أن سعى الرئيس علي عبد الله صالح للقضاء على خصومه من خلال التصفية الجسدية عبر محاولات اغتيال شملت: اللواء ركن علي محسن الأحمر، والشيخ صادق بن عبد الله بن حسين الأحمر، والنائب البرلماني المؤتَمري محمد عبد الله القاضي، وغيرهم. ومع فشل ذلك وإصرار الرئيس صالح على خوض مواجهات مسلحة ضد أبناء الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر لجرِّ الوضع من ثورة سلمية (حافظت على مسارها لأربعة أشهر واجهت خلالها صنوف التآمر) إلى حرب عسكرية تدور بين السلطة وأطراف قَبَليَّة وأخرى منشقة عن القوات المسلحة ومؤيدة للثورة، أصبح كثيرون قلقين من غلبة هذا المنحى على طبيعة المشهد السياسي.

(*) رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث.

غيـــر أن عمليـــة الاغتيال التـــي نالت الرئيـــس علي صالح وقيادات عليـــا في الدولة، منهم: يحيـــى الراعي (رئيس مجلس النواب)، وعبد العزيز عبد الغني (رئيس مجلس الشـــورى)، ود. علي مجـــور (رئيس الوزراء)، وآخرون، فـــي ٣ يونيو ٢٠١١م في القصر الرئاسي، خلطت الأوراق بشكل كبير.

ففي حين جرى توجيه الاتهام بادئ الأمر عبر تســـجيل صوتي منسوب إلى الرئيس صالح لأبناء الأحمر، بعد عملية قصف صاروخي أعقبت الحادثة مباشرة لمنزل أبناء الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في منطقة حدة، ومنزل اللواء ركن علي محســـن الأحمر في المنطقة نفسِـــها، تراجع الإعلام الرسمي عن هذا الاتهام للحديث عن هجوم للقاعدة، ثمَّ ما لبث أن أصبحت الشائعات تتحدث عن هجوم أمريكي على القصر الرئاسي، وأخرى تتحدث عن دور إيراني في الحادثة!

وفي الوقت الـــذي تعاني فيه هذه القيـــادات من وضع صحي مأساوي تتحفظ بقايا الســـلطة على حقيقته حتى اللحظة، وتتكتم على التقارير الطبية في هذا الشـــأن، فـــإن اليمن يعيش في حالة فراغ كامل للدولة بكل مكوناتها؛ حيث لا يزال مجلس النواب معطلاً منذ انطلاق الثورة الشعبية، بالإضافة إلى كونه أصبح غير دستوري بانتهاء فترة التمديد التي جرى الاتفاق عليها بين السلطة والمعارضة عام ٢٠٠٩م في أبريل الماضي. أما الحكومة الحالية (التي اســـتقال عـــدد من وزرائها على إثر ما جرى مـــن اعتداء على المعتصمين في صنعاء في ما أطلق عليها بجمعة الكرامة)، فهي بموجب قرار رئاسي صدر فـــي مارس الماضي حكومةٌ مقالة مكلَّفـــة بتصريف الأعمال، وهي في حقيقة الأمر لا تباشـــر عملهـــا في ظل وجود قوى متنفذة و (حكومة ظل) تدير الأوضـــاع وَفْقاً لأجندات أَمنيَّة خاصة. وبينما جـــرى تكليف نائب الرئيس عبد ربه منصور هادي بتولي صلاحيات الرئيس وَفْقاً للدستور، يعتبر وضع النائب – أساساً – غير دستوري؛ كونه لم يصدر في تعيينه قرار رئاســـي عقب انتخاب الرئيس صالح للرئاسة عام ٢٠٠٦م.

وفي ظل غياب ســـلطة حقيقية تدير البلاد مع الحديث إعلامياً عن رغبة لتشكيل مجلس عســـكري لإدارة البلاد لدى أبناء الرئيس وأقربائه وفي ضوء عجز نائب الرئيس عن مزاولة مهامه وصلاحياته الدستورية فعلياً؛ فإن الوضع مؤهل في أي لحظة للانفجار.

## حروب على كافة الجبهات:

وهنـــاك رغبة في بقاء ملف القاعدة مشـــتعلاً في محافظة أبين جنوب اليمن عبر هجوم عســـكري شامل اســـتهدف الحجر والشـــجر والإنسان، وهو مـــا أدى إلى نزوح كثير مـــن المواطنين عن المنطقة، وســـقوط ضحايا مدنيين بالعشرات نتيجة للقصف الصاروخي والمدفعي (جواً، وبراً، وبحراً)، مع حديث مصادر إعلامية وشهود عيان عن وجود قوات أجنبية مساندة تدير المعركة وتشارك في توجيهها.

كمـــا أن القصف على مدينة تعـــز – باعتبارها المدينة الأكثر حضوراً في المشـــهد الثوري – لا يزال مســـتمراً منذ أكثر من أســـبوعين من قِبَل الحرس الجمهـــوري وقوات مـــن الجيش والأمـــن المركزي بمختلف الأســـلحة، وهو ما ألحق بها دماراً وخراباً كبيراً، وأســـقط كثيراً مـــن الضحايا. وهذه الحرب التي تُشَن على تعز تهدف إلى إشعال فتيل الخلافات المذهبية باعتبار تعز منطقة (شـــافعية)، وفي حال نظر أبناء تعز لهذه الحرب المعلنة عليهم بهذه الصفة فقد يضع أبناء المنطقة في خانة لا خيار لهم إزاءها إلا حمل السلاح والدفاع عن النفس، وهذا ما بدأت تنحو إليه الأمور في الأيام الأخيرة.

فـــي المقابل هناك حرب تدور رحاها في صنعاء وما جاورها ضد بيت الأحمر وقبائل أرحب وهمدان التي ســـاندت الثـــورة، وهو ما يعنـــي إيجاد صراع قبلي على مســـتوى حاشد أو حاشـــد وبكيل. وقد اســـتهدفت قوات الجيش الموالية للنظام في الفترة الأخيرة المدنيين، والعمران، والمزارع، وآبار المياه في تلك القرى. وقـــد أخذت هذه القبائل موقف الدفاع عن نفســـها حاملة السلاح ومواجهة الآلة العسكرية للجيش والحرس الجمهوري.

في شمال اليمن – وتحديداً في الجوف – تدور حرب رابعة بـــين الحوثيين (مســـنودين ومدفوعين من بعض رمـــوز النظام المتبقية) وبين قبائل المنطقة السُّنية التي تناصر – في غالبها – الثورة، بمن فيها القبائل الموالـــة للتجمع اليمنـــي للإصلاح أو تلك

الموالية لأحزاب أخرى في المعارضة. وتشـير بعض المصادر في تلك المناطق (ومناطق صعدة) عن استعدادات حوثية على الأرض وأعمال تسـلُّح وبسـط هيمنة تتم تحت نظر النظام ومساندته ومباركته.

وهكذا فإن النظام يزرع بذور الصراع انتقاماً من شعب طلب الإنصاف وناشـد حاكمه الالتزام بما تعهَّد به دسـتورياً وأعلن رفضه للفسـاد والظلم اللذين أصبحا مظهراً عاماً في الحياة. بينما تتحاشـى جميع الأطراف (قبلية وسياسـية) الدخول في حـرب مع النظام خلال هذه المرحلة التاريخية من الوعي، لكنها تبدو كمن قـال: «مُكْرَه أخاك لا بطل»، وهي تمارس الدفاع عن نفسـها؛ في حين يصف إعلام السـلطة ما يجـري بأنه: تمرد وإرهاب وتهديد للأمن.

## مواقف خارجية مخذِّلة:

في هـذه الأثناء تراوح الولايات المتحـدة الأمريكية مكانها في موقفها من الثورة الشـعبية متمسـكة بالنظام القائم برغم كل الجرائم التي شـهدتها سـاحات الثورة والاعتصامات: من قتل وفتك وانتهاك للكرامة الإنسـانية والحقوق المدنية[1]. فقد صرحـت وزيرة الخارجيـة الأمريكية «هيـلاري كلينتون» على هامش حضورها اجتماع مجموعة الاتصال الدولية بشـأن ليبيا في أبو ظبي بأن واشـنطن تدعم انتقالاً سلمياً ومنظماً وفورياً للسلطة بما يتناسب مع الدستور اليمني.

وقد أثار التصريح اسـتنكار واسـتهجان الشباب الثائرين، والمراقبين، والمحللين السياسيين في الداخل؛ لما حمله من دلالات في تعامـل الإدارة الأمريكية مع الوضـع القائم، بأنه أزمة بين أطراف سياسية وليس ثورة شعبية ضد نظام ديكتاتوري مستبد.

غير أن هذا التصريح لم يكن غريباً على المراقبين العارفين بالسياسـة الأمريكية، وهي التي ظلت تدعو الأطراف المختلفة للجلـوس إلى طاولة الحـوار ونبذ العنـف؛ وكأن الثوار حملوا سلاحهم وتأهبوا للقتال.

بعض الناس يذهب إلى أن الولايات المتحدة تحافظ على موقع العناصر الموالية لها في النظام من قادة أجهزة أمنية وعسـكرية وما تمَّ بناؤه من قوات على أيدي خبرائها وتحت نظرها؛ حيث إنها تفضل بقاء ما تعرف على حساب ما لا تعرف[2].

ربما يكون لهذا التبرير شـيء مـن المنطقية، لكن هناك روحاً براغماتيـة حاضرة في كافة ملفات المنطقة، تسـري جنبـاً إلى جنب مع الهواجس الأمنية. فالولايات المتحدة تعلم بأن الشـباب الثائر سلمياً لا يملك بعد شهور من المظاهرات والاعتصامات سـبيلاً للمخرج سلمياً؛ وخاصة أن علي صالح أبدى صلابة وتعنتاً في مواقفه إلى حد القتل والتهديد بالدمار والحـرب الأهلية؛ كما تعلم أن المعارضة لا تملك أداة حقيقية للوصول إلى مطالبها نتيجة فقدها لكافة أدوات التغيير الممكنة دستورياً وثورياً، بل هي بحاجة إلى سند خارجي، وهذا ما لاح مؤخراً في مطالبها من «الدول الشقيقة والصديقة» بالتدخل لإقناع صالح والضغط عليه في سـبيل الرحيل ونقل السلطة سلمياً؛ وعليه، فإن الولايات المتحدة الأمريكية بموقفها الموارب والممسك بالعصى من الوسط تحاول أن ترى أفضل العروض المقدَّمة من كل طرف في سـبيل أن تنحاز السياسة الأمريكية إليـه، فإذا رأت أنه لم يعد لأي طرف تقديم المزيد أصبح لها اختيار العرض الأنسب، كما عودتنا في أكثر من قضية.

الموقف البريطاني أيَّد على لسـان ألسـتر بيرت (وزير الدولة البريطاني لشـؤون الشـرق الأوسط وشمال إفريقيا) إحياء المبادرة الخليجية باعتبارها أفضل خطة لتسوية الأزمة اليمنية. وأشـار بيرت في حديث لصحيفة «الحياة» اللندنية، في ٢٠١١/٦/١١م إلى أن الجهـود المضنية التي بذلتها دول مجلس التعاون الخليجي قد نجحت إلى حد كبير في الوصول إلى حل للمشـكلة التي كانت تبدو صعبة جـداً؛ مضيفاً أن مجموعة أصدقاء اليمـن سـتبدأ الإعـداد للفترة الانتقالية في اليمن، لمرحلة مـا بعد الرئيس صالح. وهذا ما يدل على توافق المواقف بين لندن وواشنطن هذا إن لم يكونا متطابقين تماماً.

أما الموقف الإقليمي (الرافض لنجاح ثورة شـعبية تعيد للناس الأمل في التغيير عبر مسـار سلمي) فلم يكن بأفضل حالاً؛ فقد حاولت بعض دول الخليج إعادة الحياة إلى المبادرة

(١) إن هذا لا يعني عدم وجود تصريحات شبه متعاطفة مع الثورة، ولكنها في الإطار العام لا تعدو أن تكون همساً إزاء ضجيج الآلة العسكرية، وهي لغة يفهمها الحكام العرب عادة.

(٢) يقول الناشط السياسي والمتخصص في حقوق الإنسان موسى النمراني: «هيلاري كيلنتون تعبِّر عن مصلحة بلادها، وهي مهتمة بأن يحدث انتقال صوري للسلطة بشكل هادئ؛ بحيث تحافظ على مصالح الولايات المتحدة التي رتبتها جيداً مع نظام صالح وتخشى عليها من المجهول في حال خرجت الأمور عن نطاق السيطرة والمألوف»، العربية نت: ٢٠١١/٦/١٢م.

الخليجية مجدَّداً، رغم تمنُّع صالح عن التوقيع عليها مراراً؛ وهذا ما أشار إليه القيادي في أحزاب اللقاء المشترك د. محمد المتوكل في حديث خاص أجرته معه «أنباء موسكو» هاتفياً. وأضاف المتوكل أن المعارضة تنطلق من ضرورة تنفيذ بنود المبادرة أو الانتقال إلى تأسيس مجلس انتقالي[1].

وفي حال لم تتم استجابة بقايا النظام، بمن فيهم نائب الرئيس (عبد ربه منصور هادي) للتوقيع على المبادرة بشكل فوري والبدء في تنفيذها، فإن تشكيل مجلس انتقالي بالصيغة التي يذكرها رموز في المعارضة؛ أي مجلس يفرض سلطته وصلاحياته على كل المناطق التي لا تخضع للسلطة الحالية، و «يمارس مهامه تعبيراً عن السيادة الشعبية، ويقوم بتمثيل الشعب اليمني لدى الجهات المختلفة»، فإن ذلك سوف يُدخِل اليمن فعلياً في النموذج الليبي الذي تنقسم فيه البلاد إلى جزأين: جزء خاضع لسلطة النظام البائد، وآخر خاضع لسلطة شعبية جديدة.

### مسار الأزمة:

يبدو أن الأمور تتجه نحو المسار الثاني، فالجهود الدولية الرامية إلى التوصل إلى اتفاق لنقل السلطة انهارت؛ لأن نائب رئيس الجمهورية رفض الحوار مع المعارضة والتعامل معها؛ كما أن السفير الأمريكي في صنعاء «جيرالد فايرستون» أبلغ قيادات أحزاب اللقاء المشترك المعارضة رفض بلاده لأي خطوة لا تتوافق مع الدستور اليمني[2].

أما بقايا النظام السابق من الأبناء والأقرباء، الذين أصبحوا يحملون ثأراً يضاف إلى الصفعة التي وجَّهتها الثورة الشعبية إليهم؛ فإنهم على الرغم من الحديث عن نَقْل أسرهم وتحويل مبالغ مالية لحسابات خاصة بهم إلى الإمارات في ترتيب سري لانتقالهم إليها، لا زالوا يدبرون لأعمال انتقام شاملة تستهدف رموز المعارضة والقوى السياسية والاجتماعية التي أيدت الثورة وكان

(١) التغيير نت: ٢٠١١/٦/١٢م.
(٢) مأرب برس: ٢٠١١/٦/١٢م.

لها تأثيرها على إضعاف موقف النظام؛ بل ويتجاوز الأمر إلى الانتقام من الشعب عبر تحطيم بُنَى الدولة، وإعدام خدمات الكهرباء والبترول ومشتقاته، والمواجهات التي بدت تأخذ نطاقاً أوسع، ونهب ممتلكات الدولة وخزينتها، وإحراق الوثائق الرسمية في بعض الدوائر والمقرات الحكومية... إلخ كل هذه مؤشرات على أن الفريق الحالي يعمل على «حرق المعبد بمن فيه».

غير أن هناك مطابخ وغرفاً مغلقة في ما يبدو؛ يجري فيها إخراج المشهد الأخير للوضع في اليمن، فصنعاء والمناطق الأخرى، ودول الجوار تشهد حوارات ولقاءات مختلفة. كما أن السفير الأمريكي بصنعاء لا يزال يرعى جهوداً للوساطة بين الأطراف السياسية والقبلية بحثاً عن مخرج. وربما أن «المجتمع الدولي والإقليمي اقتنع بأن صالح لم يعد صالحاً لحكم اليمن، ولكن المشكلة الحقيقية أمامهم كانت في تحديد البديل المناسب لصالح»، كما قال رئيس الوزراء اليمني الأسبق حيدر أبو بكر العطاس[3].

وفي حال جرى الاتفاق على مخرج نهائي ربما تُحسَم الأمور بشكل مفاجئ بعيداً عن وحي الثورة. فالشباب الذين استطاعوا بذر الثورة بإرادتهم، وسقوها بدمائهم، سيكونون آخر من يقطف ثمار الثورة حقيقة إذا لم يكونوا مشاركين في رسم ملامح مرحلة ما بعد الثورة؛ لا لشيء سوى أن الأنظمة رهنت حاضر ومستقبل الشعوب بمصيرها هي، ورهنت مصيرها بإرادة الخارج، فكانت وسيطاً في الاستبداد؛ إذا سقطتْ ظهر المستبد الأكبر.

(٣) برنامج «واجه الصحافة» لداود الشريان، قناة العربية: ٢٠١١/٦/١٠م.

# مصر...
## ثورة مضادة لإبعاد الجيش وعزل الإسلاميين

**عامر عبد المنعم**

تعيش مصر معركة من نوع خاص؛ حيث ترفض أقلية كارهة للإسلام بناء النظام السياسي الجديد عبر الصندوق الانتخابي والاحتكام لرأي الشعب، وتسعى قوى علمانية وطائفية وليبرالية لتشكيل سلطة جديدة بعيداً عن الجيش وبعيداً عن أغلبية الشعب المصري، وتقوم هذه القوى المناوئة المدعومة بالإعلام والمال بمحاولات لفرض أجندة تغريبية قائمة على تغيير هوية مصر الإسلامية، وحذف المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

يعرف قادة ورموز اللوبي العَلماني الطائفي أن معركتهم لن تؤتي أُكُلَها إذا سارت الأمور بشكل طبيعي؛ كما جاءت في الخطوات التي وضعها المجلس العسكري الحاكم، والتي أقرها الشعب المصري في الاستفتاء على التعديلات الدستورية في ١٩ مارس الماضي، ولكن ما تهدف إليه الحملة الضارية التي يشنها اللوبي العَلماني الطائفي، هي خضوع الجيش للابتزاز والضغوط لتأجيل الانتخابات، ثم إبعاد الجيش من السلطة وتشكيل مجلس رئاسي مدني، يستطيعون من خلاله القفز على السلطة والاستعانة بقوى خارجية لثبيت الوضع لصالحهم، ولصالح هذه القوى الخارجية.

يرفع اللوبي العَلماني شعار «الدستور أولاً» (أي: قبل الانتخابات البرلمانية)، كما يرفعون شعار «الدولة المدنية» ضد ما يسمونه «الدولة الدينية» ويساندهم الإعلام الذي تربَّى في عهد مبارك على ما يسمى محاربة «الإرهاب» وتنضم إليهم الأحزاب العَلمانية. كل هؤلاء يجمعهم خوف مفتعَل من سيطرة الإسلاميين على البرلمان القادم.

والغريب أن هذه القوى التي تدَّعي الليبرالية هي التي تقف اليوم ضد «الديمقراطية» وترفض الانتخابات، وتريد إطالة أمد الفترة المؤقتة وتمديد زمن الفراغ السياسي الذي تعيشه مصر وهو الذي أدى إلى شيوع كثير من ظواهر الفوضى في مجالات شتى.

وأكثر من هذا فإن هذه القوى التي تدَّعي الليبرالية لا تريد مشاركة الشعب في تشكيل النظام السياسي الجديد، ولا تريد احترام إرادة الشعب الذي اختار ٧٨٪ منه إجراء الانتخابات البرلمانية أولاً، وأن يقوم مَنْ انتخبهم الشعب باختيار لجنة تأسيسية لوضع الدستور الذي يعبِّر عن أغلبية الشعب المصري المسلم، وتصرُّ هذه القوى المناوئة على إهدار نتائج الاستفتاء الشعبي وأن تقوم مجموعة مختارة من الكارهين للإسلام بوضع دستور لمصر «مدنية» لا «دينية» حسب توهمهم.

إن المتابع للشأن المصري لا يمكن أن يصف الوضع الجاري إلا بأنه محاولة للانقلاب على ٢٥ يناير وتفكيك الإجماع الذي بسببه نجحت الثورة، ويريد هؤلاء الانقلابيون إعادة الوضع على الساحة المصرية إلى المربع الأول قبل الثورة؛ حيث يتعارك المصريون، ويعادي بعضهم بعضاً، وتعود قوى سياسية وشخصيات متأمركة معروفة بميولها المتغربة والممولة من الخارج بافتعال معارك مع الإسلاميين لخدمة الحلف (الأمريكي الصهيوني): تارة باسم الإرهاب كما في التسعينيات من القرن الماضي، وتارة ضد الإخوان في العقد الماضي، والآن تشن الحرب على السلفيين. وما هي إلا مسميات لكن الهدف الذي يريدون القضاء عليه هو الإسلام.

وكما نعلم فإن الرئيس المخلوع حاول أن يُنسي المصريين أن «إسرائيل» هي العدو وأشعل حسني مبارك الصراعات بين النخبة التي صنعها وبين الإسلام، وزَرَع الفتن الطائفية لإشغال الشعب المصري عن معارضة حكمه، وانتهت هذه اللعبة في الثورة عندما تناسى المصريون هذه الصراعات التي كان الإسلاميون هم ضحاياها في كل الأحوال، وبسبب هذا التوافق والتعالي على الخلافات والحد منها: حققت الثورة أهدافها، لكن يبدو أن النخبة التي ترعرت في ظل مبارك هي هي التي تفتعل المعارك الجديدة للالتفاف على الثورة.

لقد استطاع اللوبي العَلماني الطائفي - بسبب سيطرته على الإعلام - إحداث حالة من البلبلة التي توحي أن البلاد مقبلة على الفوضى؛ خاصة تهديداتهم المستمرة بأنهم لن يسمحوا بالانتخابات إلا بعد صدور دستور جديد علماني، لكن في إطار هذه المعركة خسروا الشارع المصري ولم يفلحوا في كسب عقول المصريين. فالهجوم على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي يعد الأول في مصر من حيث المشاركةُ والوعيُ أظهر هذه النخبة معادية للشعب، والأكثر من ذلك فإن الهجوم العلماني ضد الجيش والإسلاميين اتسع ليشمل الشعب المصري الذي اتهموه بأنه ساذج وتارة أخرى بأنه لا يفهم.

ولا يستحي اللوبي العَلماني الطائفي من القول بأن سبب رفضه إجراء الانتخابات أن الشعب سيختار الإسلاميين. وهذا يجعلهم يرفضون الانتخابات في كل الأحوال، حتى لو دخلت البلاد في الفوضى، بل إن أحد زعمائهم (محمد حسنين هيكل) طالبَ المشير حسين طنطاوي بالبقاء رئيساً لمصر. وللعلم فإن تبرير رفض الانتخابات بالإسلاميين سيفوزون بها هو التبرير نفسه الذي كان يردده الرئيس المخلوع وابنه جمال، والذي بسببه كانت الدولة تقوم بتزوير الانتخابات.

إن الذين يتهمون الشعب بالسذاجة وعدم النضج يمارسون الديكتاتورية في أوضح صورها، وهؤلاء الذين يشككون في قدرة الشعب المصري على الاختيار إنما هم مجموعة من المستبدين الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الشعب. فالشعب المصري هو الذي ثار في ٢٥ يناير، وهو الذي قدم الشهداء في ميدان التحرير وفي الإسكندرية والسويس والمنصورة والإسماعيلية ومحافظات مصرية الأخرى، والشعب المصري هو الذي كان يبيت في الميادين حتى رحل الطاغية، وهو أكثر نضجاً من هؤلاء الذين يريدون تخريب الثورة وإشعال النيران لحرق كل شيء جميل في مصر.

**والسؤال الذي تفرضه هذه الهجمة العَلمانية: هل من الممكن أن تتغير هوية مصر؟ وهل يستطيع هؤلاء الانقلابيون أن ينجحوا في تحقيق أهدافهم؟**

يمكن القول: إن هذا الهجوم العلماني يسير عكس عجلة التاريخ، ولن يؤدي لوقف مسار التغيير الذي بدأ بالثورة؛ وذلك للأسباب التالية:

1 الجيش أعلن تمسكه بالهوية الإسلامية لمصر منذ اليوم الأول؛ عندما اختار المفكر الاسلامي الشهير المستشار طارق البشري رئيساً للجنة التعديلات الدستورية، واختار معه صبحي صالح وهو محامٍ ينتمي للإخوان في اللجنة؛ وذلك لطمئنة الأغلبية المسلمة من الشعب المصري ٩٥٪ بأن الهوية الإسلامية للدولة أمر لا نقاش حوله. بل أكد المجلس العسكري في ما بعد أن الهوية الإسلامية والمادة الثانية المتعلقة بالشريعة فوق دستورية. كما نص الإعلان الدستوري الذي أعلنه الجيش على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع وأبقى على المادة التي يفتعل العلمانيون والنصارى حولها الجدل.

2 الشعب المصري لن يتخلى عن إسلامه، ولن تفلح الحملات الإعلامية في تخويف المصريين من الدين، وخير مثال على ذلك ما حدث في الاستفتاء على التعديلات الدستورية، فلم يستجب المصريون للتحريض الذي شنه اللوبي العلماني الطائفي، وفشل البث الفضائي والإعلام المقروء في حشد الشعب المصري لرفض التعديلات الدستورية، وكانت النتيجة بالموافقة صادمة لهذا اللوبي المحارب لدين الأمة. ومن هنا، فإن أي دستور يحتاج إلى موافقة الشعب لإقراره، وبالتأكيد أي محاولة لصياغة دستور يجرد مصر من إسلامها فلن يقبله الشعب وسيكون مصيره الفشل.

3 الهجوم على الإسلاميين لإقصائهم، وعلى الجيش لإبعاده عن السلطة: سيجعل تحالف الاثنين معاً هو الخيار المتاح والأقرب للتحقق. فالجيش القابض على السلطة لكونه المؤسسة الوحيدة المتماسكة الباقية بعد انهيار النظام، يحتاج إلى ظهير شعبي يسانده لفرض الاستقرار، والإسلاميون هم القوة الشعبية الكبرى في المجتمع. وفي المقابل فإن الحرب الشرسة ضد الإسلاميين والمؤسسة العسكرية أسقطت كل رموز الحلف العلماني الطائفي على المستوى الشعبي وأحرقت كل تكويناته وشخصياته. وسقطت أحزاب قبل تأسيسها بشكل رسمي مثل حزب (المصريون الأحرار) الذي أسسه رجل الأعمال المسيحي نجيب ساويرس، وهو ما اضطره لنشر إعلانات في الصحف يؤكد فيها أنه ليس ضد الشريعة، وأن أغلبية أعضائه مسلمون.

4 الانقلابيون ليس لديهم امتدادات شعبية مؤثرة ويعتمدون في مجملهم على قوتهم الإعلامية وبعض فلول النظام السابق الذين لهم مواقف عدائية من الإسلام، ويستعينون بالدعم المالي الأمريكي والغربي، وبعض الشخصيات التي أرسلتها الولايات المتحدة وهبطت على الثورة بـ «الباراشوت»، بالإضافة إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي تضغط بكل قوتها لـ «تفشيل» المجلس العسكري لاستدعاء الخارج ظناً منها أنه يحقق لها مصالحها. والحقيقة أن كل هؤلاء المتحالفين لا يستطيعون التأثير على أغلبية الشعب المصري (المسلم). وفي أي مواجهة حقيقية عبر صندوق الانتخابات سيندحر الانقلابيون ولن يكسبوا شيئاً.

لا يمكن النظر إلى ما يحدث في مصر على أنه شأن داخلي؛ فأمريكا تدير المعركة داخل مصر منذ اليوم الأول للثورة، وهناك غرفة عمليات تتابع بشكل يومي ما يحدث وتدير الصراع لاحتواء الثورة وتسعى لإعادة الإمساك بزمام الأمور في أكبر بلد عربي. فمصر ليست مجرد دولة عادية؛ وإنما هي دولة محورية يترتب على تغيير نظام الحكم فيها انقلابات إستراتيجية بالمنطقة كلها.

إن تشكيل نظام حكم مستقل عن الغرب في مصر سينهي الهيمنة الغربية على المنطقة، وسيفرض أوضاعاً جديدة في العقد الجاري الذي يشهد تحولات كبرى. والمتابع للتحرك الأمريكي تجاه مصر يلحظ التدفق المالي باسم دعم الديمقراطية لتمويل صحف وفضائيات، ولتأسيس أحزاب وائتلافات وجمعيات ومنتديات؛ تبدو من بعيد أنها مدارس مختلفة، لكن مع قليل من التركيز نراها تتجمع وتصطف في جبهة واحدة، تضرب في اتجاه محدد وهو منع الشعب من ممارسة حقه في اختيار حكومته وتأسيس نظام حكم مستقل عبر الصندوق الانتخابي، والضغط على الجيش ليبتعد عن السلطة وتسليمها للعلمانيين.

إن هذا لا يعني عدم وجود بعض المخلصين يسيرون مع الحلف العَلماني الطائفي متأثرين بآلة الإعلام الضخمة والطَّرْق المتواصل على الآذان، لكن مع الوقت تتكشف الحقائق ويحدث التمايز.

**وفي النهاية ستسفر المعركة عن بروز تيارين واضحين:**

**الأول: تيار وطني إسلامي، يتكون من الجيش والإسلاميين وقوى وطنية رافضة للهيمنة الغربية.**

**والثاني: تيار موالٍ للغرب يضم الكارهين للإسلام وأقليات طائفية متعصبة.**

وسينتصر التيار الأول – بإذن الله – وسيتلاشى التيار الثاني ويدخل الجحور.

# الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

## مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk


الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

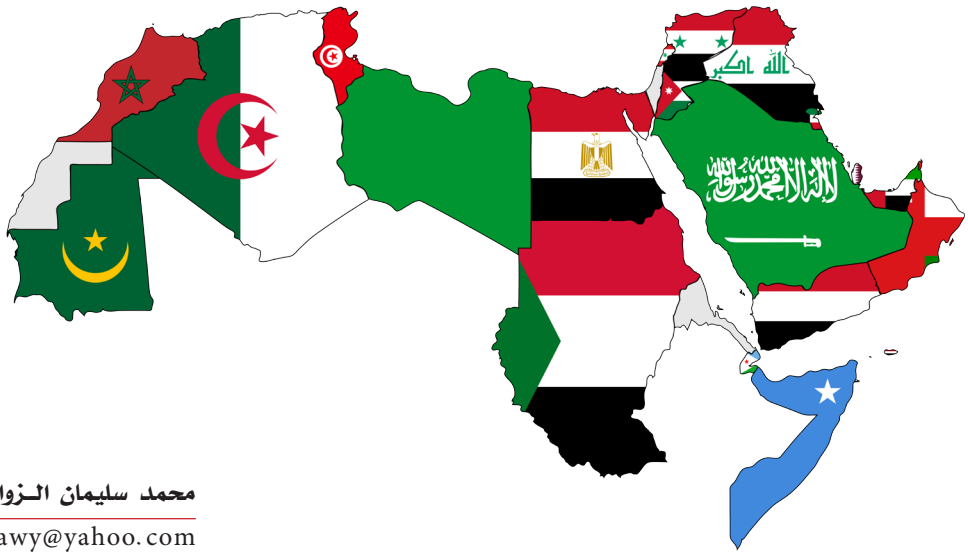


محمد سليمان الـزواوي(*)
zawawy@yahoo.com

# مستقبل النظام الإقليمي العربي في عصر الثورات

تشهد المنطقة العربية تحولات كبرى من شرقها إلى غربها، فلم يكد العالم العربي يفيق مـن أزمة احتلال العراق وقرب انسحاب القوات الأمريكية منه حتى صحا على عصر الثورات العربية وما يحمله من تداعيات مفصلية على المنطقة بكاملها؛ فقد تغير النظام المصري ودخلت ليبيا في أزمة وحرب أهلية بتدخُّل عسـكري أجنبي فيها، بالإضافة إلى تغيُّر النظام في تونس وترنُّح أنظمة أخرى من المرجَّح أن تسـقط هي الأخرى في سـوريا واليمن، مع انفصال ونشـوء دولة جديدة جنوب السـودان واقتطاع جزء هام من الوطن العربي لصالح القوى الغربيـة... في حين أن أزمات كبرى من المتوقع نشـوبها في المسـتقبل القريب أيضاً مع السقوط المحتمل للنظام السوري وإغواء أكراد سـوريا للانضمام إلى أكراد العراق لإنشاء دولة جديدة لهـم، غير عربية أيضاً، بضغط علـى الدول العربية وغير العربية مثل تركيا وإيران.

ففي السـابق كان النظام الإقليمي العربي في حالة موت سـريري، وكانت القمم تعقد وتنفـض دون أي أثر يذكر لها؛ فقـد كانت اجتماعات جامعـة ال دول العربية بمثابة منتدى لقليل من الحوار وبعض من الدردشـة ولكثير من الشـجار والاختلاف، حتـى صرَّح القذافي في إحـدى (تجلياته) أنه لا يوجد ما يجمع العرب سـوى غرفـة اجتماعهم، ثم ينفض الجميع ويعودون إلى حال سـبيلهم، وتظل القضايا العالقة منذ عشـرات السـنوات - مثل القضية الفلسطينية وغيرها - تراوح مكانها، بدون أي أثر للعرب؛ سـواء في السياسـات الإقليمية أو الدولية؛ وذلك بسبب بنية النظام الإقليمي العربي وبسـبب اختلاف رؤى حكومات الدول (أو الأفراد الحاكمين على الأرجح)، وكذلك بسبب عدم وضوح آلية صنع القرار في

(*) باحث ماجيستير في العلوم السياسية.

الجامعة العربية، وهذا أدى إلى عدم التزام الجامعة بكثير من المعاهـــدات والاتفاقات البينية التي وقَّع عليها العرب، أو التي تحلم بها الشـــعوب، مثل: اتفاقية الدفاع العربي المشترك أو الاتحاد الجمركي العربي أو السوق العربية المشتركة وغيرها. لذا توقع الجميع (محللون وشـــعوب) سقوط النظام الإقليمي العربـــي لا محالة، ولم يكن الخـــلاف حول إذا ما كان النظام الإقليمي العربي سيســـقط أم لا؟ ولكن الســـؤال كان: متى؟ وكيف؟ وما هي تداعيات ذلك؟ وهل هناك أمل في إصلاحه، أم أن الوقت قد فات؟

وفي عصر الثورات العربية ومع إعادة تشـــكُّل القوى في المنطقة، فإن الدول الكبرى تعيد هي الأخرى حساباتها وتعيد رصد مصالحهـــا ونصيبها في الوضع الجديـــد؛ ففي أوائل القرن الماضي ومع ســـقوط الخلافة العثمانية دخلت المنطقة العربية في حالة مشابهة من السيولة والتقسيم بين المنتصرين فـــي الحرب العالمية الأولى، وتحولت تركة الرجل المريض إلى سكين جزار (سايكس بيكو) لإعادة تشكيل المنطقة بنشوء دول جديدة وبوضع مناطق تحت السيطرة البريطانية والفرنسية. واليوم فإن الدول العربية في حالة مشـــابهة وبأطماع للدول الغربية في التحكم في عمليات التحول السياسي التي تجري فـــي العالم العربي؛ من أجل خروج أنظمة موالية لها من رحم تلك الثورات أيضاً؛ لذا فمن المتوقع أن تتحرك الدول الغربية على عدة مســـارات من أجل تحقيق مصالحها العليا في تلك المنطقة الهامة من العالم.

أُولَى تلك المســـارات هو مســـار دعم التحول الديمقراطي في الدول الناشـــئة بتقوية الجماعات الليبرالية والموالية للنظم الغربية على حســـاب الحركات الإسلامية والقومية، وقد رأينا منذ زمن نشاط تلك الدول بدعم عمليات التحول الديمقراطي بتمويلٍ للجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، وتنفق الولايات المتحدة مليارات الدولارات على تلك النشـــاطات، بالإضافة إلى تقاطـــع مصالحها مع مصالح الجماعات الليبراليـــة وتحركات بعض الأقليـــات الدينية في الدول الكبرى مثل مصر، وبالإنفاق على المســـارين (السياسي والإعلامـــي)، وبتطوير آليات للتواصـــل الجماهيري في تلك الدول استعداداً لتشكيل الرأي العام في حقبة ما بعد الثورات.

أما المسار الثاني: فهو التحركات العسكرية التي تستخدم فيها الدول الغربية آلتها العسكرية في صورتين:

الصورة الأولى: هـــي الإغراء بتمويل الأســـلحة الغربية المتقدمة مقابل فرض أجنداتها على الدول العربية.

والصـــورة الثانية: هي التدخل العســـكري المباشـــر مثل الحالة الليبية من أجل ترسيخ أقدامها في المنطقة، ومن أجل رفع أسهمها في التحكم في الأوضاع في البلدان العربية بعد انقشـــاع غبار المعارك، وما ســـوريا عن ذلك ببعيد أيضاً مع تطورات الأوضاع في البلاد وحدوث مزيد من الانشقاقات في صفوف الجيش وتحول الصـــراع إلى المرحلة التالية التي من المتوقع ألا تتحملها تركيا (عضو حلف شمال الأطلنطي) بسبب نـــزوح اللاجئين إليها وتداعيات ذلـــك على القضية الكردية، ومن المرجَّح أنها سوف تذعن في النهاية لأي مطالبات بتدخل عسكري دولي كما أذعنت من قبل في ليبيا.

والمســـار الثالث: هو ورقة القوة الاقتصادية التي تلعب بها الـــدول الغربية أيضاً ذات المـــلاءة الاقتصادية الكبيرة: فمنذ زمـــن والاتحاد الأوروبـــي صاحب مصلحة أصيلـــة في دول الشـــمال الإفريقي، ومن أولوياته الكبرى التحكم في مسارات التحول الجاري الآن في كلٍّ من مصر وليبيا وتونس؛ فالمصلحة الأوروبية تتمثل في ربط تلك الدول اقتصادياً بالاتحاد الأوروبي من أجل انتشـــالها من أزماتها ومن ثَمَّ ربطها بالكيان الأوروبي لتقليل الهجرة من الجنوب إلى الشمال، وكذلك تقليل مخاطر الأرهاب وانتقاله إلى أوروبا وكافة أشـــكال الجريمة المنظمة، ومن أجل استقرار حوض البحر المتوسط بكامله، وهي من أهم أبعاد السياســـة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي، وفرنسا هي التي تقود القاطرة الأوروبية في هذا المجال لمصلحتها في اســـتقرار الجنوب بسبب الجالية المغاربية الكبرى لديها، وهي التي تسبب لها مشكلات اجتماعية واقتصادية وأمنية ضخمة، وكانت فرنســـا من أُولَى الدول التي رعت اتفاقيات برشـــلونة والاتحاد من أجل المتوســـط والشـــراكة (الأورومتوســـطية) وغيرها، وكل تلك المبـــادرات تهدف في النهاية إلى إبعاد دول الشمال الإفريقي عن الفلك العربي ودورانه في الفلك الأوروبي (سياسياً واقتصادياً وثقافياً)، بتغيير طبيعة النظام الإقليمي، وبنهش دول الشـــمال الإفريقي مـــن المنظومة العربية وضمها

إلى المنظومة الأوروبية في إطار ما يسمى بسياسة الجوار الأوروبية، وبإفراغ النظام العربي من أهم لاعبيه في إفريقيا، وهو ما يؤدي في النهاية إلى انهيار النظام الإقليمي العربي، وتمحور الدول العربية الآسيوية في كيانات وتحالفات أخرى.

والشطر الآسيوي هو الآخر يواجه مشكلات جمة في الشمال في العراق ورغبات تقسيمه ومشكلات الانفصال الكردية، والأوضاع في سوريا والنفوذ الإقليمي التركي، والتهديدات الإيرانية شرق الخليج، وكذلك مشكلة الأنظمة القَبَلية والملكية في بعض تلك البلدان، وتحديات جمة على شكل الأنظمة السياسية في عصر التحولات الثورية وحقبة استلام الشعوب زمام سيادتها من جديد، وتحديات على البنية الهيكلية السياسية لتلك الدول التي بدأت تشعر بالخطر وتأخذ بمبادرات للتمحور حول الأنظمة الملكية بمبادرة من مجلس التعاون الخليجي بضم الدول العربية الملكية الأخرى إليه وهي الأردن والمغرب، بالرغم من البعد الجغرافي والتركيبة الاجتماعية المختلفة، وهي خطوة تبدو أنها للتخندق حول الذات من أجل مواجهة العاصفة المتوقعة القادمة، وهي إن لم تكن ثورات فستكون مطالب أعلى من الشعوب للتحكم في مصائرها والمشاركة في إدارة الدول وعملية صنع القرار فيها ومحاسبة حكامها، ومزيد من العدالة الاجتماعية والعدالة في توزيع الثروة.

ويأتي ذلك أيضاً في ظل أطماع إيرانية والتهديد بإحراق المنطقة عن طريق التدخل الإيراني في البحرين على سبيل المثال، وهو ما جعل مفكرين سياسيين خليجيين يطرحون فكرة مبادرة الكونفيدرالية الخليجية، وهي خطوة رشيدة من حيث الدواعي الأمنية وبسبب الطبيعة الديموغرافية لشعوب الخليج وخاصة الشريط الشرقي منه، وفي ما يتعلق بدمج الدول ذات الغالبية الشيعية إلى كيان أكبر يحمي من الانفصال وتغيير طبيعة المنطقة، ولكنه خيار خطر من الناحية السياسية بضم دول ذات طبائع حكم مختلفة تحت مظلة واحدة، وسوف يؤدي ذلك إلى انتقال مشكلات السياسة والحكم من دولة إلى أخرى، فالدول الخليجية ذات طبيعة مختلفة في ما يتعلق بالانفتاح السياسي، وبدرجات متفاوتة من الحكم الذي يتراوح ما بين الملكية المطلقة والملكية الدستورية، وما بين دولة القبيلة وما بين مستويات مختلفة من صلاحيات البرلمانات ومجالس الشورى في تلك البلدان، وهو ما سيؤدي إلى انتقال المشكلات المختلفة داخل الوعاء الواحد الجديد، وكل ذلك سيتم في ظل ترقُّب من الشعوب على المستويات الأوسع لدول الخليج العربي.

وفي كل ذلك السياق تبرز قضايا أخرى مثل الصراع بين الأنظمة الملكية والجمهورية، كما كان في السابق في حقبة الستينيات، ودائماً كانت وستظل اليمن هي حجر الزاوية في ذلك الصراع بسبب الاختلاف في نظام الحكم الجمهوري عن بقية البلدان الخليجية وبسبب موجة الثورة التي تجتاحها الآن التي من المتوقع أن تسفر عن تحولات كبرى في ذلك البلد ذي الموقع الإستراتيجي على خليج عدن، وهو الذي يستدر الاهتمام الغربي بشدة، بوجود ثَوَرَان شبابي يطالب بالتغيير وبمزيد من أسهم الشعوب في إدارة البلاد، هذا بالإضافة إلى طبيعة الدولة اليمنية الفقيرة من ناحية الموارد الاقتصادية التي تجعلها دائماً عرضة للقلاقل والاضطرابات ومن ثَمَّ تدخلات عسكرية من الدول الأجنبية ذات المصلحة شرقاً وغرباً، من إيران ومن الولايات المتحدة، بعكس الدول الخليجية الأخرى التي ظلت الوفرة الاقتصادية فيها بمثابة الغمامة التي تحجب ولكن لاتمنع أية مشكلات سياسية تبرز على السطح.

ويظل البعد الخارجي للدول من خارج الإقليم العربي مثل تركيا وإيران والدول الغربية ذا أهمية خاصة في التأثير على مجريات الأحداث في العالم العربي وفي شكل البنية الهيكلية التي قد تخرج من رحم تلك المرحلة الهادرة، فالدور الإيراني محفز على مزيد من التمحور حول الذات العربية والخوف من أطماع تصدير الثورة إلى المنطقة، وهو دور دافع إلى مزيد من العمل العربي المشترك وإلى التمحور والتخندق والتعاون، بينما يظل الدور التركي راغباً في مزيد من التعاون الإقليمي والاقتصادي بعيداً عن منظومة العمل العربي، ولكن بإنشاء كيانات جديدة تخدم المصالح التركية الاقتصادية ولمد نفوذها وقوَّتها الناعمة على المنطقة، بعقد اتفاقيات للتجارة الحرة وإنشاء منظمات إقليمية اقتصادية جديدة تكون نواة لمشروع اتحاد إقليمي بديل من وجهة نظر تركية، تكون فيها أنقرة قائدة ورائدة لعملية اتحاد جديدة على غرار الاتحاد الأوروبي، بديلاً عن رفض أوروبا لانضمامها.

أما الدول الغربية فهي أمام فرصة سانحة قد لا تعود مرة أخرى بتشكيل المنطقة وَفْقاً لأهوائها؛ بتصدير مقومات

حضارتهـــا الغربية إلـــى العالم العربي، بأنظمـــة حكم غربية وبإجراء عملية تحول ثقافي وحضاري لشـــعوب المنطقة، وبمد يد العون الاقتصادية والعســـكرية من أجـــل فتح أبواب الكيان العربـــي لأحصنة طـــروادة جديدة على مختلف المســـتويات، باســـتغلال أقطابها داخل الشـــعوب العربية مـــن أجل تمرير أجنداتها التي تهدف إلى نزع البعدين الإســـلامي والقومي عن السياسات العربية واستبدالهما بالبعد الليبرالي العلماني الذي لا يرى ضيراً من السلام مع إسرائيل وقبول كافة أشكال الحياة الغربية، من أجل التطبيـــع الكامل في العلاقات ما بين الغرب وإسرائيل من جهة، وما بين العالم العربي من جهة أخرى؛ وذلك تحقيقاً لمصالح الغرب العليا وفرض أجنداته الحضارية.

وفي ظل كل تلك الظـــروف الإقليمية العصيبة، فإنه من غير المتوقع عقد قمم عربية قريبة بسبب المشكلات التي تمر بها المنطقة، وبســـبب عدم انتخـــاب زعماء جدد في عدد من البلدان العربية في ظل الثورات التي تشـــل بعضها الآخر عن الالتفات إلى أية اجتماعـــات، وكل تلك الظروف تمثل فراغاً زمنياً مواتيـــاً يمكِّن من تهيئة الســـاحة لمزيد من التدخلات الأجنبية من خارج الإقليم للضغط على بلدانه من أجل رســـم السياسات العربية في ظل انهيار منظومة الاتصال بين القادة في الفتـــرة الراهنة؛ فلا أحد من القـــادة العرب الآن يتمتع برفاهية الجلوس والمحاورة ورسم السيناريوهات أو التخطيط لمستقبل أفضل للجميع، فالكل يعكف على إعداد بيته الداخلي والنظر في حزمات تتراوح ما بين تهدئة ومســـكنات وما بين إصلاحـــات جذرية: ما بين نفحات مالية، وما بين التنازل عن بعض الصلاحيات السياســـية للنظام، وما بين إفساح مساحة أكبـــر قليلاً للشـــعوب، وما بين إصلاحات سياســـية جذرية فـــي بعض البلدان التي تقع تحت ســـيف الثورات أو التدخل العسكري الأجنبي، مثل حالتَي ليبيا وسوريا.

لذلك من الأهمية بمكان ما يحدث الآن من مخاض سياسي داخل الدولـــة المصرية التي تُعَد حجر الزاوية في السياســـات العربية؛ فمصر شاءت أم أبت تظل الدولة المحورية في منظومة العمل العربي، وسوف تحدد مخرجات العملية السياسية الجارية الآن في مصر إلى حد بعيد شكلَ منظومة العمل العربي القادمة، التي مـــن المتوقع – بأي حال من الأحـــوال وبصرف النظر عن المنتصرين فـــي الانتخابات الرئاســـية والبرلمانية القادمة – أن مصر ستعود للَمِّ الشـــمل العربي ولقيادة منظومة العمل العربي المشـــترك مرة ثانية، فهذه مصلحة عليا وهدف براغماتي بحت لأي زعيم مصري جديد، فالدائرة العربية ستكون من أهم دوائر التحـــرك والنفوذ الجديدة التي يجـــب أن يتحرك فيها الزعيم المصري القـــادم، بالإضافة إلـــى الدائرة الإفريقيـــة والدائرة الإسلامية الأوســـع وإلى إعادة ضبط شـــبكة تحالفات الدولة المصرية في حقبة ما بعد مبارك.

فمصر على المســـتوى الشعبي تتوق بشـــدة إلى مواصلة العمل العربي المشترك، وكانت سياسات عبد الناصر القومية العربية هي المحفز لكثير من الحركات المشـــابهة على مستوى العالـــم العربـــي، وكانت حقبـــة عبد الناصر بمـــا فيها من ســـلبيات جمة هي حقبة اللُّحمة العربية، ولكن خلفاءه جاؤوا ليحطموا تلك الإستراتيجية وولُّوا وجهَ مصرَ نحو قِبلات شتى انتهت بأن وضعوا وجهها إلى الحائط قبيل ســـقوط النظام، واستطلاعات الرأي تظهر أن الرأي العام المصري يريد ولادة جديدة لبلادهم، وأنهم يريدون المحافظة على هويتها العربية والإسلامية، ويظهر ذلك في تصريحات مرشحي الرئاسة من أقصى اليمين إلى أقصى اليســـار، انعكاســـاً بالتأكيد لنبض الجماهير، التي باتت لا تقبل بمزيد من الوصاية الغربية على العملية السياســـية وأكثر ميلاً إلى تدعيـــم القضايا العربية،

مثلما أظهرت استطلاعات الرأي المصرية تجاه تمويل أمريكا للأحزاب السياسية الجديدة، حتى بين الجماهير التي ترى الولايات المتحدة على أنها نموذج سياسي جيد لمصر الحديثة.

فقد نشر معهد جالوب لاستطلاعات الرأي استبياناً حول إذا كان الشعب المصري يفضل أو يعارض إرسال الولايات المتحدة مساعدات للجماعات السياسية في مصر، فكانت النتيجة كالتالي:

| | المصريون عامة | المصريون الذين يرون الولايات المتحدة نموذجاً |
|---|---|---|
| يفضلون | ٪١٣ | ٪١٠ |
| يعارضون | ٪٧٥ | ٪٨٨ |
| لا أعلم | ٪١٢ | ٪٢ |

• استطلاع أجراه معهد جالوب في مصر في الفترة من ٢٥ مارس إلى ٢ أبريل ٢٠١١م[١].

وهذا الاستطلاع يؤكد أن الشعب المصري يريد استقلالية عن الولايات المتحدة حتى بين أولئك الذين يرونها نموذجاً من ناحية النظام السياسي، كما أظهر الاستطلاع نفسه أن ثلثَي المصريين متشككون من الدور الأمريكي في مصر ما بعد الثورة، وأن أمريكا ستدعم ديمقراطية حقيقية في بلادهم؛ وذلك في ما يبدو بسبب الموقف الأمريكي من تجربة حماس الديمقراطية في غزة، وقال ٦٩٪ من المصريين أيضاً: إنهم يريدون من القادة الدينيين أن يقدِّموا النصح للقادة السياسيين، في ما يبدو أنه رغبة مصرية في توسيع دَوْر الدين في الحياة العامة في البلاد، وهو ما يعني الرغبة في العودة إلى الأصول العربية والإسلامية. وفي ما يتعلق بالبعدين (العربي والإسلامي) صرح ٦٨٪ من المصريين بأن صورة الولايات المتحدة لديهم ستتحسن إذا ضغطت على إسرائيل لوقف المستوطنات، و ٦٦٪ إذا سحبت قواتها من العراق و ٦٠٪ إذا سحبت قواتها من أفغانستان، وهذا يشير أيضاً إلى قوة الوعي لدى الشعب المصري واهتمامه الكبير بقضايا أمته العربية والإسلامية. كما أن تلك الاستطلاعات ضاغطة على الإدارات الأمريكية الحالية والقادمة من أجل تغيير سياساتها في المنطقة للحفاظ على حليفتها الكبرى مصر[٢].

(١) معهد جالوب، على الرابط التالي:
http://www.gallup.com/poll/147953/Egyptians-Oppose-Aid-Political-Groups-Country.aspx.

(٢) معهد جالوب.

وفي النهاية سيظل مستقبل النظام الإقليمي العربي مرهوناً برغبة وقدرة الشعوب العربية عامة من المحيط إلى الخليج على استلامها لزمام المبادرة والتحكم في مصائرها؛ فكلما زادت حصة الشعوب العربية في إدارة بلدانها، زادت احتمالات التقارب العربي واحتمالات إنعاش النظام الإقليمي بضخ مزيد من الأوكسجين للجامعة العربية التي ترقد في غرفة العناية المركزة منذ عقود، وبإجراء عملية إصلاح شاملة لها. كما أن استلام الشعوب العربية زمام المبادرة سوف يزيح جانباً كبيراً من أمراض العمل العربي المشترك السابقة، التي كانت تتمحور حول الأشخاص وليس المصلحة العليا للدول العربية، ويظل التحدي هو مدى وعي الشعوب العربية وإدراكها للمصالح الجامعة لها، ووعي قادة الرأي والمصلحين والمتحكمين بوسائل الإعلام العربية وإدراكهم للمصالح العليا المشتركة للدول وللإقليم ككل، وقيادة الرأي العام العربي نحو مزيد من التكامل والتلاحم لترشيد العمل العربي المشترك، كنقطة انطلاق نحو الخطوة التالية: ترشيد العمل الإسلامي المشترك.

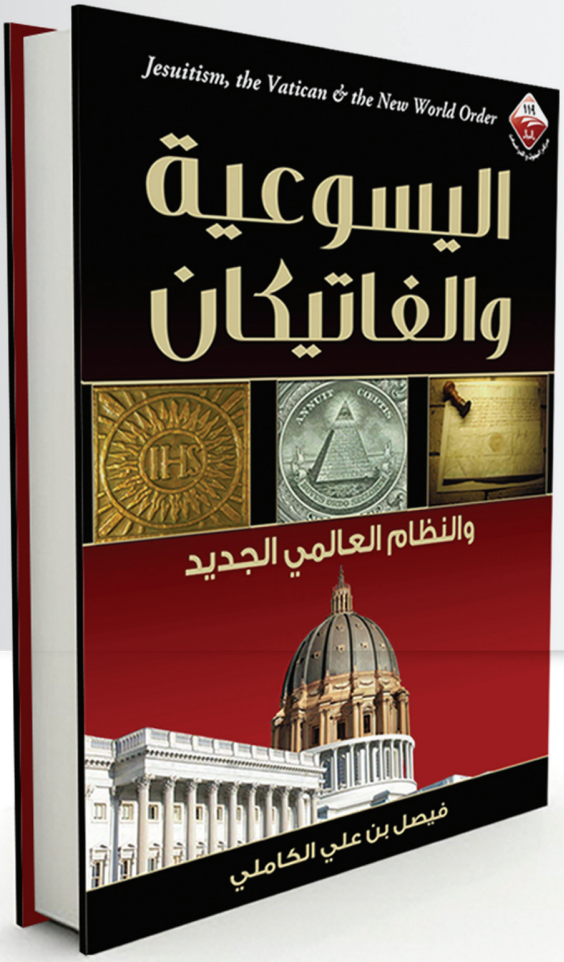


# اليسوعية والفاتيكان

## و النظام العالمي الجديد.

**جديدنا**

**اكتشف السر بعد خمسمائة عام من نذور الكتمان !**

- **ما أخطرُ الجماعات السرية على الإطلاق ؟ ولم لا نعلم عنها شيئاً ؟**
- **ماذا تعرف عن (( أصحاب الأيكة )) الجدد ؟**
- **هل الماسونية حقاً صناعة يهودية ؟ فمن تخدم إذن ؟**
- **لم لا تتغير سياسة أمريكا بتغير الزعماء ؟ ومن هو الموجه الحقيقي لهذه السياسة؟**
- **ما حقيقة التحالف البابوي ـ الصهيوني ؟ وماذا يراد للقدس ؟**

**وثائق سرية وحقائق مزعجة تقرؤها لأول مرة بالعربية في كتاب**

**(( اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد))!**

Badr: 0508948947

مجلة البيان

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

## مرصد الأخبار

### يساريون إسرائيليون لأوروبا: اعترفوا بدولة فلسطينية

دعت مجموعة من الشخصيات اليسارية البارزة في إسرائيل في خطاب أرسلته إلى دول الاتحاد الأوروبي إلى ضرورة الاعتراف بدولة فلسطينية في الاجتماع القادم للجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر القادم.

وقالت فيه: «في مواجهة المماطلات التي تبدو بلا نهاية، وانعدام الثقة المتبادل بين الجانبين، فإن إعلان دولة فلسطينية مستقلة ليس أمراً مشروعاً فحسب، بل خطوة إيجابية وبنَّاءة تصبُّ في مصلحة الشعبين».

وجاء في الخطاب: «إن فشل المجتمع الدولي – وبخاصة الولايات المتحدة – في إعادة الحياة لمفاوضات السلام يعكس حقيقة محزنة لا يمكن إنكارها، وهي: أن السلام بات رهينة لدى «عملية السلام» بدلاً من أن يكون هدفاً لها».

وعلَّقت المجموعة بأن «مشهد الرعب الذي قدَّمه نتنياهو في واشنطن والتأييد غير المشروط الذي حظي به من جانب الكونغرس الأمريكي، قد يعني في الواقع إسدال الستار على عملية السلام برمتها؛ وإلا فإن البديل الوحيد المتاح أمام الفلسطينيين هو الدفع في اتجاه إعلان دولتهم مع كل ما يحمله ذلك من مخاطر اندلاع موجة جديدة من العنف في المنطقة».

[شبكة سي إن إن العربية، ومواقع الجزيرة ٢٠١١/٥/١٩م]

جلال سعد الشايب
galal_elshayp@hotmail.com

### برلسكوني كان يدفع إتاوة للمافيا

أكد عضو سابق من المافيا الإيطالية أن رئيس الوزراء الإيطالي (سيلفيو برلسكوني) كان يدفع بانتظام ستمائة مليون ليرة إيطالية قديمة شهرياً «إتاوات» للمافيا؛ حفاظاً على حياته وحياة أسرته.

وقالت وكالة الأنباء الإيطالية آكي: إن جوفاني بروسكا قال أمام محكمة: إن برلسكوني كان يدفع إلى زعيم المافيا (ستيفانو بونتادي)، وبعد موت هذا الأخير أصبح يدفع إلى قائد المافيا الشهير (سالفيتوري توتو رينا) الذي كان يُطلَق عليه لقب «زعيم الزعماء»، وهو الذي اعتقل في عام ١٩٩٣م، وكان بروسكا أحد مساعديه.

ومَثَلَ بروسكا أمام المحكمة للاستماع إلى أقواله في القضية المعروفة إعلامياً بالمفاوضات التي جرت بين الدولة والمافيا، بغرض إقناع الأخيرة بوقف تفجيرات شنتها أوائل تسعينيات القرن الماضي.

وقد تعرَّض برلسكوني فعلاً لهجوم حسب بروسكا، الذي تحدث أيضاً حسب إل كوريير دي لا سيرا عن مفاوضات كانت تجري بين مافيا (كوزا نوسترا) وعضو مجلس الشيوخ (نيكولا مانتشينو) الذي شغل حينها منصب وزير الداخلية.

[يو بي آي، والصحافة الإيطالية ٢٠١١/٥/١٨م]

### نائب أمريكي: على العراق أن تردَّ لأمريكا نفقات غزوها!

اقترح النائب دانا روراباخر (العضو بمجلس النواب عن الحزب الجمهوري من ولاية كاليفورنيا) أنه على العراقيين أن يردُّوا الأموال التي أنفقتها الولايات المتحدة في غزوها واحتلالها بعد أن يعودوا بلداً ثرياً؛ وذلك خلال زيارة قام بها إلى بغداد ضمن وفد مع نواب أمريكيين آخرين، خلال هذا الشهر.

وقد أثار هذا التصريح غضباً عارماً في الأوساط السياسية والشعبية العراقية التي لم يكن لها كلمة في الغزو؛ فبينما فرح معظم العراقيين للإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين، إلا أنهم يحمِّلون الولايات المتحدة مسؤولية الفوضى والعنف الطائفي الذي تلا الغزو والاحتلال.

كما وصف رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب العراقي همام حمودي هذه التصريحات «بالغبية» وقال: إنه ينبغي على الأمريكيين أن يعوِّضوا العراق وليس العكس، مضيفاً أن هذه الأقوال تدفع الشعب العراقي إلى المطالبة بالتعويض لما لحق ببلاده جراء الغزو الأمريكي الغاشم.

[مواقع ٢٠١١/٦/١١م]

## رفض أممي لمشاركة إسرائيل في مؤتمرها السنوي

قالت شبكة «إسرائيل ناشيونال نيوز» الإخبارية: إن ما يسمى بـ منظمة «مكتب القانون الدستوري الإسرائيلي» تلقَّى إشعاراً من «المنتدى الدائم للسكان الأصليين» يوضح أنه تم رفض طلب تسجيل مشاركته في مؤتمره السنوي لهذا العام، بسبب عدم أهليته لذلك.

وقد اتهمت المنظمة في بيان لها رئيس الأمانة العامة للمنتدى الدائم لقضايا السكان الأصليين (تشاندرا روي هنريكسن) بانتهاك قوانين دولية بحرمانها من المشاركة.

ويُشار إلى أن المنتدى الدائم لقضايا السكان الأصليين يُعَد هيئة استشارية تابعة للأمم المتحدة، وهي مخوَّلة بمناقشة قضايا الشعوب الأصلية في مجالات مختلفة مثل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافة والبيئة والتعليم والصحة وحقوق الإنسان.

[قدس برس ٢٠١١/٥/١٧م]

## دحلان: لن أكون كبش فداء لفساد عباس

اتهم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح (محمد دحلان) الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، بالفساد المالي والإداري في رسالة خطيرة بعث بها إلى اللجنة المركزية لحركة فتح.

وقال دحلان في رسالته: «إن المسألة ليست مجرد تقارير مدسوسة أعدها صغار وبث فيها الحاقدون سمومهم، بل نية دفينة وإرادة حقيقية من جهة الأخ رئيس حركة فتح لاستبعاد محمد دحلان بأية طريقة كانت وبأي ثمن، معتقداً وموهوماً برؤى مستشاريه: أن هذه المعركة ستقويه ضد هذا الفراغ السياسي الشامل، وأن دحلان سيكون موقفه ضعيفاً، ومن ثَمَّ تكون الفرصة مواتية لتقديمه كبش فداء عن كل الأخطاء والجرائم السياسية والتنظيمية والمالية التي ارتُكبَت تحت إدارته تمهيداً لتصفية حساباته مع حركة فتح ورجالها المخلصين».

وقال دحلان: «إن قرارات الرئيس الفردية وسلوكه هو الذي أضاع غزة؛ من خلال إهمالها وتجاهلها وغياب أية رؤية أو خطة إستراتيجية حولها على مدار أربع سنوات».

وختم رسالته بقوله: «إنها لثورة حتى النصر... شعار كدنا ننساه في عهد الرئيس أبي مازن».

وعلى إثر هذه المذكرة، كشفت مصادر في اللجنة المركزية لحركة فتح الفلسطينية، أن اجتماعاً عقد في مقر الرئاسة الفلسطينية في رام الله، كان قد اتخذ قراراً بفصل عضو اللجنة محمد دحلان من عضوية الحركة بالكامل، وتحويل ملفه وبعض من مساعديه للقضاء الفلسطيني للنظر في اتهامات جنائية وتجاوزات مالية وقضايا خطيرة أخرى.

[العربية و الـ BBC العربية ١١ - ٢٠١١/٦/١٢م]

## الكشف عن دور إيراني في سوريا

نقلت صحيفة الـ «واشنطن بوست» عن مسؤولين أميركيين أن إيران ترسل مدربين ومستشارين إلى سوريا للمساعدة في قمع الاحتجاجات المطالبة بالديمقراطية، وهي تهدد بالإطاحة بأهم حليف لطهران في المنطقة، مؤكدين على أن التدفق الإيراني إلى سوريا يضاف إلى سلسلة المساعدات التي تتلقاها دمشق من طهران، منها: الأسلحة والعتاد لمكافحة الشغب، فضلاً عن أجهزة مراقبة لتعقُّب المعارضين عبر حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل: فيسبوك وتويتر.

وأكدت منى يعقوبيان (الخبيرة السابقة في شؤون الشرق الأوسط لدى قسم المعلومات التابع لوزارة الخارجية الأميركية) على أن سوريا تُعَدُّ أهم بوابة للعالم العربي بالنسبة لإيران، وخطَّ مواجهة مع إسرائيل، وأنه إذا ما خسر الإيرانيون النظام السوري، فإن «ذلك سيشكل نكسة كبيرة لطهران».

[واشنطن بوست ٢٠١١/٥/٢٨م]

أعلن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء المصري ارتفاع معدل البطالة في البلاد خلال الربع الأول من العام الجاري بثلاث نقاط مئوية؛ مقارنة بالربع السابق ليصل إلى مستوى ١١,٩٪.

وذكر رئيس الجهاز المركزي للتعبئة (أبو بكر الجندي) أنَّ إجمالي عدد العاطلين في مصر بلغ ٢,١٢٩ مليون فرد، بزيادة قدرها ٧٩٩ ألف عن الربع الأخير من عام ٢٠١٠م.

وأوضح الجندي أنَّ عدد العاطلين ارتفع خلال الربع الأول من العام الجاري؛ مقارنة بالربع الأول من عام ٢٠١٠م بزيادة قدرها ٧٤٢ ألف فرد بنسبة ٢١,٦٪.

وتقدِّر مصر أن اقتصادها انكمش بنحو ٧٪ خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام الجاري.

[موقع الإسلام اليوم ٢٠١١/٥/٢٥م]

أكد متخصصون فلسطينيون أن ٩٥٪ من المياه الجوفية في قطاع غزة غير صالحة للشرب، مطالبين خلال ورشة عمل نظَّمها مركز الميزان لحقوق الإنسان في غزة يوم الخميس ٥/٢٦ بعنوان: «المياه المحلاَّة في قطاع غزة... الواقع والآفاق»، على ضرورة العمل على إيجاد مصدر بديل للمياه المحلاَّة في القطاع، وتحديد كميات المياه الراجعة من عمليات التحلية.

[مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ٢٠١١/٥/٢٦م]

أشار تقرير للأمم المتحدة حول الوضع في أفغانستان أن مايو الماضي كان الأكثر دموية على صعيد الخسائر البشرية بين المدنيين منذ عام ٢٠٠٧م؛ إذ سُجِّل مقتل ٣٦٨ شخصاً، ولفت التقرير النظر إلى أن هذه الأرقام مخيفة للغاية؛ لأنها تُظهِر تزايد وتيرة العنف.

[جريدة المصريون الإلكترونية ٢٠١١/٦/١١م]

أقرَّت دراسة صهيونية بالفشل الصهيوني في «تقويض» حركة حماس اقتصادياً، أو تجفيف منابع وصول المال إليها خلال حكمها لقطاع غزة.

وزعمت الدراسة التي أصدرها مركز «بيرس للسلام» أن الوضع المالي لحماس تحسن كثيراً، وأن ميزانيتها المالية قد تضاعفت من ٤٠ مليون دولار عام ٢٠٠٦م إلى نحو نصف مليار دولار عام ٢٠١٠م.

وأوضحت الدراسة أن سياسة الحصار الصهيوني على القطاع قد أنعشت العمل عبر الأنفاق، مدعيةً أن رجال أعمال يسيطرون على تجارة الأنفاق بعدما وطدوا علاقتهم بحماس.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١١/٦/١٣م]

كشفت دراسة أجراها المجلس القومي للأمومة والطفولة أن نسبة الأطفال دون الثامنة عشرة الذين لم يلتحقوا بالتعليم وصلت إلى ١٠,٤٪، في الوقت الذي وصلت فيه نسبة الأطفال الذين التحقوا بالتعليم ثم تسرَّبوا منه في وقت لاحق ٤,٢٪، كما تبلغ نسبة الأطفال خارج المؤسسة المدرسية إلى ما يقرب من ١٤,٦٪ من إجمالي عدد السكان في مصر.

[جريدة اليوم السابع ٢٠١١/٦/١٤م]

أعلن مكتب المركزي للإحصاء السوري أن معدَّل التضخم في سوريا وصل إلى ٤,٤٪ في عام ٢٠١٠م مسجلاً ارتفاعاً قياساً بالنسبة لمعدل التضخم لعام ٢٠٠٩م الذي وصل إلى ٢,٨٪.

وذكر المكتب في تقرير أن معدل النمو الاقتصادي الحقيقي وصل إلى ٣,٢٪ عام ٢٠١٠م بينما في عام ٢٠٠٩م كان معدل النمو ٦٪ وجاء معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ٢٥٦٩,٧ دولار عام ٢٠٠٩م.

[شبكة محيط الإخبارية ٢٠١١/٦/١٥م]

## س: هل سيغير فوز العدالة والتنمية تركيا؟

نجح حزب العدالة والتنمية التركي بتحقيق الفوز الثالث له في الانتخابات البرلمانية التركية بعد حصوله على ٣٢٥ مقعداً من أصل ٥٥٠ مقعداً، وبذلك تتجه تركيا إلى مرحلة إصلاحات جديدة بقيادة الحزب المعروف بجذوره الإسلامية، وفي هذا الصدد فإن الخبير في الشأن التركي الدكتور محمد العادل يصرح لمجلة البيان: أن أبرز الأسباب التي ساهمت بفوز (العدالة والتنمية) هي الإصلاحات الداخلية والخارجية التي استطاع تحقيقها؛ حيث قام على المستوى الداخلي بتعديل ٢٦ مادة دستورية حدَّت من صلاحيات المؤسسة العسكرية، وكذلك شملت عملية التنمية الاقتصادية كافة المدن التركية ولم تتركز في المدن الرئيسية، بالإضافة إلى نجاح سياسة الحزب الخارجية التي نقلت تركيا إلى موقع سياسي متقدم في العالم.

ويتوقع الخبير في الشأن التركي أن ينجح حزب العدالة والتنمية في إجراء استفتاء لإعادة صياغة الدستور التركي من أجل فصل السلطات وإبعاد المؤسسة العسكرية عن القضاء، وبرر الدكتور العادل هذا التوقع بأن أحزاب المعارضة وعدت الناخب التركي بأن تقوم بإعادة صياغة الدستور، بالإضافة إلى حالة الضعف والتشرذم التي تعانيها أحزاب المعارضة؛ الأمر الذي سيسهل على حزب العدالة والتنمية التحالف مع أحد هذه الأحزاب.

ويظهر من كلمات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الذي قال فيها بأن هذا النصر (الفوز في الانتخابات) هو ليس لتركيا فقط؛ بل إنه لدمشق والشرق الأوسط. وأن تركيا تسعى لتعاظم دورها في العالم العربي والإسلامي، وكذلك لعب دور أكبر في السياسة العالمية.

كما أشار الخبير في الشأن التركي إلى أن الحكومة التركية لا يتوقع منها – بقيادة حزب العدالة والتنمية – أن تحسِّن علاقتها مع (إسرائيل)؛ بل إنها ستشهد خلال الفترة القادمة حالة ضعف أكبر من الوضع الحالي، وتوقع أن تكون العلاقة طبيعة كأي علاقة بين بلدين ولن تحتفظ تركيا باتفاقيات الشراكة الإستراتيجية مع (إسرائيل)؛ وذلك نتيجة حالة الغضب الشعبي بعد أحداث سفينة مرمرة التي قتل فيها عدد من الأتراك أمام سواحل قطاع غزة قبل عام.

[مجلة البيان]



## اعتقالات في بلد الحريات!

تعرَّضت ناشطة أميركية يهودية للضرب قبل أن تعتقلها الشرطة؛ لأنها قاطعت خطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الكونغرس.

وقد نُقلَت الناشطة رائي أبيليا، إلى مستشفى جامعة جورج واشنطن وهي تعاني من إصابات بعد أن انهال عليها أعضاء من أيباك بالضرب وطرحوها أرضاً.

وبعد خروجها من المستشفى، جرى اعتقالها لعدة ساعات؛ حيث وُجِّهت إليها تهمة تعطيل جلسة للكونغرس.

وقالت أبيليا التي يحمل والدها الجنسية الإسرائيلية: إنها زارت غزة قبل سنة ونصف وشاهدت الدمار الهائل الناجم عن عملية «الرصاص المصبوب» العسكرية التي تم شنُّها بمساعدة أسلحة أميركية أعطيت هدية لإسرائيل على حساب دافع الضرائب في الولايات المتحدة.

[موقع يديعوت أحرونوت ٢٠١١/٥/٢٥م]

## الغرب يتحكم في الغيوم الممطرة!

اتهم الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الدول الأوروبية بالعمل على منع الغيوم الممطرة من الوصول إلى إيران، مستنداً إلى مقال لدبلوماسي غربي.

وذلك في مراسم افتتاح سد ومنشآت «كمال صالح» المائية بالقرب من مدينة أراك في مركز إيران.

وأضاف نجاد أن «المعلومات المؤكدة بخصوص الوضع المناخي تفيد بأن الدول الأوروبية تستخدم أجهزة خاصة بإمكانها تفريغ الغيوم، ومنع الممطرة منها من الوصول إلى المنطقة ومن ضمنها إيران».

[موقع خبر أون لاين، والعربية ٢٠١١/٥/١٩م]

# الأقلية المسلمة في رواندا

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

رواندا إحدى دول حوض النيل تقع وسط القارة الإفريقية شرق بحيرة فيكتوريا، يحدها شرقاً تنزانيا، وغرباً الكونغو الديمقراطية، وشمالاً أوغندا، وجنوباً بوروندي. وأشهر مدنها «كيغالي» العاصمة و «جيتاراما» و «جيسيني».

عدد السكان ١٠ مليون نسمة حسب تقديرات عام ٢٠١٠م، وعدد المسلمين حوالي مليون ومائة ألف نسمة.

الجماعات العرقية: الهوتو ٨٤ ٪، التوتسي ١٥ ٪، التوا (الأقزام) ١ ٪.

الأديان: الكاثوليك ٥٦,٥٪، البروتستانت ٢٦٪، المسلمون ١١ ٪، مسيحيون آخرون ٤,٦٪، معتقدات تقليدية ٢,٧٪.

اللغات: الكينارواندا والفرنسية والإنجليزية والسواحلية.

كانت دولتا رواندا وبروندي تكوِّنان بلداً واحداً مع الكونغو لكن المستعمر والاستعمار البلجيكي عمل على تقسيمها إلى أربع دول، هي: رواندا - بروندي - الكنغو ليوبو لدفيل «زائير حالياً» - الكنغو برازفيل.

وقد استعمرت ألمانيا رواندا قرابه عشرين عاماً، ثم انتقلت إلى أيدي البلجيك وظلت تحت أيديهم أربعين سنة.

والاستعمار البلجيكي هو أحط أنواع الاستعمار؛ إذ عمل على تمزيق البلاد وتركها خراباً.

عاش الشعب الرواندي تحت هذا الاحتلال من عام ١٨٩٦م حتى عام ١٩٦٢م بعدما أشرقت شمس الحرية على البلاد.

دخل الإسلام رواندا عن طريق التجار المسلمين والطرق الصوفية بالإضافة إلى المسلمين المهاجرين، ومرت الجالية المسلمة بمراحل صعبة في رواندا فأيام المستعمر البلجيكي نالت أبشع أساليب التعذيب؛ حتى محاربتها في أقواتها، وحاول التفرقة بينها بزرع الفتن والأحقاد؛ فقد كان يمنع الأسر المسلمة من السكن متجاورين لدرجة أنهم كانوا لا يسمحون لثلاث أسر مسلمة بالسكن متجاورة فإذا خالفوا ذلك أصر المستعمر على تبديد بيوتهم وتشريدهم وقتلهم؛ لذا كان المسلمون يؤدُّون شعائرهم في الخفاء والسر، كما قام المبشرون بدور إرهابي ضد المسلمين؛ فقد كان حكم البلاد فعليّاً بأيديهم متمثلاً في الكنيسة ومراكز التبشير الصليبي الحاقدة.

وفي البلاد طائفتان نصرانيتان، هما: (الكاثوليك والبروتستانت) ومع الاختلاف بين المذهبين الصليبيين إلا أن أفرادهما اتفقوا على تكوين جبهة ضد الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، فمنعوا المسلمين في رواندا من التعليم والتوظيف ومن أي عمل سوى الزراعة البسيطة التي عاشوا عليها في كفاف، كما مارسوا كل أنواع البطش والتسلط ضد المسلمين الذين لم يستطيعوا الاجتماع مع بعضهم إلا في عام ١٩٧٢م، حينما قام الحكم الوطني واعترف بالعقائد الثلاث.

**مشكلات يواجهها المسلمون:**

كان للمسلمين دور فعال وإيجابي خلال الصراع العرقي الدموي بين قبيلتي «الهوتو والتوتسي» في منتصف التسعينيات من القرن الماضي؛ وذلك لعدم مشاركتهم فيها من جهة وتوفير الأمن لكل من التجأ إليهم من الأطراف المتضاربة من جهة أخرى، وبذلك أصبح المسلمون أكثر قدرةً على تفعيل الجهود السلمية ونشر التسامح بين القبائل، وقد فتح المسلم بيته لكل من لجأ إليه وكانت المساجد هي الأمان لكل مَن نزل بها، وقد ساعد ذلك على نشر تعاليم الإسلام بين القبائل، وكان من ثمرته إنشاء العديد من الجمعيات والاتحادات.

ومن هذه المؤسسات - مثلاً - (جمعية مسلمي رواندا) التي تتولى حالياً نشاط العمل الإسلامي والتنسق بين الاتحادات والجمعيات المسلمة وتوجِّه جهود العلماء والتنسيق بينهم والاستفادة منها، وتم تشكيل هيئة تضم خريجي الجامعات الإسلامية والعربية لتشرف على شؤون الدعوة ومتابعة القضايا التي تهم المسلمين، وأيضاً يوجد للمسلمين محاكمهم الشرعية؛ وذلك بعد أن تم تأسيس مجلس العلماء الذي خرج منه القضاة الذين ينظرون في القضايا الخاصة بالطلاق والميراث.

أما المشكلات التي تواجه مسلمي رواندا فمن أهمها:

التعليم: فالجهود في نشر التعليم - خاصةً تعليم الدين - لا تزال في بدايتها وتحتاج إلى الجهد والمال، وأيضاً المجال الصحي فليس هناك أي نشاط في هذا المجال «إلا القليل» برغم أن المؤسسات التنصيرية تعتمد على المؤسسات الصحية والتعليمية.

وهناك أيضاً حاجة إلى الدعاة المتخصصين الذين يفهمون اللغة المحلية ويتقنونها حتى يجوبوا البلاد كلها (مدنها وقراها)؛ لأن المناطق الريفية في رواندا متعطشة إلى فهم الإسلام، وهناك إحصائية تدل على تزايد عدد مسلمي رواندا؛ ففي عام ١٩٨٢م كانت نسبة المسلمين فيها ٥٪ والآن تصل نسبتهم من ١١ ٪ إلى ١٥٪.

ويُرجِع بعض المحللين هذه الزيادة إلى دَوْر الإذاعة «راديو رواندا» الذي يقوم ببث بعض البرامج الدينية. وأيضاً إلى اتصالهم بالمؤسسات والجمعيات الإسلامية في العالم الإسلامي، مثل: الأزهر والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ورابطة العالم الإسلامي بمكة وغيرها.

ومما يبشر بالخير أن مسلمي رواندا استطاعوا إقامة ١٥٥ مدرسة ابتدائية و٦٠ مدرسة ثانوية، و١٢٠ مسجداً لكنهم ما زالوا يحتاجون إلى الكثير.

**المصادر والمراجع:**


- د. محمد عاشور، دليل الدول الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث الدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧م، ص ٣٣.
- مجلة الأزهر، القاهرة، عدد رجب ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
- موقع مسلم أون لاين.

# الرؤيا

عبد المنعم فرج ناصر الدلعه

لمْ يكن سعيداً كما كان بعضهم يتخيل؛ فقد سكنه الرعب، وطاردته المخاوف. بل سجن نفسه بنفسه، وكتب شهادة وفاته بيده، وحفر قبره بأظافره منذ أن أطاح بسلفه؛ فكان إذا أكل شيئاً خاف أن يكون قد وُضِع له فيه السم، وإذا نام خاف أن يُغتال، وكثيراً ما كان يحجم عن المشاركة في المناسبات العامة، وإن خرج ظل متوجِّساً من أقرب الناس إليه؛ لأنه كان يعي تماماً أنه انتزع حقاً ليس له، ونصَّب نفسه (عمدة) بالقوة والإكراه.

لم يكتفِ بهذا، بل وصل به الجشع أن استولى على مزرعة لطفلين يتيمين، كما اغتصب أرضاً تابعة لمدرسة القرية، ثم ما لبث أن هدم جزءاً من المدرسة نفسها ليضمه إلى أملاكه.

وفي سبيل ذلك استخدم كل أساليب التخويف لإرهاب خصومه ومناوئيه، فلم يسلم منه أحد، حتى أقرب الأقربا بمن فيهم أخوه (الصياد)؛ الذي أنفق كل شيءٍ من أجله؛ فقد استولى على ميراثه، وأهانه أمام الناس، وأمهله حتى الصباح ليغادر القرية إلى الأبد!

وأثناء خروجه من القرية مُنكسراً حزيناً، مر على «شيخ الجامع» ليقص عليه رؤيا كان قد رآها، فوجده قائماً يصلي في المحراب، فانتظره حتى فرغ من صلاته، ثم حكى له ما رأى. فسكت برهة، ثم سأله: متى رأيت ذلك؟ قال: الليلة الماضية. فقال: أبشر - أيها الحبيب - ربما يصيبك بعض الأذى، لكن ستنتصر في نهاية الأمر، وسيكون لك شأن كبير.

عندما علم الناس باختفاء الصياد فجأة أصيبوا بخيبة أمل شديدة، وصدمة عنيفة، لفقدهم النصير والمعين الذي طالما ضحَّى بالكثير من أجلهم. فلم ينسوا أبداً شهامته ومواقفه الجريئة؛ فقد كان يضرُّ نفسه لينفع غيره، ولن ينسوا كرمه الذي صار مضرب الأمثال؛ فكان إذا اصطاد سمكاً، أهداه لأي عابر سبيل.

لقد مرت سنوات عجاف، والقرية ترزح في العنت والاستبداد حتى بلغ اليأس بالناس مبلغه. فالعشرات بل المئات هجروا القرية دون رجعة، ومن بقي استسلم لجبروت العمدة وبطانته الفاسدة؛ خاصة بعدما رأوا ما حدث لناظر المدرسة الذي جلده العمدة في الطريق العام، ثم أمر بحبسه شهراً كاملاً، كما تورط في قتل طبيب الوحدة الذي أبى أن يبيع ضميره.

ولما استفحل طغيان العمدة لم يستطع الشيخ السكوت بحال من الأحوال، فحرَّض الناس عليه، وانتقده بشدة في آخر خطبة من شعبان، وقال بالحرف الواحد: ليت هذا المفتري يتعظ ممن هو أشد منه بطشاً، وأكثر جمعاً؛ فـ «فرعون» لم يغنِ عنه سلطانه، و «هامان» لم تغنِ عنه وزاراته، و «قارون» لم تغن عنه كنوزه وثروته.

فلمَّا رجع إلى منزله رآه مهدوماً، فرفع بصره إلى السماء ونادى بصوت مكلوم: يارب! داعياً الله أن يهبه الصبر، ويفرِّج كربه.

بعدئذٍ توجه غاضباً لمقابلة العمدة، وفي منتصف الطريق - تقريبا - استوقفه «بائع اللبن» ليقص عليه رؤياه، فقال: بعد انقضاء صلاة الجمعة مباشرة، أخذتني غفوة، فرأيت (موسى بن عمران) واقفاً على مشارف القرية.

فجذبه بقوة، وقال متلفهاً: لو كنت صادقاً في ما تقول، فإن ظالماً سيهلك قريباً، وما أرى أظلم من العمدة. وبالفعل لم تغرب شمس ذلك اليوم، حتى اغتيل «العمدة» على يد ابنه الأشقى.

لم تستقر الأحوال بمقتل العمدة كما تمنَّى الناس، بل تفاقمت سوءاً، وتلظَّوا على جمر صبر؛ فـ (العمدة الجديد) كان أظلم وأطغى بل إن ظلم أبيه بجوار ظلمه يُعدُّ رحمة.

لكن بعد مرور أقل من شهر واحد على جلوسه على الكرسي رأى رؤيا أفزعته بشدة وأقضَّت مضجعه، فلم يجرؤ على أن يذهب إلى الشيخ ليحكيَها له بسبب العداوة القديمة، لكنه أرسل واحداً من خدمه، وطلب منه ألا يُخبره أن العمدة هو الذي رأى الرؤيا.

ذهب الخادم وقص الرؤيا كاملة فأطرق الشيخ قليلاً ثم سأله: أأنت الذي رأيت أم العمدة؟ قال: بل أنا. فقال له: كذبت، ارجع إلى صاحبك وقل له: إن مصيرك مثلُ مصير والدك.

بمجرد أن سمع الخادم ما سمع انتفض على الفور، وأصفر وجهه، وولى مُدبراً!

وقبل وصوله إلى هناك ببضعة أميال، سمع بمقتل العمدة.

في صبيحة يوم عيد الفطر كان الصياد قد اشتاق لرؤية أصدقائه ومحبيه! فدخل القرية على حين غفلة من أهلها. فراودته نفسه بالرجوع؛ خشية أن يَفْرُط عليه العمدة أو أن يطغى، لكنه سمع هرجاً ومرجاً وفوضى عارمةً، فتوقع أن العمدة ارتكب حماقة أخرى، أو أن مصيبة ما حلَّت بالقرية بالبائسة! فهرول نحو الجموع المحتشدة على طول الطريق العام. وبمجرد أن رأوه، تسابقوا نحوه فرادى وجماعات، واستقبلوه بشوق عارم، وحفاوةٍ بالغة.

هناك علم أن القرية كلها كانت تبحث عنه، وتتمنى عودته. فاختاروه في الحال عمدةً لهم، وعانقه «الشيخ» مبتهجاً ومهنئاً وقال - ووجهه يتهلل، وقلبه يخفق بحكايات قديمة -: هذا تأويل رؤياك التي رأيتها قبل ثلاثين عاماً.

## الشيخ عبد الغفار عزيز في حوار مع البيان :

# الشعب الباكستاني يرفض التعاون العسكري مع أمريكا.

## الجماعة الإسلامية تنتظر الانتخابات للقضاء على حكومة «زرداري».

زادت عملية اغتيال زعيم تنظيم القاعدة (أسامة بن لادن) في إحدى البلدات شمال باكستان على يد قوات أمريكية من حدَّة التوتر بين الحكومة الباكستانية والمعارضة، كما أثارت هذه العملية انتقادات لاذعة ضد الحكومة بسبب ما وصفته المعارضة بالانتهاكات الأمريكية المتكررة لسيادة باكستان. وللحديث عن هذا الموضوع ومستقبل باكستان في ظل تعقيدات الوضع السياسي القائم، ودور الجماعة الإسلامية في المرحلة السياسية القادمة حاورت مجلة البيان الشيخ (عبدالغفار عزيز) مسؤول العلاقات الخارجية في الجماعة الإسلامية والمتحدث الإعلامي باسمها، وكان الحوار التالي:

**أجرى الحوار: أحمد أبو دقة**

**البيان: ما تفسيركم للتدخل الأمريكي العسكري في باكستان؟ هل هو نتيجة ضعف الحكومة الباكستانية؟ أم هو في إطار التعاون مع الحكومة للتخلص من القاعدة؟**

**عبد الغفار عزيز:** هما معاً: إن ضعف الحكومة يجعلها تستند على الدعم الأمريكي، والتوجُّه العَلماني يوفر لها فرصة ضرب العصفورين بحجر واحد.

و هنا لا بد أن نعود إلى الوراء قليلاً؛ فقد كان الجنرال برويز مشرف حديث عهد في الحكم بعد إطاحته بحكومة نواز شريف، وكان يحتاج إلى اعتراف دولي بحكومته، وعندما شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها ضد أفغانستان وجد الجنرال بغيته. وعندما رفع الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) شعاره: «من ليس معنا فهو ضدنا» كانت باكستان أهم الدول التي استهدفها هذا الشعار ووجد فيه برويز تهديداً وكذلك فرصة له لكي ينال الدعم العالمي لحكومته؛ لذلك قرر برويز مشرف الوقوف مع الأمريكان وفتح أمامهم جميع مجالات التعاون؛ إلى درجة أن مكَّنهم من تكوين شبكاتهم الاستخبارية الخاصة بهم.

وبما أنه من ديدن الولايات

المتحدة الأمريكية أنها تستخدم الأفراد والحكومات لتحقيق مصالحها وبعد أن تقضى منها وَطَرها ترمي بها فى مزبلة التاريخ، فإن الأمر نفسه حدث مع برويز مشرف وتسارعت وتيرة الأحداث في هذا الاتجاه بعد توقيع اتفاقية التعاون بينه وبين بنازير بوتو تحت الرعاية الأمريكية. ورثت بنازير بوتو عنصري الطمع في الحكم والعداء للأصولية من برويز مشرف واستمرت اللعبة الأمريكية دون أدنى تغيير؛ وهذه هي كلمة السر في السياسات الراهنة لزوج بوتو.

**البيان: هل تضغطون على الحكومة لقطع تعاونها مع الأمريكان؟ وما هي وسائل الضغط التي تتبعونها لتحقيق تأثير في هذا الملف؟**

**عبد الغفار عزيز:** الجماعة الإسلامية هي أهم الأحزاب السياسية والدينية في البلاد وترفض هذا التدخل والتغلغل الأمريكي في باكستان. ليست الأحزاب فقط بل الشارع الباكستاني كله يرى التدخل الأمريكي بمثابة الاحتلال الفعلي لباكستان، خاصة في المناطق القبلية. من أهم مظاهر هذا الرأي الشعبي لفظُ الشارع الباكستاني حكمَ برويز مشرف، وكذلك رفضه لسياسات حكومة زرداري وحلفائه. وتقوم الجماعة الإسلامية بتوجيه الشارع وبالتعبير الفعلي عن رأيه، كما تقوم بطرح قضية الاحتلال الأمريكي في البرلمان. وبفضل هذه الجهود أصدر البرلمان قرارين مُجمَع عليهما وبالنص الصريح على إيقاف أمريكا عند حدودها، وإعادة النظر في تعاون باكستان معها، وكذلك قطع خطوط الإمدادات أمام القوات الأمريكية إذا استمرت الهجمات الجوية بطائرات دون طيار. كما تقوم الجماعة بمسيرات واعتصامات شعبية كبيرة في جميع أنحاء البلاد.

إنه بإمكان الجماعة أن تقرر إسقاط الحكومة عبر هذه الاعتصام والمسيرات؛ ولكننا لا نريد أن نقوم في المرحلة الراهنة بخطوة تأتي ببديل أسوأ. لذلك نستعد لمرحلة الانتخابات المقبلة في العام المقبل، وإننا على يقين أن الشارع الباكستاني يرفض من يتبنى السياسات الأمريكية أو يستمر فيها.

**البيان: هل القاعدة انتهت في باكستان بمقتل بن لادن حسب توقعاتكم؟**

**عبد الغفار عزيز:** أظن أن الأحداث التي شهدتها باكستان بعد مقتل أسامه بن لادن خير جواب على هذا السؤال. فوتيرة الأحداث الدامية تصاعدت بصورة غير مسبوقة. هناك مئات من القتلى من المدنيين. وهنا لا بد أن نتطرق إلى حقيقة ما تواجهه باكستان من تحديات جسيمة. فنحن نواجه الاعتداءات الأمريكية من كل نوع؛ هناك غارات جوية عبر طائرات بدون طيار وهناك شبكات تجسس أمريكية تتغلغل في معظم المناطق، وكلما تنفذ أمريكا عملياتها العسكرية تتصاعد نداءات العمليات الانتقامية خاصة من المناطق القبلية ذات ثقافة الثأر القديمة، ثم كلما برزت المجموعات القبلية الانتقامية تتذرع أمريكا بالأحداث وتكثف من عملياتها وتزيد من الضغوط الكبيرة على الحكومة الباكستانية. بمعنى آخر: لقد دخلنا في دائرة مفرغة من عمليات إراقة الدماء، والخروج من هذه الحلقة الدامية يأتي من الخروج من التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وإيقاف غاراتها الجوية؛ وإذا لم تتخذ الحكومة الباكستانية خطوات جريئة في هذا المجال فسيظل العالم يتلقى أنباء بروز الجماعات العسكرية المختلفة وتحت مسميات مختلفة ولن يحول دونها مقتل شخص أو أشخاص مهما كانوا.

**البيان: كيف تنظرون للتفجيرات التي تتبنها طالبان بشكل شبه يومي في باكستان؟**

**عبد الغفار عزيز:** شهدت باكستان منذ بدء الاحتلال الأمريكي لأفغانستان آلاف التفجيرات ومعظم هذه العمليات: إما نُسبَت إلى الطالبان أو تبنتها حركة طالبان، كما أن معظم الهجمات وُصفَت بأنها عمليات انتحارية. والحقيقة أن أكثر من ٩٠ ٪ من هذه الادِّعاءات ليست صحيحة. صحيح أن هناك عمليات كثيرة

نفذتها حركة الطالبان وكثير منها كانت عمليات انتحارية؛ لكن من المؤكد ومن الثابت بالأدلة والشهود أن عمليات كثيرة جداً من عمليات العنف وإراقة الدماء هي من تدبير وكالات الاستخبارات الخارجية. الجميع يريد أن يصفي حساباته مع باكستان أو أن يخلق في باكستان وضعاً يخدم مصالحه! على سبيل المثال تابعوا معي تصريح السفيرة الأمريكية لدى باكستان الذي قالت فيها: «إن أغلبية الشعب الباكستاني كانت ضد العمليات العسكرية الأمريكية؛ ولكن بعد أن شهدت باكستان تفجيرات ضد المدنيين أصبح الشارع الباكستاني مقتنعاً بأن هذه الحرب حرب باكستانية ضد الإرهاب».

ثم شاهدوا معي الأعمال الإرهابية الكبيرة في مدينة كراتشي وفي غيرها من المدن المكتظة بالسكان؛ حيث أعلنت السلطات الباكستانية بعدها أن العملية نفذها انتحاري وجدنا أشلاءه، وأن حركة الطالبان هي وراء العملية؛ ولكن بعد يوم أو يومين كشفت كاميرات الإعلام أو كاميرات الهواتف الجوالة أن قنابل أو الغاماً كانت مزروعة هناك وفجرتها آلات التحكم عن بُعد. والغريب أنه بعد معظم هذه الحالات تأتي التصريحات والادِّعاءات على لسان وزير الداخلية الذي يعتبر الساعد الأيمن للرئيس آصف على زرداري وعندما تفضحه الكاميرات لا يكلف السيد المغوار نفسه عناء الخجل أو الندم أو الحياء أو ما شابه ذلك.

آخر هذه الأحداث المخجلة والمؤسفة كانت في مدينة كوتا حين أعلن السيد الوزير أن إرهابيين أجانب أربعة كانوا بصدد تنفيذ عملية انتحارية إذ اكتشفتهم قوات الأمن وأردتهم قتلى وبذلك نجونا ونجت مدينة كوتا من حادثة انتحارية ضخمة. وأضافت المصادر الرسمية أن الأجانب الأربعة كانوا إرهابيين شيشانيين وكانوا يحملون ذخائر وأحزمة ناسفة.

بعد هذه الزوبعة الإعلامية والانتقادات اللاذعة لطالبان والقاعدة، كشفت عدسات الإعلام وكذلك عشرات الكاميرات للهواتف الجوالة أن القتلى كانوا مدنيين عاديين وكانوا يعبرون نقاط التفتيش حيث حدث بينهم وبين قوات المخافر نزاع أدى إلى مشادة كلامية ومن ثَمَّ فتح «أبطال» الأمن فوهات الرشاشات عليهم. لقد تحولت الانتقادات الإعلامية من «الإرهابيين» إلى الحكومة وقوات الأمن وبدأ ضباط الأمن الذين ظهروا في مؤتمرات صحفية بصفة الأبطال يتنصلون من تصريحاتهم، ولكن مع هذا ظل اسم «الشيشانيين» ملتصقاً بالقتلى، لتبقى احتمالات انتمائهم إلى مخيم من مخيمات الإرهابيين حية وقوية. وبعد ٢٧ يوماً من الحادث وصل مسلم عجوز برفقة زوجته المتحجبة من طاجيكستان ليتعرفا على جثة ابنهم نعمان (أحد القتلى) وعلى زوجته الروسية التي اعتنقت الإسلام قبل أشهر وتزوجت بنعمان، وكانت تحمل في أحشائها جنيناً في شهره السابع. أخبرت الأم الثكلى أن ابنها كان يعمل في موسكو في مجال التجارة ولم تعلم شيئاً عن سفره إلى باكستان عن طريق أفغانستان. أما الشخصان الآخران فأكدت السفارة الروسية أنهما من رعاياها. وإلى الآن لم تُحَل معضلة وجودهم في المنطقة؛ ولكن ثبت بدون أدنى شك أن قضية الإرهاب والشيشانيين والذخائر والأحزمة الناسفة كل ذلك كان هراءً ليس إلا.

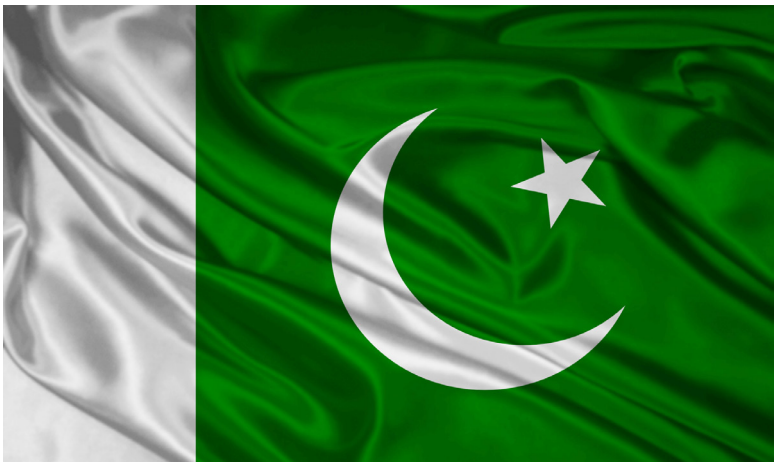

**البيان: ما هي خيارات الجماعة الإسلامية للتعامل مع وضع باكستان؟ وهل هناك طموحات سياسة تسعون لتحقيقها في المرحلة القادمة؟**

**عبد الغفار عزيز:** الخيارات كلها مفتوحة لكن كما ذكرت سوف تبقى جهودنا متركزة حول الإعداد للانتخابات المقبلة وفي هذا المجال نقوم بحملة تسجيل مزيد من أعضاء الجماعة والهدف أن نرفع عدد الأعضاء إلى ١٥ مليوناً، بإذن الله. كما نقوم في هذه المرحلة ونستمر - بإذن الله - في الاعتصامات والمسيرات وغيرها من الأنشطة الشعبية لممارسة الضغط على الحكومة للخروج من التحالف الأمريكي الذي دمر البلاد وأباد العباد. كما تجدر الإشارة إلى أن الجماعة تقوم بفعاليات شعبية كبيرة تحت شعار «الرجوع إلى الله» التي تستهدف إلى أن نجعل المجتمع الباكستاني يتوب إلى ربه حتى يلطف بنا - عز وجل - ويكشف عنا ما نحن فيه.

مجلة البيان

# في الأسواق ..

## التقرير الاستراتيجي الثامن ١٤٣٢هـ

www.albayan.co.uk

الريـــــاض: ـ هـــــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــــاكس: ٤٥٣٢١٢١

التـــــوزيع والمبيعـــــات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

مكـــــة والمديـــــنة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــــة الجنوبيـــــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقـــــة الشرقيـــــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــــة القصيـــــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# دوافع القلق الصهيوني من فتح معبر رفح

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

رأت أوساط سياسية صهيونية في القرار المصري بفتح معبر رفح على الحدود الجنوبية لقطاع غزة «تغييراً مصرياً دراماتيكياً» في السياسة الحالية مختلفاً عن عهد مبارك، و «نذير شؤم» لـ «إسرائيل»؛ رغم أن فتحه كان له بوادر مسبقة، لكنَّ واضعي السياسة الصهيونية اختاروا تجاهله.

وقال «رون بن يشاي» المحلل العسكري: إن هناك سبباً آخر للقلق الصهيوني يتمثل في التأثير السياسي الكامن في فتح المعبر؛ حيث يشرف من أحد جانبيه ممثلون رسميون من مصر على ما يخرج ويدخل، ومن الناحية الأخرى ممثلون لحماس؛ وهو ما يعني أنها خطوة تشكِّل اعترافاً عملياً بشرعية سلطة حماس في القطاع، وهذا الأمر يعتبر نصراً سياسياً واضحاً لها، ومنح الشرعية الدولية للمنظمة.

فبعد أن سيطرت حماس على القطاع، أراد حسني مبارك [الرئيس المصري المخلوع] بإغلاقه الجزئي للمعبر أن ينوِّه لحماس أنه لا يرى فيها سلطة شرعية في القطاع، وليضغط عليها لإعادة السلطة الفلسطينية إلى المعبر والقطاع بأسره، على أنها مصدر سلطوي قانوني؛ ولهذا السبب طالب المصريون بأن يتزود مواطنو القطاع الذين يستخدمون المعبر بتصريح مصري للدخول أو الخروج من القطاع.

(*) كاتب فلسطيني.

وحذر رئيس الوزراء الصهيوني (بنيامين نتنياهو) من سيطرة منظمات معادية على جزيرة سيناء، مدعياً أن مصر تواجه صعوبة حقيقية في السيطرة عليها، وأن حركة حماس تزداد قوة في الأراضي المصرية، ولقرب سيناء من غزة، وهو ما قد يفتح المجال لزيادة الأخطار الأمنية ضد «إسرائيل».

من جانب آخر، زعم نائب رئيس الوزراء الصهيوني، وزير الشؤون الاستخبارية (دان مريدور) أن توسيع ساعات الدوام في معبر رفح يؤكد أن قطاع غزة لا يخضع لحصار ولا لاحتلال «إسرائيلي»، مدعياً أن كل من يزور القطاع يدرك أنه لا نقص في المنتجات، وأن الادعاء بأن «إسرائيل» تقوم بتجويع سكانه لا يمت للواقع بصلة، معتبراً أن لا حاجة لتنظيم قوافل سفن إنسانية، آملاً ألا يسهل فتح المعبر على المنظمات المسلحة تهريب الأسلحة إلى القطاع.

## تغيير دراماتيكي:

تواصل القراءة الصهيونية: أن حماس طالبت بفتح المعبر بدون قيود، لتسهل من معاناة الطبقات الواسعة ومحدودة الدخل في غزة، مشيراً إلى ما أسماه «عملية قياس» بمفهوم الخسارة والمكسب على النحو التالي:

### الأبعاد السلبية:

١ - سلطة حماس حصلت على الشرعية والاعتراف السياسي من النظام (الجديد - القديم) في مصر، مقابل

موافقتهـا على المصالحة التي لم ترى النور بعد، وهذا اعتراف يمهد الطريق أمام حماس للحصول على شرعية دولية.

٢ - تستطيع حماس والمنظمات الأخرى إدخال نشطاء وسلاح خفيف بسهولة كبيرة - وهو ما يمكن وضعه في حقيبة كبيرة - إلى قطاع غزة، وإخراج النشطاء للتدريب، ويستطيع النشطاء الغزيون الخروج بسهولة لتنفيذ عمليات من سيناء.

٣ - العبور السهل في رفح سيسمح لنشطاء الجهاد العالمي بالوصول إلى قطاع غزة بسهولة وبأعداد كبيرة عن طريق المعبر، وهو من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الأنشطة المسلحة من القطاع ضد «إسرائيل»، وليس فقط ضدها، ولكن أيضاً ضد حماس التي توجد في صراع مع تلك المجموعات؛ لذا من المعقول الافتراض أن حماس ستبذل قصارى جهدها لكي تقلص من الظاهرة من خلال السيطرة على الجانب الحمساوي من المعبر.

٤ - السماح للإخوان المسلمين في مصر بإجراء اتصال جيد جداً مع حماس، وتسهيل مبادرات القيام بمسيرات جماعية غير مسلحة مشتركة من قِبَل مصريين وفلسطينيين باتجاه السياج الأمني مع «إسرائيل».

**الأبعاد الإيجابية:**

١ - حقيقة أن مواطني القطاع يستطيعون الخروج منه والدخول إليه من خلال معبر حدودي مصري منظم، تُحرِّر «إسرائيل» - إلى حدٍّ ما - من المسؤولية عن مصيرهم، وتسحب البساط الأيديولوجي من تحت ادِّعاءات المنظمات والنشطاء الموالين للفلسطينيين الذين يطالبونها برفع الحصار عن غزة، والاعتراف بحقيقة: أنه من الممكن تفريغ وتصدير بضائع بشكل شرعي من غزة وإليها، وحتى الأفراد بدون إزعاج في ميناء العريش الذي يبعد كيلو مترات معدودة من القطاع، وهو ما يجب أن ينتبه إليه منظمو أساطيل الحرية بأنواعها.

٢ - المرور الحر نسبياً في معبر رفح سيشجع العلاقة الطيبة والاتصالات الشخصية الوثيقة بين القيادة السياسية لحماس الموجودة في دمشق ونظيرتها الغزية الأكثر اعتدالاً، فغياب الاتصالات بينهما يزيد من الخلاف بين أجنحتها، ويزيد من مواقف القيادة الخارجية تعنتاً.

٣ - تزايد فرص مفاوضات صفقة التبادل لإطلاق سراح «جلعاد شاليط»؛ كون قيادة حماس ملتزمة الآن برد الجميل للمجلس العسكري المصري بعد فتح المعبر - وعلى رأسهم وزير المخابرات - الذين جددوا تدخُّلهم بشأن الصفقة، وينبغي الافتراض أنهم سيحاولون استغلال تأثيرهم لتلطيف مواقف حماس، وعلى رأسهم الذراع العسكري ممثلاً بأحمد الجعبري وخالد مشعل الذي يؤيد مواقفه.

٤ - فتح المعبر لا يغير كثيراً في مجال قدرة المنظمات الغزية على نقل الأسلحة والأفراد للقطاع، لكنه يخلق علاقة وثيقة جداً - سواء سياسية أو إنسانية - بين مصر ومواطني القطاع، واختصار للطريق لنقل مسؤولية مصر عن غزة، وهو ما كان يشكِّل حلماً لكثير من رؤساء الحكومات السابقين وعلى رأسهم «شارون».

٥ - النظام الحالي في مصر اجتهد كثيراً ليهدِّئ من المخاوف «الإسرائيلية»، والتنسيق معها قبل فتح المعبر، وهو ما يدل على نوايا مصرية واضحة لعدم كسر القواعد مع «إسرائيل» والولايات المتحدة الأمريكية التي تؤيدها.

وأضاف «بن يشاي»: أن فتح معبر رفح في حد ذاته لا يزيد ولا ينقص كثيراً في ما يتعلق بأمن «إسرائيل»، لكن ما ينبغي حقاً أن يقلقها في المجال الأمني هو حقيقة أن قوات الأمن المصرية فقدت السيطرة على سيناء؛ الأمر الذي يسهل اليوم على نشطاء المنظمات المسلحة والشحنات العسكرية التي وصلت إلى سيناء بطريقة أو بأخرى، أن تدخل قطاع غزة، أو تخرج منه عبر الأنفاق.

وزعم أن قدرات المنظمات المعادية على نقل (النشطاء، والسلاح، والأموال) إلى القطاع ومنه، وتنفيذ عمليات في سيناء، تزايدت جداً بعد الثورة في مصر؛ حيث فقدت خلالها قوات الأمن السيطرة عليها، بعد أن شهدت الأرض أسفل محور «فيلادلفيا» الحدودي عشرات الأنفاق التقليدية الضيقة، التي لم تسمح بنقل بضائع وأشخاص بأحجام وكميات كبيرة.

كما أن الخطورة القادمة من سيناء برأي الصهاينة تتمثل في مئات الأنفاق بأحجام وأنواع مختلفة حفرها الفلسطينيون منذ عام ٢٠٠٥م تحت محور «فيلادلفيا» بين رفح المصرية ورفح الغزية، سمحت لهم بنقل الأفراد والبضائع والسلاح من كل نوع وحجم من سيناء إلى غزة، كما شمل الأمر نشطاء مسلحين خرجوا وعادوا بقذائف، وصواريخ مضادة للدبابات والطائرات، وكذلك موادَّ متفجرة وأموال.

# الإرهاب

## بين المفهوم القانوني والاستخدام السياسي المزدوج

د. أكرم عبد الرزاق المشهداني(*)

**مقدمة:**

في العلاقات الدولية المعاصرة قلَّما استُعملَت كلمة أو أسيء استخدامُها، أو استُعملَت على نحو تعسفي مثل كلمة الإرهاب.

ولعل مفهوم أو مصطلح (الإرهاب) TERRORISM هو من أكثر المفاهيم التي كانت وما زالت عرضة للتلاعب والاستخدام المزدوج من أطراف كثيرة في مقدمتها الولايات المتحدة والغرب والصهيونية وكثير من الأنظمة التسلطية والتعسفية والدكتاتورية؛ محاولين تطويع هذا المفهوم واستخدامه ذريعة للبطش بالمناوئين والمعارضين والتنكيل بحركات التحرر من الاستعمار والظلم والعبودية. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة لتكون ذريعة لحملة عدائية سياسية شرسة ومنظمة ضد العرب والمسلمين؛ هدفها ربط الإرهاب بالعرب والمسلمين، كما أن سلطات الاحتلال الصهيوني الغاشم تستخدم ما يسمى بـ (مكافحة الإرهاب) ذريعة لتصفية المقاومة والانتفاضة الفلسطينية الجهادية المشروعة. وفي العراق ما زالت السلطة تَصِم المقاومة العراقية المناوئة للاحتلال بأنها (إرهاب).

فمنذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي وكلمة (الإرهاب) ومشتقاتها (إرهابي - حركات إرهابية - تنظيمات إرهابية - حكومات إرهابية) وغيرها تغزو ميدان الاستخدام السياسي، ولحقتها حقول أخرى، فقد انكب المؤلفون في علوم النفس والقانون والاجتماع والفلسفة والإجرام والإستراتيجية والعلوم العسكرية وغيرها على دراسة هذا الموضوع أكثر من أي ظاهرة أخرى في عصرنا، وخلال العقود الثلاثة الأخيرة صدرت آلاف من عناوين الكتب والبحوث والمقالات كلها تبحث في الإرهاب، وصار هناك كتَّاب متخصصون في شؤون الإرهاب، واستُحدثَت وحدات إجرائية مختصة بموضوع الإرهاب، وبات الإرهاب ومكافحة الإرهاب في صدارة أجندة لقاءات رؤساء الدول والمؤتمرات الدولية والإقليمية؛ سواء ما يتعلق منها بالأمن وسواها، كما تم تأسيس كثير من المعاهد التي تتبع الجامعات أو الحكومات لدراسة الإرهاب، واقتراح الإستراتيجيات المضادة للإرهاب، وتحليل شخصيات المتهمين بحوادث الإرهاب وغير ذلك؛ وكأنما الإرهاب هو الشغل الشاغل الوحيد لعالم مليء بالعُقَد والمشاكل.

على الرغم من أن الإرهاب قديم قدم التاريخ، كعمل يولِّد حالة من الرعب والفزع؛ إلا أن الحملة الإعلامية العالمية التي تقودها أميركا والصهيونية، وما كتب وما يزال يكتب ويبث عن الإرهاب، جعلت كثيرين يعتقدون أننا نعيش في حقبة (هوس الإرهاب)، وأصبح بعض الناس يصدق أن الإرهاب (وليس الاستعمار الجديد، ولا التفرقة العنصرية، ولا إبادة الجنس البشري، ولا سباق التسلح، ولا الانتهاك المروع لحقوق الإنسان والحريات الأساسية بما في ذلك حق الشعوب في تقرير مصيرها...) أن الإرهاب وحدَه هو الخطر البادي للعيان وهو التهديد الرئيس لوجودنا، ووجود البشرية. والأدهى من ذلك أن كل تلك الجهود التي بذلت وما تزال في سبيل الإشارة إلى خطر

(*) خبير بالشؤون القانونية والأمنية.

الإرهاب قد فشلت؛ ليس في استئصال شأفة الإرهاب فحسب، وإنما فشلت في تحديد هذا المفهوم الغامض، وتقف في وجه محاولات دول العالم لتحديد مفهوم موحد للإرهاب الولاياتُ المتحدةُ التي تريد إبقاء هذا المفهوم غامضاً لخدمة أغراضها العدوانية والدفاع عن حليفها الدائم الكيان الصهيوني الغاصب.

**التعريف اللغوي للإرهاب:**

الإرهاب في اللغة من مصدر (رَهَبَ) (أَرْهَبَ) أخاف وأفزع، ويشتمل هذا الخوف على التعظيم والتوقير حينما يتوجه إلى الله – تعالى – فيقال: أصابته الرهبة من الله. يقصد بها الخوف مع التعظيم. وقد ورد الفعل باشتقاقات عدة في القرآن الكريم؛ حيث تكررت كلمة رَهَبَ ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، منها قوله – تعالى –: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٥٤].

وقوله – تعالى –: ﴿ **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [**البقرة**: ٤٠].

وقوله – تعالى –: ﴿ **وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ** ﴾. [**القصص**: ٣٢]

وقوله – تعالى –: ﴿ **قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ﴾ [**الأعراف**: ١١٦].

وقوله – تعالى –: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٠].

وبمعنى آخر فإن معظم الإشارات القرآنية لكلمة رهب تدلل على الخوف والتعظيم عدا الآية الأخيرة ﴿ **وَأَعِدُّوا** ﴾ التي تعني إرهاب الأعداء؛ أي إخافتهم وبثُّ الرعب بينهم، لذلك يذهب بعض المتخصصين في اللغة العربية إلى أن استخدام كلمة (الإرهاب) ترجمةً عربية مقابلة للمصطلح الأجنبي (Terrorism) غير صحيح؛ لأن الرهبة وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم بمعنى الخوف المقترن بالاحترام والخشية، والدعوة إلى مخافة الله؛ وليس الخوف المقترن بالذعر والتفزيع، وانتهوا إلى أن الترجمة الصحيحة يفترض أن تكون هي (الإرعاب) وليس (الإرهاب) على الرغم من أن مجمع اللغة العربية قد أجاز استخدام المعنى الاصطلاحي للإرهاب وهو التخويف والترويع والفزع.

**نبذة تاريخية:**

تعود فكرة الإرهاب إلى أيام الثورة الفرنسية ودعوة روبسبير الشهيرة إلى (إرشاد الشعب بالمنطق، وأعداء الشعب بالإرهاب، وأن الإرهاب ما هو إلا العدالة الفورية). وارتبط الإرهاب بتحقيق الأهداف السياسية، وتعود أُولَى محاولات تعريف الإرهاب قانونياً إلى أيام عصبة الأمم، وتحديداً بعد اغتيال ملك يوغسلافيا في ١٩٤٣/١٠/٩م في فرنسا؛ حيث دعت فرنسا إلى مشروع ميثاق دولي حول الإرهاب وصدر الميثاق الدولي لمكافحة الإرهاب في ١٩٣٧/١١/١٦م، وعرف الإرهاب بأنه: (الأفعال الجنائية الموجهة ضد دولة ويكون الغرض منها، أو يكون من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من أو لدى الجمهور). إن من أهم المشاكل التي واجهتها المنظمة الدولية للأمم المتحدة منذ انبثاقها هما مشكلتا تحديد مفهومي (العدوان) و (الإرهاب) نظراً لأن ميثاق الأمم المتحدة في مادته (٥٠) سمح للدول أن تستخدم قواتها المسلحة بصورة جماعية أو منفردة، لرد العدوان الذي تتعرض له، وهذا أوجب بالضرورة تحديد مفهوم العدوان من أجل أن تتمكن الدول من أن تستخدم قوتها المسلحة ضد دولة أخرى تحت غطاء الشرعية والدفاع الشرعي، ولم تتمكن الأمم المتحدة من التوصل إلى تعريف (العدوان) إلا من خلال القرار (٣٣١٤) في عام ١٩٧٤م، ومع ذلك بقيت القوى المتغطرسة في العالم، وبخاصة الولايات المتحدة المدافع العنيد عن الصهيونية، تستخدم هذا المفهوم استخداماً مزدوجاً؛ بما يخدم مصالحها وأهدافها الخبيثة.

أما مفهوم (الإرهاب) TERRORISM – سواء الداخلي منه أو الدولي – فقد ظل عصيّاً على التعريف من قِبَل المنظمة الدولية، وخاصة بسبب تدخُّل الولايات المتحدة التي تصرُّ على (تحريم جميع أنواع الإرهاب مهما كان ومن أية جهة يصدر، وبغض النظر عن الهدف أو الأهداف التي تكمن وراءه. وهذا يعني حرمان الشعوب من استخدام حق تقرير المصير، ومنعها من الكفاح المشروع ضد الاستعمار والاحتلال). ولهذا لم تحدد الأمم المتحدة مفهوم الإرهاب، وبقي موضوعه مختلطاً مع مفهوم (العدوان وحق الدولة في مقاومة العدوان)، وهو ما يخدم المصالح الأميركية والصهيونية، وأصبحت أميركا والصهيونية تستخدم هذه الذريعة في العدوان على الدول بحجة إيوائها الإرهاب أو دعمها للإرهاب، علماً أن المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة لا تجيز لأي دولة الاعتداء على دولة أخرى بذريعة الدفاع الشرعي إلا في حالة صدور العمل العسكري العدواني من القوات المسلحة للدولة ذاتها. أما في حالة اتهامها بإيواء أنشطة إرهابية وثبوت ذلك فإن الطريق القانوني الصحيح لمعالجة هذه الحالة هو تطبيق اتفاقيات تسليم المجرمين المعقودة بين الدول. وما قامت به الولايات المتحدة ضد أفغانستان يتناقض وأحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو يشكل جريمة ضد الإنسانية بكل معانيها.

## المحاولات المبذولة من أجل التوصل لتعريف الإرهاب:

لقد بُذلَت خلال العقود المنصرمة من القرن العشرين محاولات كثيرة لتعريف الإرهاب، منها تعريف العالم القانوني (شميد) الذي عرَّف الإرهاب بأنه: (أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الرمزية كهدف عنف فعال من خلال

الاستخدام السابق للعنف أو التهديد به).

ومنهـــا تعريف (لاكور) وهـــو: (عمل سياســـي يتم توجيهه إلى هدف محدد ويشـــمل اســـتخدام التهديد المبالَغ فيه ويكون ضحاياه مجرد رموز ليســـوا معنيين بشـــكل مباشر. والإرهاب يحتِّم الاســـتخدام المقصود للعنف أو التهديد باســـتخدامه ضد هدف وســـيط يؤدي في المســـتقبل إلى تهديد هدف أكبر وأكثر أهميـــة؛ وبذلك المعنى يهدف إلى إثارة الخوف أو القلق الداخلي لكي يتم إجبار الهدف على الاستســـلام أو على تعديل موقفه). ومنها التعريف الذي يذهب إلى أن الإرهاب: هو الأفعال الجرمية الموجَّهة ضد السلطة والمتمثلة في إشاعة الرعب لدى شخصيات معينة أو جماعة من الأشخاص أو عامة الشعب.

لقد عـــدَّدتْ الكتب والأدبيات الصادرة عـــن الإرهاب أكثر من مائة تعريف للإرهاب بعضها قانوني وأغلبها سياســـي يخدم وجهـــة النظر التي ينطلق منها أو الأيديولوجية التي يحملها. أما الإرهـــاب في القوانـــين الوطنية فإنه كان موضـــع نظر رغم أن دراسة حديثة صادرة عن المركز الحقوقي للإرهاب في القوانين الوطنية تشـــير إلى أن حوالي ٥٣ دولة سنَّت قوانين خاصة ضد الإرهـــاب وخصوصاً في العقد الأخير في حـــين أن دولاً كثيرة اكتفت بقوانين العقوبات النافذة ولا ترى أن هناك داعياً لإصدار قانـــون خاص لمكافحة الإرهاب، وما زالت الولايات المتحدة تقف بشـــدة ضد أي محاولة لاستصدار تعريف أممي من خلال الأمم المتحدة يحدد معنى (الإرهاب)؛ منعاً للاســـتخدام المزدوج الذي تمارســـه بعض الأطراف - وخصوصاً الولايات المتحدة والكيان الصهيوني - في اســـتخدام العنف والعـــدوان بذريعة مكافحة الإرهاب.

### خطف الطائرات أبرز صور الإرهاب:

لقد برزت الحاجة الماســـة إلى تعريف مانع شامل للإرهاب وضرورة الفصل بينه وبين ما قد يختلط به من حالات الاستخدام المشـــروع للقوة دفاعاً عن النفـــس، والكفاح ضد الاحتلال. وقد توصلـــت دول العالم إلى عقد كثير مـــن الاتفاقيات في محاولة للخـــروج بتعريـــف موحد لمفهـــوم الإرهاب؛ وخاصـــة في فترة الستينيات والسبعينيات بعد أن تزايدت حالات خطف الطائرات، ويلاحَـــظ أن معظم هذه الاتفاقيـــات كان بمبادرة من منظمات الطيران العالمي بهدف وضع حد لحوادث خطف الطائرات التي برزت في تلكم الفترات.

وقـــد كان أول حادث خطف طائرة قـــد حدث عام ١٩٣٠م بخطـــف طائرة تعود لحكومة بيرو من قِبَل معارضين، ثم ظهرت موجة من حوادث خطف طائرات عائدة لدول أوروبا الشـــرقية بين عامي ١٩٤٧م - ١٩٥٣م بلغـــت ١٤ حادثاً، ثم بدأت حوادث اختطاف طائرات أميركية باتجاه كوبا بعد عام ١٩٥٨م، ثم بدأت موجة خطف الطائرات من قِبَل فصائل المقاومة الفلسطينية بهدف لفت أنظار العالم إلى المأســـاة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، ثم أعقبتها عمليات خطف طائرات مختلفة الجنسيات ومن قِبَل مختلف التشكيلات، والفئات ولإغراض مختلفة.

ولعل من المناســـب أن نذكر أن أول حـــادث خطف لطائرة عربيـــة حصل عام ١٩٥٤م حين قامت القوات الصهيونية الجوية باعتراض طائرة مدنية ســـورية في الجو وإجبارها على الهبوط في اللد، وكانـــت العملية منظمة من قِبَل موشـــي ديان؛ بهدف الحصول على رهائن لضمان إطلاق ســـراح جواسيس صهاينة لدى الســـلطات الســـورية. كما قامت طائرات حربية فرنســـية بخطف طائرة مدنيـــة مغربية تُقِلُّ عدداً من قادة جبهة التحرير الجزائرية واعتقالهم ومن بينهم أحمد بن بللا. ونذكر هنا عملية القرصنة الصهيونية ضد الطائـــرة المدنية الليبية أثناء تحليقها في ســـيناء عام ١٩٧٣ وكذلك حادث اعتـــراض الطائرة المدنية المصرية من قِبَل الصهاينة عام ١٩٧٥م.

### الجهود العربية لتحديد مفهوم الإرهاب:

على نطاق الوطن العربي بذلت جهود من أجل التوصل إلى تعريف موحَّد للإرهاب يلغي الإشـــكاليات الحاصلة في المفهوم الدولي السياسي والاســـتخدام المغرِض من قِبَل بعض الأطراف لموضوع الإرهاب؛ وبما يؤكد حق الشعب العربي الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وواصل العمل العربي مســـيرتَه في تحديد مفهوم واضح للإرهاب وأصـــدر مجلس وزراء الداخلية العرب خلال دورته ١٣ في عام ١٩٩٦م مدونة طوعية لســـلوك الدول الأعضاء لمكافحة الإرهاب، وفي دورته ١٤ في عام ١٩٩٧م وضع الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، وتواصلت الجهود العربية على نطاق كلٍّ من مجلس وزراء الداخلية العرب ومجلس وزراء العدل العرب إلى وضع (الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب) التي أقرها الاجتماع المشترك للمجلسين المذكورين بالقاهرة في أبريل من عام ١٩٩٨م بحضور وزراء العدل والداخلية العرب.

### تعريف الإرهاب وَفْقَ الاتفاقية العربية:

عرَّفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، الإرهاب بأنه: (كلُّ فعل من أفعال العنف أو التهديد به - أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه - يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعـــب بين النـــاس أو ترويعهم بإيذائهـــم أو تعريض حياتهم أو حريتهـــم أو أمنهم إلى الخطر أو إلحـــاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاســـتيلاء عليها، وتعريض أحد الموارد الوطنية للخطر).

من الملاحظ أن هذا التعريف قد تمت اســـتعارته من تعريف المشرِّع المصري في قانون العقوبات بالمادة (٨٦) من القانون رقم (٩٧) لسنة ١٩٩٢م، الذي نص على أن (الإرهاب... كل استخدام للقوة أو العنـــف أو التهديد أو الترويع، يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشـــروع إجرامي (فردي أو جماعي)؛ بهـــدف الإخلال بالنظام

العـــام أو تعريض ســـلامة المجتمع وأمنه للخطـــر؛ إذا كان من شـــأن ذلك إيذاء الأشـــخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو بالمواصـــلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأملاك (العامة أو الخاصة) أو احتلالها أو الاســـتيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارســـة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالهـــا، أو تعطيل تطبيق الدســـتور أو القوانـــين أو اللوائح) ويلاحظ عليه توسُّع المشرع في تحديد صور ووسائل الإرهاب.

### الفصل بين الإرهاب والكفاح المسلح ضد الاحتلال:

لقـــد نص ميثاق الأمم المتحدة فـــي مادته الأولى على (حق الشـــعوب في تقرير مصيرهـــا) وأكدت الجمعيـــة العامة ذلك بقرارها (١٥١٤) في ١٩٦٠/١٢/١٤م على حق جميع الشـــعوب فـــي تقرير مصيرها وأن لهـــا حقاً أصيلاً فـــي الكفاح بجميع الوســـائل الضرورية التي في متناولها ضد الدول الاســـتعمارية التي تقمع تطلعها نحو الحرية والاستقلال.

كما تضمَّنت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، تمييزاً بين (الإرهاب) و (حالات اســـتخدام القـــوة التي تقتضيها ضرورات النضال الوطني والدفاع عن النفس وتحقيق الاســـتقلال؛ حيث نصت الاتفاقية على ألا تُعَدَّ من الجرائم الإرهابية حالاتُ الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وَفْقاً لمبادئ القانون الدولي، واســـتثنت من ذلك كل عمل يمس الوحدة الترابية لأية دولة عربية.

إن حق تقرير المصير يعني أن يكون لكل شعب السلطة العليا فـــي تقرير مصيره دون أي تدخـــل أجنبي، وقد ورد مبدأ تقرير المصيـــر في ميثـــاق الأمم المتحدة مع إنشـــائها عام ١٩٤٥م في الفقـــرة الثانية من المادة الأولى، الخاص بأهداف الأمم المتحدة، وهو اليوم أحد المبادئ الأساسية في القانون الدولي.

ويعد الكفاح المسلح للشـــعوب وحركات التحرر الوطني من الوســـائل المشـــروعة خصوصاً الشـــعوب التي تخضع للهيمنة الأجنبية، ومع ذلك فقد حصل خلاف شـــديد بين المشاركين في اجتماعات الدورة ٢٧ للهيئـــة العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٧م في إطار اللجنة الدولية الخاصة بالإرهاب الدولي، فقد أشارت بعض الدول إلى ضرورة اســـتبعاد الأعمال المرتكبة من حركات التحـــرر الوطني المعروفة بكفاحها من أجل الاســـتقلال وتقرير المصير من أعمال الإرهاب.

### إرهاب الدولة أخطار أنواع الإرهاب:

أن أخطـــر أنواع الإرهاب هو ذلك الإرهاب الذي تمارســـه الـــدول، وخاصة حين تقوم القوات المســـلحة النظامية لدولة ما بالهجـــوم على دولة أخرى، أو شـــعب آمن؛ بهدف خلق حالة من الذعر والرعب والهلع لتحقيق أهداف ومآربَ سياسية مصلحية، وفي مقدمة الأمثلة على ذلك ما تمارســـه الإدارة الأميركية من أعمال إرهابية بحـــق العراقيين منذ فرض الحصار الاقتصادي والغزو الأمريكـــي للعراق وتدمير البنى التحتية والمدن العراقية، وقتل المدنيين، واســـتخدام اليورانيوم وأســـلحة الدمار الشامل التي أزهقت أرواح مئات الآلاف من أبناء الشـــعب العراقي. وما تمارســـه كذلك سلطات الاحتلال الصهيوني الغاشم: من اعتداء وتنكيل بحق شـــعبنا العربي الفلســـطيني، وما تفعله أميركا من نظرة مزدوجة المعايير؛ فهي تنظر إلى ما يفعله الكيان الصهيوني الغاصب على أنه دفاع مشروع عن النفس وأن ما يقوم به الشعب الفلســـطيني البطل هو إرهاب. ويقع ضمن هذا المسلك ما تتبعه الولايات المتحدة من إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمســـلمين، وهذا مـــا صرَّح به (نتنياهـــو) رئيس وزراء الكيـــان الصهيوني الأسبق في كتابه (محاربة الإرهاب) واتهم فيه الإسلام والمسلمين بالإرهابية، مؤلِّباً الغرب على ما أسماه بحركة الإرهاب الإسلامي.

### أمتنا ترفض الإرهاب وتؤكد حق المقاومة:

إن أمتنا العربية والإســـلامية ترفض الإرهاب بكافة أشكاله وصوره وتعدُّه مخالفاً لتعاليمنا الدينية وتراثنا الحضاري وضاراً بأمننا واســـتقرارنا، ولكـــن لا يمكن بأي حال مـــن الأحوال أن نوافق على وصـــف النضال الذي يخوضه الشـــعبان (العراقي والفلســـطيني) بالإرهاب؛ لأنه وصف متحيـــز وبعيد كل البعد عن الحقيقة؛ فالأعمال المقاوِمـــة للاحتلال إنما تعبِّر عن حالة الإحباط التي يعانيها الشـــعبان (العراقي والفلسطيني) من قَتْلٍ واضطهاد واحتلال؛ تشـــكل بمجملها إرهـــاب الدولة الذي هو أخطر أشكال الإرهاب.

وأخيراً نقول: إن الإرهاب والتطرف لا يمكن أن ينشـــأ من فراغ؛ إنما هما ردُّ فعل يبلوره فعل متشـــدد بلا مسوغ، أكثر مما ينضجـــه الفعل الواعي القادر على أن يســـمع ويرى ويتأمل كما ينبغي. إننا في الأمة العربية (كما هو حال المسلمين في كل بقاع الدنيا)، نمقت الإرهاب ونستنكره؛ لأنه ليس من شمائل العروبة والإســـلام، ولأننا نحن العرب والمســـلمين أكبر ضحايا الإرهاب الأمريكي والصهيوني.

لقـــد كانـــت أمريكا تتشـــدق بمكافحة الإرهـــاب حين أتى حصارهـــا الظالم على العراق بقتـــل أكثر من نصف مليون طفل عراقي خلال فترة الحصار الجائر وهو أعتى أنواع الإرهاب، كما أن أمريكا ذاتها التي تتشـــدق بأن احتلال العراق كان من ضمن حملة ضد الإرهاب، فإن كانت عملية ١١ سبتمبر المشبوهة أودت بحياة ٥٠٠٠ شخص (كما يزعمون) فإن حرب أمريكا على العراق وأفغانســـتان – بذريعة الحرب على الإرهـــاب – قد أودت بحياة أكثر من مليوني إنسان بريء معظمهم من الأطفال والنساء؛ فهل هذه هي العدالة؟ ويا تُرى من هو الإرهابي الحقيقي في العالم؟

# القومية والوحدة والانفصال... رؤية شرعية

د. توفيق البدري(*)

تبرز في الساحة الإسلامية والعربية دعوات قومية تنهض على أسس التعدد الثقافي والخصوصية الاجتماعية والفروق اللغوية. والتعبير عن هذه المطالب في كثير من الحالات يأخذ صوراً مختلفةً؛ فثمة فريق يناضل من داخل الدولة القُطْرية باهتمام حقيقي وملموس بالمسألة مع الإقرار بضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية، وفريق آخر يرى أن السبيل لإثبات الهوية القومية بأبعادها المختلفة لا يتحقق إلا في إطار نوع من الحكم والتسيير الذاتيين، وهناك من يتطلع إلى أبعد من ذلك؛ حيث يرنو إلى إنجاز انفصال تام عن الوطن الأم والدولة المركزية؛ بوصف هذا الأمر الوضعَ الجدير بصيانة الحقوق الكاملة للأقليات القومية. وهذه المقالة لا تروم الموازنة بين هذه المشاريع السياسية، وبيان أيِّها أصلح للتطبيق في الوطن العربي والإسلامي؛ وإنما الغرض بحث القضية القومية وما شاكلها، وما يتصل بها من دعوة للاتحاد أو الانفصال، انطلاقاً من رؤية شرعية بحتة، بغضِّ النظر عن اتفاق أو اختلاف خلاصات ونتائج هذه الدراسة مع رؤى سياسية قائمة في هذا الشأن.

وقبل الخوض في صلب الموضوع، يحسُن بنا أن نعرِّف ابتداءً دلالة كلمة (القومية). لقد ورد في اللسان العربي أن قَوْمَ كلِّ رجلٍ، يعني: شيعته وعشيرته. والقوم لفظ يذكَّر ويؤنَّث كما في قوله – تعالى –: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥][1].

(*) باحث في الفكر الإسلامي.

(١) انظر هذا المعنى في لسان العرب: ١١/ ٣٦١.

والقوم الجماعة من النـــاس تجمعهم جامعة يقومون لها[1].

وفي القرآن الكريم يطلق لفظ القوم فيراد به جماعة محددة من الرجال والنساء[2]. قال - تعالى -: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠]، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال - جل شـــأنه -: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

يستفاد من هذه النصوص أن القومية في جوهرها: صلة اجتماعية عاطفية تنشـــأ من الاشـــتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة[3].

وحقيقة القومية وما يندرج تحت معناها قائمةٌ في القرآن الكريم؛ حيـــث وردت آيات تترى تبيِّن وجود تنوع عرقي وقَبَلي ولُغَوي، وجعل ذلك سبباً لتحقيق التواصل والتعارف الإنْسَانِيَيْن؛ وأنـــه لا ينبغي أن يكون هذا الاختلاف الطبيعي الضروري من دواعي الصراع والتضاد، وفي هذا يقول الله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِـنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وقوله - ســـبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فهـــذان النصـــان وغيرهما كثيـــر، يقرران بجلاء سُـــنَّة اجتماعية ســـارية ومطَّردة في البشر، مفادها: أن الأصل في الأمم والجماعات والأفراد التنـُّوع والتعدد والاختلاف، وأن العلـــة في خلق الناس على هذا النحـــو، هي تحقيق التعارف بينهم، الذي يُعَدُّ مدخلاً لحصول التكامل والتضامن والائتلاف البشـــري. وبهذا المعنى لا يوجد في نظر الشـــرع جنس راقٍ ابتـــداءً (أي خَلْقاً وإنشـــاءً)، وآخر وضيع (طبعاً وســـجيةً)، فالجميع عند الله سواء، ولا تفاضل بين الأجناس والقوميات إلا بمـــا يقدمه كل فصيل من عمل صالـــح وجهد نافع لذاته ولغيره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإذا كان هـــذا التواصل والتلاقح والتثاقـــف مطلوباً بين الناس أجمعـــين، فإنه بين أهل الإســـلام يكون آكـــد وواجباً ولازماً، ويتخذ صوراً أرقى بكثير من مجرد التعارف: كالتوحُّد، والتحاب، والتســـاند، والتعاضـــد، والتآزر؛ وذلك في ســـائر الأحوال، في الســـراء والضراء؛ لأن آصرة العقيدة والملة التي تؤلِّف بينهم، والتي تعد أوثق الراوبط وأعلاها شـــأناً، هي التي تفرض عليهم الشـــعور بمعاني الوحدة والعمل بمقتضاها في الواقع العملي. ومصداق هذا نجده في القرآن ذاته؛ حيث يقول - تعالـــى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعـاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمـــران: ١٠٣]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويَحْسُن بنا هنا تحليل هاتين الآيتين؛ لأنهمـــا تنطويان على قيم ومعانٍ رفيعة: فالأُولَى أشـــارت إلى حقيقة تاريخيـــة كانت قائمة بين أهل يثرب (الأوس والخزرج) قبل مجيء الإســـلام؛ وهي حالة الشـــقاق والصراع والعداوة الســـارية بينهم منذ زمن ســـحيق، ولكن لمَّا استقر الإيمان في قلوبهم، أضحت تلك العداوةُ محبةً خالصة وأُلفةً صادقة وأخوَّةً حقيقية، وهذه هي النعمة التي يذكِّرهم الله - تعالى - بها حتى يظلوا أوفياء لها مدى الحياة. أما الآية الثانية فدلَّت بأســـلوب الحصـــر الذي يفيد عند أهل البلاغـــة التأكيد والتقرير، على أن المؤمنـــين إخوة في جميع الحـــالات، وهذا هو الأصل الذي لا ينبغـــي المحيد عنه. وحـــين قال - عز وجـــل -: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فإنه يشـــير إلى احتمال نشـــوب خلاف وصراع وحرب بين المؤمنين، وهذا يقتضـــي - عند حصوله - المبادرة إلى الإصلاح والتوفيق بينهم، لحفظ الوحدة وصيانة الائتلاف ودفع ما يفضي إلى تقويضهما.

ومن الأمور التي عالجها الشرع الحكيم: مسألة (العصبية)؛ فالقرآن الكريم الذي هـــو رحمة وهداية للعالمين، نزل في أول الأمر إلى العرب وبلســـانهم، ومعلـــوم أن العرب على اختلاف قبائلهم تعدُّ العصبية إحدى مقومات شـــخصيتهم؛ فهي تجري منهم مجرى الدم، ومن العســـير نزعها؛ لذا سعى الإسلام إلى تهذيب هذا النزوع المتأصـــل فيهم، ووظفه ليصير عنصراً من عناصر تقوية الوحدة بين المســـلمين، فأقر بالاعتزاز للانتماء القومي أو القبلي أو اللغوي؛ لكن دون اســـتعلاء أو فخر أو كبر يصل إلى حد التعصب للذات وتمجيدها ونفي الآخر وتحقيره، فهذا أمر رفضته الشـــريعة وكانـــت واضحة في تحريمه. قال رســـول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحـــد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»[4]. وقال أيضاً: «ليس منَّا من دعـــا إلى عصبية، وليس منَّا مـــن قاتل على عصبية، وليس منَّا من مات على عصبية»[5]. لا شـــك أن العصبية أمر طبيعي وإيجابي وعنصر قوة كما أشـــار إلى ذلك العلاَّمة ابن خلدون[6]؛ لكن العصبية الممقوتة في الإســـلام، وهي تلك التي

(١) انظر المعجم الوسيط، ص: ٧٦٨.
(٢) انظر مفردات الراغب الأصفهاني، ص٤١٨.
(٣) المعجم الوسيط، ص: ٧٦٨.
(٤) أخرجه مسلم.
(٥) رواه أبو داود في سننه.
(٦) انظر المقدمة، ص ١٦٠.

تفرِّق ولا توحد، وتمزق ولا تؤلِّف، وتهدم ولا تبني، وتضعِف ولا تقوِّي، وتبعِد ولا تقرِّب.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول: إن القومية بوصفها رابطة نفسية واجتماعية وثقافية وجغرافية: شعور أصيل في الإنسان، والإسلام باعتباره رسالة عالمية لا تختص بقوم دون قوم أو بجنس دون جنس أو بفئة دون فئة، عمل لأجل تحقيق توازن مضبوط بين انجذاب المسلم لشعوره القومي العميق في كينونته، وبين الوفاء لمستلزمات انتمائه الإسلامي الأرحب، وهذا التوازن الفريد تجلَّى في كون كثير ممن خدم الإسلام وأسهم في تنمية العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية بوجه عام هم من غير العرب، مثل: الإمام البخاري الذي برع في الحديث، وسيبويه الذي برز في اللغة، وصلاح الدين الأيوبي الذي قاد تحرير القدس، وغيرهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم كلهم. وفي التاريخ المعاصر، اتخذت قضية القومية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر صورتين اثنتين. فمن جهة كانت القومية (قوة تجمع)، ومن جهة أخرى كانت (قوة تفتيت): لقد حملت قوة التجمع الشعوب التي تنتمي إلى قومية واحدة وتعيش في دول مختلفة، إلى الاتحاد في دولة واحدة. وأما قوة التفتيت، فقد دفعت الشعوب الخاضعة لسيطرة دول أجنبية عنها إلى التحرر من نير هذه السيطرة وإقامة الدولة القومية، أو حال بلد احتله الأجانب فتقاسموه واختص كلٌّ واحد منهم بجزء منه[1].

ويعلم المؤرخون قبل غيرهم أن الذي أسهم في تعجيل سقوط الإمبراطورية العثمانية، هو الانفصال الذي قام به الشريف حسين باسم القومية العربية بدعم من بريطانيا وفرنسا؛ بغية بناء خلافة عربية خالصة موحدة، لكن لا شيء من ذلك تحقق؛ لأن الأمر سار في واقع الحال كما خطط له أصحاب اتفاقية (سايكس - بيكو) فآل المشروع إلى دول عربية عديدة، أورثها الاستعمار صراعات مزمنة شغلتها عن تحقيق وحدتها، ففرقت بينها، ورسَّخت فيها التجزئة والتشظي، ولا يزال بعضها مهدَّداً بالتفتيت والانقسام باسم الخصوصية الثقافية والقومية والطائفية وهلم جرّاً؛ مثل ما يجري في العراق وإقليم كردستان، واليمن والحَراك الجنوبي، وتركيا والأكراد، والسودان ودارفور والجنوب، والمغرب ونزاع الصحراء المفتعل، والجزائر والقبائل... إلخ. لقد علَّمنا التاريخ أنه كم من مشكل بسيط في منطقتنا العربية والإسلامية صار معضلة كبيرة؛ خاصة عندما يوظفه الأجنبي لمصالحه ويذكي النعرات والعصبيات، ويعين طرفاً ضد طرف آخر من أجل الإضعاف والتفتيت، وهكذا إعمالاً لمقولة (فرِّق تسد).

إن المدخل الصحيح لتطويق هذه الظاهرة في ساحتنا الإسلامية، يكمن في تفعيل التوجيهات الشرعية التي تحث وتؤكد بصورة حتمية على الحفاظ على اللُّحمة ولزوم الوحدة والائتلاف بين عموم الأمة الإسلامية وشعوبها المختلفة، ولا يعني الحرص على هذه الوحدة المذكورة إلغاءَ الهوية الذاتية للقوميات القائمة في المجتمعات المسلمة، بل من صميم الاتحاد والالتحام مراعاةُ هذا الاختلاف والتنوع والتعدد. والناظر في نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية يلفي هذه الحقيقة، حتى في الفقه الإسلامي نجد أن الفتوى تتغير بحسب تغير الزمان والمكان والعرف. والعرف عند الفقهاء ما تعارف عليه الناس، وهو عندهم شريعة مُحَكَّمَة. وكثير من الأحكام الشرعية في الفروع بُنِيَت على المعطى الثقافي والاجتماعي المتنوع؛ فالحكم الذي يصلح لهذا المجتمع قد يجد فيه مجتمع آخر عنتاً وحرجاً؛ إذن التعدد الثقافي واللغوي والاجتماعي والقومي لا يتعارض مع مقاصد الشريعة، ولم يكن قط مشكلة، ولم يكن الإسلام في لحظة مَّا ليلغي هذا التنوع؛ لأنه أول من نبَّه إلى وجوده، وأول من أرشد إلى استثماره في بناء الأمة المتنوعة الموحدة. قال - تعالى -: ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [**المؤمنون**: ٥٢].

والذي يدعو بوعي أو بغير وعي إلى تميُّزٍ وتفرُّدٍ قوميٍّ بعيداً عن هذه الصورة التي يقدمها الدين الإسلامي، فهو لا محالة يتناقض مع توجيهاته وأحكامه ومراميه. صحيح أن ثمة قوميات داخل الأوطان العربية والإسلامية بُخِس حقها ولحقها ظلم كبير، ولم يُلتفَت إلى حاجاتها المادية والمعنوية، لكن هذا الوضع لا ينبغي أن يكون مدعاة للمطالبة بالانفصال عن هذه البلدان، ولا يصح تصحيح الخطأ وبخطأ آخر؛ لأن التشظي والانشطار والانقسام لم يفد الأمة في شيء، بل زاد من إضعافها. وفي هذا السياق يمكن أن نفهم فتوى الشيخ يوسف القرضاوي التي حرَّمت على المسلمين في جنوب السودان التصويت لفائدة الانفصال؛ لأن ذلك إسهام في تفتيت دولة عربية مسلمة وتمزيق لوحدتها، وهذا - كما لا يخفى - أمر يتعارض مع قيم الوحدة والتساند والالتحام التي يوصي بها الإسلام.

(١) انظر نور الدين حاطوم: تاريخ الحركات القومية: ١/ ١٢.

# إلى أحبتي في الشام

د. وفاء إبراهيم

يـــا شـــام كـــبِّـــري وهـــلِّـــلي
وقَـــــرِّي عـــيـــنـــاً واســـلـــمـــي

كم امتلأت المآقي بالدموع وهي ترى أهلنا في بلاد الشام وقد عقد الخوف ألسنتهم، وحل اليأس في قلوبهم، ورضوا بعيشٍ ذليلٍ تجبرَّ فيه الطواغيت، وتفرعَن فيه البعثيون يعيثون في الأرض فساداً؛ حتى إن أحدهم ما كان ليجرؤ على أن يقول: آمين. لدعوة صدرت من قلب مغترب مجروح هجر وطنه فراراً بدينه يدعو على الطغاة الظالمين. يا الله، كم كانت تلك الصور القاتمة تقطِّع نياط قلوبنا فتنهمر الدموع حرَّى من أعيننا!

أهكذا آل الحال في أوطاننا؟ أهكذا أصبح رجال الشام الذين طردوا فرنسا المعتدية الغاشمة؛ يقفون موقف المؤيد الصامت على جرائم الأسرة الحاكمة وزبانيتها في سورية؟

أهكذا يرضى الأحرار بأن يسمعوا هم وأهلوهم وأبناؤهم ألوان الكفريات في دوائر الحكومة من السَّقَطة الذين تحكَّموا في العباد، ونشروا في البلاد الفساد؟

أحقاً أصبح هَمُّ أفراد الشعب في سورية الحبيبة تأمينَ متع الحياة ولقمة العيش؛ ولو ممزوجة بالذل والمهانة؟

وتمر السنوات العجاف، والقلوب المؤمنة واجفة؛ قد ألقي في روعها أن الأمة على أرض الشام الطاهرة قد تخدرت؛ بل ماتت.

ونعيش حيرة ممزوجة بالألم: كيف السبيل إلى عودة الحياة إلى أمة الإسلام في أرض الشام الحبيبة؟

ويسطَع فجرٌ يملأ القلوب بفرح لم يقتله الألم... يا الله ما أروع أن تعود الحياة لأمة زعموا أنها ماتت!

اسمعي يا دنيا واشهدي أن أمة الإسلام في بلاد الشام لم تمت، ولن تموت؛ فها هي تسطِّر ما لم تسطِّره أمة في الإصرار على الثورة ضد الطغاة، ألا يلوح لكم من خلال ثورتها قصة أصحاب الأخدود، وهم يعلنون التوحيد لا تخيفهم ولا تردُّهم عن عقيدتهم النارُ ذاتُ الوقود؟

وكلما عُرِضَت صور الشهداء في درعا وحماة، وفي حمص واللاذقية والرستن وتلبيسة، وفي دمشق وإدلب والمعرة وجسر الشغور، وفي دير الزور والقامشلي، وفي سائر مدن الشام وقراها، يختلج في قلبيَ الفرح؛ ها قد عاد الإيمان حيّاً في القلوب، وها هم أبناء شعبي رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، يلبُّون نداء الإيمان، ويعلنونها ثورة على الطغيان؛ يتحدون ألوان القهر والعدوان، ثقة بالله وإقبالاً عليه.

الله الله، ما أروع هتافات أهل الحق وقد صغرت الدنيا في أعينهم! لقد تبينوا حقارتها، وأعلنوا صدقهم مع الله؛ فهم لا يريدون إلا نصرة الحق؛ لقد ثاروا لا للسلطة، ولا للجاه؛ بل من أجل مرضاة الله مهما كانت التضحيات. إنه هتاف يملأ عنان السماء يجعل القلب في طمأنينة؛ فالثورة لله، قائدها حب الله ومنهجها قوله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[1].

بوركتم يا سادة الشهداء، بوركتم يا أحبتي؛ يا من يعلو صوتكم بالهتاف: «على الجنة رايحين. شهداء بالملايين»، دموع الفرح تغلبني كلما رأيتكم تتدفق صدقاً وعزماً وتصميماً هتافاتُكم. كلما رأيت البَسَمات على وجوه شهدائكم. كلما سمعت كلمات تعيد لنا ذكرى الخنساء على لسان أمهاتكم: «يا ابني! يا إما النصر يا إما الشهادة».

استمروا أحبتي فإني ألمح في قلب الدياجير خيطَ فجري.
استمروا فإني أرى من لونه الوردي رايات نصري.
استمروا فقد صَحَتْ أمة الإسلام من كبت وذعر.
استمروا وغداً نرى بلاد الشام كتائبها تقود الجحافل إلى كل خير.

فـهـا قـد غـسـلـتْ دمـــوعُ فـرحـي
مـــا كـــان مـــن أَلَـــمـــي
فـيـا شـــام كـــبِّـــري وهـــلِّـــلي
الـنـصـر آتٍ واعـلـمـي
أن الإلـــه تـكـفَّـل بـشـآمـنـا
فـــقَـــرِّي عـيـنـاً واسـلـمـي

(١) السلسلة الصحيحة.

# تعدُّد الزوجات في ميزان الأخلاق

د. أحمد إبراهيم خضر

يؤكد الشيخ (مصطفى صبري) آخر شيخ للإسلام وآخر مفتٍ لآخر دولة للخلافة الإسلامية أن موضوع (المرأة) هو أعظم ما تفترق به الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية. وأن موضوع (تعدد الزوجات) كان ولا يزال أول ما ينتقد به الغربيون الإسلام، رغم أن أدباءهم يقولون: (في الإسلام يمكن للرجل أن يفترش أربع نسوة، أما في الغرب فإن الرجل يفترش ما شاء له من النساء).

ويعتبر المتأثرون بالثقافة الغربية من المسلمين أن تعدد الزوجات هو أبرز نقاط الضعف في الإسلام. وهو ما يدفعهم إلى القول: إنه (أي تعدد الزوجات) ليس بضروري في الإسلام، وأن جوازه محاط بشروط تجعله مستحيل الوقوع. ولذلك نجدهم قد رتبوا قياساً منطقياً مؤلَّفاً من مقدمتين كلتاهما مأخوذة من كتاب الله - عز وجل - في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وكلا القولين في سورة النساء. وبمقتضى هذا القياس ألغوا الجواز الشرعي المعروف في تلك المسألة، المأخوذ هو الآخر من كتاب الله - تعالى - متصلاً بالقول الأول مما قبله؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. وهو معمول به منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

إن هذا الموقف هو في حقيقته انهزامية من هؤلاء المثقفين في الدفاع عن دينهم؛ فالاعتراف بجواز تعدد الزوجات ضروري للمسلم، وأن الشروط الخاصة بالتعدد لا تجعله مستحيلاً؛ وإلا كان تشريعه عبثاً ولغواً، وكان من المستحيل على صحابة رسول الله ﷺ أن يمارسوه.

ويستند الشيخ مصطفى صبري في بيان رأيه أن البديل عن تعدد الزوجات ليس إلا الزنا إلى ما يأتي:

**أولاً:** يؤكد (الشيخ) على ضرورة الفصل بين مبدأ تعدد الزوجات، وبين وجود زوجات ابتلين بأزواج ظلمة قساة المعاملة لا يرعون الله فيهن، ولا يلتزمون في معاملتهن بأوامر الله ونواهيه، ولا ينفذون وصايا رسول الله ﷺ فيهن. ويرى (الشيخ) أن الشرع قد وضع الضوابط اللازمة لحماية حقوق النساء من مثل هذا النوع من الأزواج، وأنه ليس بعاجز عن تأديبهم مهما كانت صفاتهم.

**ثانياً:** يركز المعارضون لمبدأ تعدد الزوجات على ما يسمونه بالمحاذير أو الاعتبارات الاجتماعية. وهذا أمر معروف؛ لكنه من المعروف أيضاً أن الزنا منتشر في البلاد التي لا تأخذ بهذا المبدأ اتقاءً لهذه المحاذير. لكن الحقيقة هي أن مبدأ تعدد الزوجات لا يسد فراغه إلا الزنا. فمن يرى في نفسه من الرجال حاجة إلى امرأة ثانية فهو يتحصل عليها: إما خليلة أو عشيقة إن لم يحصل عليها بالحلال.

**ثالثاً:** حقيقة تعدد الزوجات هو تقسيم النساء المتبقيات بلا زواج - من مجموع النساء من ذوات الأزواج: إما لكثرة أعداد النساء عن أعداد الرجال، أو لعدم رغبة طائفة من الرجال في الزواج، ويحتجن إلى الزواج: إما بسبب الرغبة الجنسية أو الحاجة إلى النفقة - بين الرجال المتزوجين

فتصبح الواحدة منهن زوجة ثانية؛ وذلك للمحافظة على عفتهن، وعفة الراغبين فيهن بغير طريق الزواج. هنا يؤدي مبدأ تعدد الزوجات إلى مصلحة المرأة والمحافظة على كرامة جنس النساء بصفة عامة. فهؤلاء الذين يعترضون على مبدأ تعدد الزوجات على اعتبار أنه ضربة قاسية لشعور المرأة وكرامتها يقصدون بالمرأة الزوجة الأولى التي هي في الواقع بعض النساء وليس كل النساء؛ ويعني هذا أن هؤلاء المعترضين يحتكرون كل المحافظة على الشعور بالكرامة لبعض النساء على حساب بعضهن الباقي. وهذا البعض الباقي مهدَّد بضياع عفته؛ فأي من الفريقين أَوْلَى بالمحافظة عليه: نساء كرامتهن مهددة بالضياع أم نساء عفتهن مهددة بالضياع؟

يقول الشيخ: (مهما ثقل تعدد الزوجات على الزوجة الأولى وأضرَّ بها، فإن فيه منفعة لأخريات من جنسها؛ لأنه حوَّل هؤلاء الأخريات من خليلات وساقطات إلى نساء شريفات. ومن هنا يمكن القول بأن الإنسانية إذا نظرت إلى التعدد المشروع والتعدد غير المشروع (أي الزنا) لوجدت أن الأول يقوم مقام الثاني [لو قال: يغني عن الثاني لكان أحسن]، ويملأ فراغه في الحاجة البشرية. ومن ثَمَّ فإن النظرة بعين الإنصاف إلى تعدد الزوجات المشروع تجعله أوفق لمصلحة النساء عامة. أما معارضته فإنه يكون لمصلحة بعض النساء دون البعض الآخر).

**رابعاً:** أن أهم مقاصد الزواج في الإسلام هو النسل وإشباع الرغبة الجنسية بطريق مشروع. وليس هناك من دين أو حضارة في الوجود (يمكنه أن يعلن معارضة) هذا المقصد من الزواج. كما أن العقل والدين يجمعان على أن هذا المقصد من الزواج لا يمكن أن يتم بطريق غير مشروع؛ أي بطريق الزنا. ومن ثَمَّ لا سبيل إلى ذلك إلا الزواج. فإذا كان هناك رجل في هذا العالم لا يستطيع لإشباع رغبته الجنسية الإكتفاء بزوجة واحدة، ويريد أخرى لإشباع هذه الرغبة، فلا سبيل أمامه إلا الزواج من امرأة أخرى، وليس له أن يزني بها، فإذا زنى شذَّ عن طريق العقل والدين، وعن المسلك الحضاري ذاته، فمن يقول: إن الزنا سلوك حضاري؟

ومما يؤكد ذلك هو أنه لا يمكن لأحد أن ينكر وجود زناة بين الرجال المتزوجين، ولا يمكن لأحد أن ينكر أيضاً أن رجالاً متزوجين يستمتعون بنساء غير زوجاتهم: إما بتقبيلهن أو مخاصرتهن أو حتى النظر إليهن. والإسلام لا يبيح أن يستمتع الرجال بالنساء دون أن يكون بينهم عقد شرعي؛ فإذا شعروا بحاجتهم إلى ذلك فلا بد أن يأتوه من بابه عن طريق عقد ثانٍ؛ فيعلم الناس جميعاً أن هذه المرأة زوجة ثانية لهذا الرجل؛ ذلك أن الإسلام عفيف، ولا يقبل أن تكون علاقات الرجال بالنساء سرقات، أو يدع النساء صيداً سهلاً للرجال أو ملعبة للفساق منهم.

**خامساً:** (الزوجة الثانية) لفظ يثقل على كثير من النساء قبوله. وهذا في الواقع – كما يرى (الشيخ) – من آثار التأثر والافتتان بثقافة الغرب وآدابه. لكن مجرد مقارنة هذا اللفظ بلفظ (المزني بها) أو (الخليلة) أو (العشيقة) وهي الألفاظ التي يتهامس بها الزناة في ما بينهم، يوضح مدى رقي وشرف لفظ (الزوجة الثانية) عن هذه الألفاظ شديدة السوء.

**سادساً:** ينتشر بين النساء مبدأ: (أنه من الأفضل أن يكون للزوج ألف عشيقة، عن أن يكون له زوجة ثانية غير زوجته؛ فقد يعود إلى صوابه ثم يعود إلى زوجته الأُولَى ويصير لها وحدها). يرى (الشيخ) أن مثل هذه المرأة التي تتبنى هذا المبدأ هي امرأة فقدت الحس والشعور وتقويم الرجال، بالإضافة إلى أنها لا تقدِّر العفة قدرها. ومن ثَمَّ لا تصلح مثل هذه المرأة التي تحمل مثل هذا المبدأ أن تكون حكماً في مسألة اجتماعية هامة. فهل يمكن أن يقول أحد الرجال: أنا لا أمانع أن تخادن زوجتي ألف رجل، فعسى أن تعود إلى صوابها يوماً وتعود إليَّ وحدي. كما أنه لا يعذر في قبول هذا المبدأ تفشي الفسق بين الرجال؛ لأنه لو عم هذا البلاء للزم ألا تجد المرأة أمامها من سبيل للزواج إلا الزواج من رجل فاسق، ولأصبح الفسق شيئاً عادياً عند الرجال.

**سابعاً:** إن فجور الأزواج يستفز الزوجات، وقد يؤدي إلى فجورهن من ثَمَّ. فقد تقول المرأة لزوجها الذي يخونها مع امرأة أخرى: (إنك لو ضممت إلى صدرك امرأة أخرى، فإني سأضم إلى صدري رجلاً آخر غيرك، والعين بالعين والسن بالسن). وإذا تمسكت المرأة بفكرتها بأن تقبل أن يكون لزوجها ألف عشيقة في الحرام، ولا تكون له زوجة في الحلال، فقياساً على ذلك يكون من حقها أن تضم إلى صدرها ألف رجل؛ لأن العين بالعين والسن بالسن. قد تقول المرأة ذلك، لكنها لا تستطيع أن تقول – مطلقاً –: (إذا تزوجت امرأة ثانية، فإني سأتزوج رجلاً

آخر وأجمع بينك وبينه كما تجمع أنت بيني وبين امرأة أخرى). لا تستطيع المرأة أن تفعل ذلك؛ لأن القانون لا يسمح لها، كما أن فطرتها لا تأذن بذلك؛ لأن المرأة لا تستطيع أن تجمع في بطنها ولدين من رجلين مختلفين دون أن تختلط الأنساب. أما الرجل فيمكنه أن يتزوج بعدة نسوة وينجب العديد من الأطفال دون أن يحدث أي التباس في أبيهم أو أمهاتهم. وهذه أبرز ميزات الرجل عن المرأة. إن وجود رجال فاجرين أمر لا يمكن إنكاره بالكتمان؛ ولهذا فلا بد من تداركه بتعدد الزوجات حتى لا ينتشر الفجور والفسق.

وإذا قيل: كيف يكون تعدد الزوجات هو السبيل إلى معالجة الفسق بين الرجال، وهناك من الفساق من العزاب الذين لم يتزوجوا أصلاً؟ يقول (الشيخ): من رأى في نفسه أنه على وشك الوقوع في الزنا وكان أعزباً فليتزوج، ومن كان متزوجاً فليتزوج ثانية وثالثة ورابعة؛ حتى يستطيع الاكتفاء وإشباع رغبته دون الوقوع في الحرام. وإذا قيل: أين المال لهذه الزيجات؟ يكون الرد: إن المال الذي ينفَق على الفسق أكثر من ذلك. وقد شهد الواقع كيف يدفع بعض الرجال ملايين من الدولارات من أجل الاستمتاع بامرأة واحدة، وكان بإمكانه أن يدفع أقل القليل ويتزوج زواجاً مشروعاً من أربعة نسوة يفقنها جمالاً وجسداً.

**ثامناً:** يستند بعض الناس في معارضته لمبدأ تعدد الزوجات إلى أن الرجل الذي ينجب أولاداً من زوجته الثانية، إنما يُدخِل أعداء على أولاده من زوجته الأولى. ويجيب (الشيخ) على هذا القول بأن الأب إذا فعل غير ذلك فسوف يدخل على أسرته أولاد زنا، وهل يمكن تصور أن الزوجة الأولى تقبل أن يكون لأولادها إخوة وأخوات من زنا؛ اللهم إلا إذا كانت تقبل من الأصل أن يكون لزوجها عشيقة أو خليلة. ومن المعروف أن الإسلام يرى في الزنا قتل نفس وإعدامها.

كما يرى (الشيخ) كذلك أن العداء المفترض بين الأبناء من زوجتين إنما ينشأ من نقصان التربية الدينية، وهو نقص يجب تداركه. كما أنه لا يمكن تصوُّر أن تسن الدولة قانوناً يمنع المرأة المطلَّقة أو التي توفي عنها زوجها من الزواج بزوج آخر خشية إنجابها أولاداً قد يكونون أعداء لأولادها من زوجها الأول، أو تصدر قانوناً يمنع الرجال من الزواج مرة أخرى بعد وفاة زوجاتهم أو مفارقتهن بالطلاق حتى لا يلدن أطفالاً يكونون أعداء لأولاده من زوجته الأولى التي طلقها أو ماتت.

**تاسعاً:** أوضحنا سابقاً أن هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى زيادة أعداد النساء. من هذه العوامل عدم رغبة بعض الرجال في الزواج، أورغبة بعض النساء في الزواج من نوع معين من الرجال. فإذا تساوى عدد الرجال بالنساء، وكانت هناك امرأة واحدة قبلت أن تكون زوجة ثانية فلن تكون هناك حاجة إلى التعدد، ولكن كيف يكون الحال إذا كانت هناك أعداد وفيرة من النساء تزيد عن عدد الرجال؟ إن الدليل الذي لا يحتاج إلى إثبات في وجود أعداد من النساء تزيد عن أعداد الرجال هو أنه يوجد في كل بلدة نساء يعشن على بيع أعراضهن.

ومن المعروف أنه إذا فكَّرت أمة من الأمم في زيادة نسلها لاكتساب القوة، ولم يكن لديها رجال كثيرون، فلا سبيل أمامها إلا على الاعتماد على قدرة الرجال في الانتاج فتسمح للرجل الواحد بأن يتزوج بأكثر من امرأة؛ أي العمل بمبدأ تعدد الزوجات.

إن الرجال يتحملون أقسى وظائف الحياة وهي الحرب، وإذا كانت الدول الكبرى تعمل إلى إشراك النساء في الحروب لتحقيق مساواة المرأة بالرجل فهذا أبعد الأمور عن المساواة. إن الرجال هم الذين يتحملون أهوال الحروب بدمائهم وهم الذين يتحملون تضحياتها، ويجب ألا تتعرض النساء للحرب حتى لا تخسر الأمة نساءها بالقتل أو الاغتصاب؛ فمن يربي الجيل الناشئ إذا ماتت النسوة في الحرب؟ الحل بالطبع: هو أن تقوم النساء بتضحية تعادل تضحيات الرجال؛ وهي أن يقبلن بمبدأ التعدد، وبذلك تتلافى الأمة ما يحدث لها من نقص الرجال بسبب الحرب.

وتبدو أهمية مبدأ تعدد الزوجات في أن الأمة إذا خسرت الحرب ومات رجالها، ووافقت نساؤها على مبدأ التعدد بعد الهزيمة ستحتاج إلى ما يقرب من عشرين سنة حتى يكبر الأطفال ويصبحون جنوداً، ومن هنا ترزخ البلاد تحت نير احتلال العدو لبلادها وعبثه بنسائها عشرين سنة. أما إذا كانت الأمة جاهزة فإنها بإمكانها أن تخوض حرباً بعد حرب بفضل توافر الرجال القادرين على حمل السلاح للدفاع عن الأمة.

**عاشراً:** يدعو (الشيخ) كل رجل يريد أن يزني بامرأة أن يتزوج بها. ويرد على من يعترض على ذلك بحجة أن هؤلاء

النسوة قد يكنَّ من المومسات أو اللاتي يقمن في بيوت دعارة جهرية أو سرية يعرضْنَ أنفسهن على كل من يطرق أبوابهن، وكرامة الرجل لا تجعله يقبل الزواج من مثل هؤلاء النسوة فيقول (الشيخ): إن مثل هذا الزواج سيجعل العفة مقابل النفقة. كما أن الزواج بمثل هؤلاء النسوة لا يخل بالكرامة الإنسانية بقدر ما يخل الزنا بهذه الكرامة. والرجل مهما بلغ من الكرامة فهو يسقط في درك امرأة يريد أن يزني بها، ولكن الزواج لا يحط من كرامة الرجل؛ وإنما يعلي المرأة ويجنبها السقوط في الزنا.

**حادي عشر:** يعتبر مبدأ تعدد الزوجات أحد أكثر الوسائل للحد من انتشار الزنا، فإذا أضيف إليه اتباع أوامر الدين في تستر النساء وعدم اختلاطهن بالرجال، فإن هذا سوف يهدئ من حدة الإثارة والشهوة، ويشترك مع تعدد الزوجات في التغلُّب على انتشار الفسق في المجتمع.

**ثاني عشر:** من العوامل الهامة التي تؤدي إلى الحد من انتشار الزنا، وتسهم من ثَمَّ في التقليل من الحاجة إلى تعدد الزوجات هو تيسير الطلاق إلى حد ما. يقول (الشيخ): (إن الإسلام شرع الطلاق كما شرع النكاح، ولكن القوانين الحديثة جعلت الطلاق من المحالات؛ رغم أن الغرب الذي يقيد الطلاق أصلاً، ويعيب على المسلمين سهولة الطلاق اتجه إلى تسهيله، فأخذ الغرب منا التوسعة فيه وأخذنا منه نحن مبدأ التضييق. وترتب على ذلك أن الرجل المسلم الذي يضيق ذرعاً بامرأته يضطر إلى العيش معها طول الحياة، فإذا خرج من بيته تدور عينه على النساء، وربما يضطر إلى الزنا الذي يتحمل إثمه، ولا يتحمل عار تطليقه لامرأته. فلو أن مثل هذا الرجل استفاد مما حلله له الإسلام باستبدال زوج مكان زوج، فإنه سيجد في هذا الحل منجاة له من الوقوع في ما نهى الله عنه، ومن الدخول في دائرة تعدد الزوجات، وربما يجد سعادته في زواجه الثاني، وقد تجد زوجته التي طلقها سعادة في زواجها الثاني... إن الإسلام يريد اليسر في المعاملات، وتدور خطته في معاملة الأزواج للزوجات على إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان كما عبر به القرآن. والنكاح وإن كان ميثاقاً غليظاً، وإن كان أبغض الحلال إلى الله، فإن هذا لا يعني أن يلصق أحد الزوجين بالآخر؛ بحيث لا يتمكنان من الافتراق كما في أنكحة سائر الملل غير الإسلام، بل يجب أن يتولى الرجل الطلاق، وتتولاه المرأة باشتراطها عند عقد الزواج، وبالمخالعة، وقد يتولاه الحكمان المبعوثان من أهليهما لإصلاح ذات البين؛ لأن دوام رابطة النكاح بين الزوجين مهما كان مطلوباً ومحموداً في الإسلام فهو مشروط بعدم مخافتهما ألا يقيما حدود الله. وقد فسر العلماء ذلك بحقوق الزوجية التي لهن مثل الذي عليهن بالمعروف مع ما للرجال عليهن من درجة. ومن الواضح أن المحافظة على العفة من الطرفين تدخل في ما هو مطلوب حدوثه بين الزوجين من إقامة حدود الله دخولاً أوَّلياً، فعند مخافة التعدي لحدود الله يتعين الطلاق بلطف ومعروف وإحسان، ولا يعقل أن يقضي الزوجان حياتهما في نكد وضيق. كما يعتبر تعدياً لحقوق الله من جانب المرأة أن تمنع زوجها من العمل بمبدأ تعدد الزوجات الذي هو من حقوق الزوج عند حاجته إليه).

**ثالث عشر:** هناك عامل هام آخر من شأنه أن يؤدي إلى الحد من انتشار الزنا وتقليل الحاجة إلى تعدد الزوجات، هذا العامل هو عدم تصعيب الزواج بتحديد سن معيَّن له، أو إرجاء الزواج بعد سن البلوغ ببضع سنين. الواقع أن المسلمين تأثَّروا في ذلك بالغربيين الذين لا يتزوجون في عنفوان شبابهم فقلدهم المسلمون غير مبالين بأن شباب الغرب يقضي حاجته الجنسية بأساليب لا تتفق مع آداب الإسلام الاجتماعية من مخالطة الفتيان بالفتيات والصحبة بينهم وتبادل الحب والعلاقات الغرامية. وكثير من الأسر المسلمة تصر على عدم تزويج فتيانها وفتياتها إلا بعد استكمال تعليمهم. ولا تدري هذه الأسر كيف يقضي أبناؤها وبناتها هذه الفترة الموافقة لريعان شبابهم، وغليان دمائهم في تبتُّل وتعفُّف أم غير ذلك؟ كما لا يعني كونُهم في مرحلة التعلم انشغالَهم وعدم التفكير في مسائل الجنس. ويرى (الشيخ) أن اعتقاد الآباء أن مرحلة تعلم الأبناء تغني عن التفكير في زواجهم ليس عذراً، فالآباء في الواقع يعاملون أبناءهم وبناتهم بصورة فيها من التسامح والتغاضي عما يقضون به حاجتهم الجنسية. الحقيقة أن الأبناء والبنات في هذه المرحلة بالغون مكلَّفون، ولا يؤذن لهم بالفسق بحجة أنهم في دَوْر التعلم، ولا يمكنهم الزواج. إن قانون الإسلام يفرض الزواج على كل من يخاف على نفسه الوقوع في الزنا، ولا يبيح لأحد الوقوع فيه بحجة التعلم. وأنه يجب على المسلمين أن يدبروا الوسائل التي تسمح

بالتأليف بين التعلم والـــزواج للمحافظة على عفة المتعلمين. هذا بالإضافة إلى أن الفطرة لا تسمح بأن تتعطل فترة ثَوَرَان الشـــباب بالعقم، أو الإنتاج بطريق غير مســـتقيم وهو الذي ينتهي إلى العقم أيضاً.

**رابع عشر:** عند مقارنة أضرار الزنا بما يعتقد أنه أضرار تعدد الزوجات، يتبين أن أضرار الأول لا تقاس بأضرار الثاني مطلقاً. ويمكن بيان أضرار الزنا على النحو التالي:

١ – ضرر يصيب الزوج الزاني؛ وهو فَقْد عفته.

٢ – ضرر يصيب المرأة المزني بها؛ وهو فقد عفتها.

٣ – ضرر يصيب زوجة الرجل الزاني؛ وهو أنها أصبحت زوجة لرجل غير عفيف.

٤ – ضرر يصيب هـــذه الزوجة أيضاً باحتمال أن تصبح غيـــر عفيفة إذا ما فكرت في الانتقام من زوجها الذي خانها وتقوم هي بخيانته.

٥ – ضـــرر يصيب زوج هذه المرأة بأنـــه زوج لامرأة غير عفيفة، بالرغم من أنه غير عفيف.

٦ – ضرر يصيب زوج المرأة التي زنى بها الرجل؛ إن كانت متزوجة.

٧ – ضـــرر يصيب زوجة الرجل التـــي زنى بها زوج المرأة المنتقمة إذا كان متزوجاً.

٨ – ضرر يصاب به أبناء كل هؤلاء الزناة والزواني.

٩ – أضرر احتمالات إصابة كل هذه الفئات بالعدوى من جراء انتقال الأمراض الجنسية إليهم.

١٠ – أضـــرر ناتجة عن احتمال انتقـــال عدوى الإصابة بالأمراض الجنسية للأزواج وللزوجات: إليهن وإليهم.

هذه عشـــرة أضرار، تكفي الأضرار الثلاثة الأخيرة منها في إفساد حال الدنيا الحاضرة. ويرى (الشيخ) أنه من حكمة الله – تعالى – أن يســـلِّط معضلات الأمراض على العلاقات غير المشـــروعة، مقابل ضرر واحد يصيـــب الزوجة؛ وهو أن زوجهـــا تزوج عليها. وهذا الضرر وإن كان قد انحصر في أن هذا الزواج أخلَّ باستئثارها بزوجها لكنه لم يخلَّ بشرفها؛ لأن زوجها استعمل حقه الذي أعطاه له الإسلام.

**خامس عشـــر:** لا يهمل (الشيخ) أن هناك من الرجال من يحـــب زوجته ويقدرها، ولا يتزوج عليهـــا رحمة بها، وتقديراً لهـــا؛ رغم حاجته إلى ذلك. لكنه (أي الشـــيخ) لا يفهم رفض الكثيريـــن لمبدأ تعدد الزوجات على أســـاس ظهورهم بمظهر الرعايـــة والاهتمام بقلب وحب الزوجة لزوجها، وتســـامحهم مع الخيانة الموجهة إليهـــا، وهو يخادن امرأة غيرها بدلاً من أن يتزوجها؛ علماً بأن الاعتداء على القلب هو أشد في حالة الخيانه بالزنا عنه في حالة الزواج الثاني المشروع.

**ســـادس عشـــر:** يركز المعارضون لمبدأ تعدد الزوجات على أن هذا المبدأ يُخِل بمبدأ المســـاواة بين الجنسين الذي يدافع الرجال أنفســـهم عنه لحاجة في أنفســـهم تقرُّباً إلى النساء. ولكنَّ الحقيقة هي: أن المطالبة بالمســـاواة إنصافاً للمرأة، فيه ظلـــم للرجل الفائق في فطرته عن المرأة. ويضرب (الشـــيخ) مثـــالاً يقول فيـــه: (إن المرأة تريد أن تطـــاول الرجل فتطيل كعـــب حذائها، هي مطاوَلة مبنية على التكلف وتغيير الخلقة؛ لأنها إذا سابقت الرجل وهي بمثل هذا الحذاء ستسقط على الأرض بعد أقل من خطوتين). إن فطرة المرأة – كما أوضحنا ســـابقاً – تأبى أن تجاري المرأةُ تعدد الزوجات بتعدد الأزواج. إنها لا تســـتطيع أن تلد في عام واحد إلا مرة واحدة في حين أن قوة الإنتاج في الرجل تتجدد كل يوم ولا يشـــغلها شـــاغل، وهو يستطيع أن ينتج من الأولاد ما لا تستطيعه أكثر من مائة امرأة لكن المرأة يمكن أن تســـتغني عن الرجل أيام محيضها ونفاســـها، وتهرم قبل الرجل، فتنقطع عـــن الولادة، ويعتريها القِدَم قبل الهرم، فتكون بكراً وثيباً ووالدة فتفقد من طراوتها كلما مر عليها دور من هذه الأدوار. ومعنى هذا: أننا لو وقفنا الرجل والمرأة في حد المســـاواة نكون قد ظلمنا الرجل الفائق في فطرته. والدليل هنا أن المولود يفضَّل عادة أن يكون ذكراً حتى عند أمه، وهذا اعتراف من جانب المرأة بفضل الرجل.

**المصادر:**


١ – مصطفى صبري، قولي في المـــرأة ومقارنته بأقوال مقلـــدة الغـــرب، دار الرائد العربى، بيـــروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ص ١ – ٢٢.

٢ – مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرســـلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٤٨٩ – ٤٩١.

# علاقة العلم بعمل القلب

أ. د. محمد أمحزون(*)

إن العلم هو أساس ومنطلق معرفة الحق وسلوك الصراط المستقيم، وهو المصباح الذي يضيء للإنسان الطريق كي يبتعد عن الشبهات والشهوات والأهواء.

ولذلك إذا لم يصاحب العلم إخلاص وتقوى وخشية يُدفَع بها الهوى لم يكن للعلم فائدة، بل يصبح وبالاً على صاحبه قائداً له إلى نار جهنم، عياذاً بالله تعالى.

ومردُّ ذلك أن الحق يتضح للعالم فيتنكبه متعمداً؛ لهوىً وشهوة في نفسه. وليزكو العلم ويعود بالنفع على صاحبه ويقوده إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ينبغي ربطه بعمل القلب.

والقرآن الكريم يبيِّن تلك العلاقة العضوية بين العلم النافع وعمل القلب في قوله - تعالى -: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

ومعنى الآية الكريمة أن الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل متيقنون أن ما أنزله الله - تعالى - على نبيه ﷺ هو الحق، فيصدقوه وينقادوا له؛ لأن القلب هو موطن الإقرار والخضوع والإخبات لله، عز وجل[1].

وفي السورة نفسها يفسر القرآن الكريم الإخبات في قوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. [الحج: ٣٤ - ٣٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي يخافه ويخشاه حق خشيته العلماء الربانيون العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة القلبية للخالق البارئ فاطر السموات والأرض، العليم القدير، الموصوف بصفات الكمال والمتفرد بنعوت الجلال أتم والعلم أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

ولذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية»[2].

وفي هذا السياق قال مالك - رحمه الله -: «إن العلم ليس بكثرة الرواية؛ وإنما العلم نور يجعله الله في القلب»[3].

وخلاصة القول: إن القلب موضع الإيمان والنية والعمل؛ لأن كل حركة أو موقف لا يكونان إلا بإرادة قلبية. ولذلك ينبغي أن نعتني بأعمال القلوب، ونضعها في أعلى سُلَّم الأولويات، ونهتم بتزكية قلوبنا وترويضها على الصدق والإخلاص والإخبات والرضا والخشية والإنابة إلى الله - عز وجل - لأن العالم إذا نوى بعلمه طلب الدنيا والرياء حبط عمله وتبدَّلت المثوبة في حقه عقوبة وعذاباً، نسأل الله - تعالى - السلامة، وهو ما يدل على الأهمية الخاصة لعمل القلب.

---

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٤٤٦.

(٢) المصدر السابق: ٦/ ٥٤٥.

(٣) المصدر السابق: ٦/ ٥٤٥.

# الآن..

"من لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أُغلق عليه باب التدبر"

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢-٠٥٠٢٢١٠٩٢٠- ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦- ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥-٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦